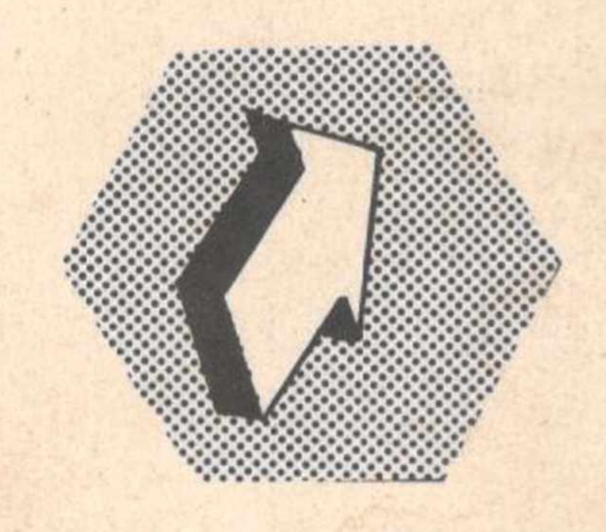
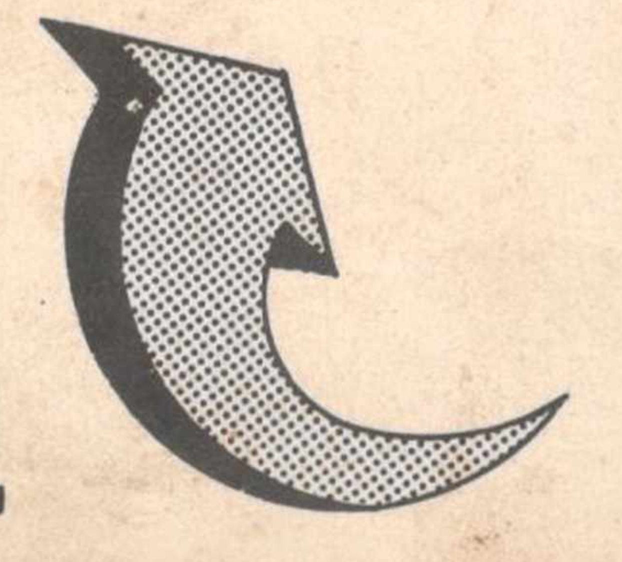
الفلاشا

أسرار عملية تهجير اليهود الأثيوبيين من السودان إلى إسرائيل





مصعب أحمد مضوي



الفــــلاشا

أسرار عملية تهجير
اليهود الاثيوبيين
من السودان الى اسرائيل

تأليف
الاستاذ مصعب أحمد مضوى

محتويات الكتاب

الإهـــــــــداء

الى أصدقائى .. إلى أساتذتى .. إلى أبناء وطنى .. إلى كل طفل فلسطينى يضرم نار الثورة بالنبل والحجارة .. الى كل من وهبته رحمة السماء نعمة العلم والنور، اهدى هذا الكتاب.

مصعب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

عزيزى القارىء ..

.. حياة هذا العصر الذى نعيشه زاخرة بكم هائل من الاحداث المحلية والاقليمية والعالمية، وهى احداث متجددة ومتواصلة بمعدل جعل من دور ومؤسسات الاعلام ان تعمل على مدى اربع وعشرين ساعة متصلة يوميا فى نقل المعلومات ورصد الاخبار ومتابعة تفاصيلها عبر تقنية من الوسائل المقرؤة والمسموعة والمرئية . وعالم اليوم يتمتع بشبكة إعلام دقيقة قل ما تخطىء معلومة او حدثا دونما يجد طريقة للاحاطة الشاملة والنشر الواسع والبث المحيط، فتطبع الانسان المعاصر اثر ذلك المستوى الرفيع من الخدمات الاعلامية ووفرتها على تلقى اخبار الاحداث عبر الوسائل المختلفة بتلقائية ويسر كجزء من ممارسات حياته اليومية . وربما يكون لوقع معظم الاخبار على المتلقى اثر ضئيل لا تتعدى اهميته سوى المتابعة والالمام بما يدور فى العالم من احداث ومعايشة لقضايا العصر والساعة، الا انه وخلافا لذلك المنحى نجد ان هناك احداثاً واخباراً معينة تفرض نفسها من وقت لاخر على

جمهور المتلقيين وتستوجب ان يقف المرء عندها لما قد يكون لها من عميق تأثير ومدلول ، ومن ضمن تلك الاحداث ذات الاثر المميز التى اختلفت على العالم، كان ان شهدت الاعوام الثلاثة (٨٤ـ١٩٨٥م، ٨٥ ـ ١٩٨٦م، ٨٦ ـ ١٩٨٧م) على التوالى تسنسل احداث تهجير يهود الفلاشا الاثيوبيين من السودان الى اسرائيل وعمليات تأهيلهم وتوطينهم فى الاراضى العربية المحتلة . تلك الاحداث التى التفت لها العالم اجمع وجذبت اهتمام المراقبين والعاملين فى حقل الاعلام الدولى بطريقة لا مثيل لها، فلقد فاجأت تلك الاحداث العالم بأمر تخطى كل اعراف المعقول الى اللامعقول مما جعل تناولها عميقاً وواسعاً وشغل تداولها وقتا طويلاً وما زال يشغل اثر تنامى الاحداث وظهور معلومات جديدة متعلقة بذات المسألة.

.. وحيث ان عملية نقل وتهجير الفلاشا الجماعية قد نفذت بأساليب مخابرات مستحدثة وتمت تحت ستار سميك من السرية يصعب معه بمكان توفر المعلومات للرأى العام، وجد الاعلام الصهيونى فرصة كافية مكنته من نشر واخراج المعلومات عبر قنواته الخاصة وبأساليب موجهة تخدم اولا وأخيرا أغراضه وسياساته ومراميه الذاتية فكان ما كان من حجب للحقائق وتضليل ما بعده تضليل للرأى العام العالمى، فالى جانب كم المقالات الصحفية والتقارير الاذاعية والافلام التسجيلية والبحوث التى قدمها الاعلام الصهيونى، هناك ايضاً اجتهادات بعض الكتاب الغربيين الذين تناولوا الاحداث بطريقتهم وعالجوها

بأسلوبهم فأبـرزوها وجسدوها للرأى العام فى كتب تمجد دولة اسرائيل والدور الذى قامت به بلا حدود وتبجل الصهيونية بطريقة مطلقة . ولعل ذلك التناول المدلّس هو الذى حفزنى بطريقة مباشرة للسعى فى سبيـل تحقيق استقصاء يسلط الضوء على كثير من التفاصيل والوقائع التى تعمد الاعلام الصهيونى والغربى طمسها والتى اذا اراد القارىء أو الباحث ان يلم بها لتطلب منه ذلك جهدا كبيرا وقتا واسعا ولوجد الامر معقدا والوصول اليه عسيرا، فالمعلومات شحيحة وضئيلة ومنثورة هنا وهناك مع تعدد مصادرها وتباينها، وتكاد ان تكون ليست بالقدر الكافى على الاقل فى الوقت الحـاضر ولربما تتوفر فى المستقبل بصورة افضل عندما يحين الوقت الذى يفك فيه عادة الحظر عن الوثائق السرية علما بان هناك جدارا سميكا من السرية وحجب الحقائق سبق ان ضرب باحكـام حول المـوضوع بجانب تغييب المعلومات المتعمد الذى صحب تنفيذ تلك العملية.

.. فى هذا الكتـاب محـاولة تقصى لأصـل يهود الفلاشا الاثيـوبيـين ودراسـة لواقعهم، ويتضمن معالجة واقعية تغطى تفاصيل واحداث تهجيرهم من السودان الى اسرائيل مع تعرض مواز للمناخ السياسى والاستراتيجى الذى تم فيه تهجيرهم . كما يتناول هذا الكتاب ايضا الدور الذى لعبته الدول الست التى شاركت بصـورة مبـاشرة او غير مبـاشرة فى عمليـة التهجير او مشاركتها، هذا الى جانب تسليط الضوء على البواعث والاهداف التى حملت الكيان الصهيونى للقيام بذلك العمل المجاف والمناف

لكل الاعراف والنظم والقوانين الدولية، اضافة الى وصف ورصد لما كان يجرى فى داخل دولة اسرائيل قبل عملية التهجير وابانها وماتم بعد وصول الفلاشا اليها من اعتساف عنصرى والمآسى التى صاحبت عمليات استيعابهم وتوطينهم بالاراضى العربية المحتلة. ويجد القارىء فى هذا الكتاب وبصفة ملازمة ردود الفعل العالمية التى صاحبت عملية التهجير فى كل ما قالته الصحافة العالمية والقرارات والبيانات التى صدرت رسميا عن دول ومؤسسات إقليمية ودولية حول المسألة. وفى الخاتمة المحصلة التى تمثل تقريرا وافياً حول ابعاد عملية تهجير الفلاشا وما خلفته من آثار وبصمات على افق الصراع العربى ـ الاسرائيلى وما افرزته فى محيط الاسرة الدولية.

.. انه من دواعى سرورى ان اقدم للقارىء الكريم هذا الاستقصاء الذى ليس المقصود منه كتابة قطعة ادبية بقدر ما هو سرد تفصيلى وتحليل لاحداث واقعية جرت معظمها ببلادى وقمت بصياغتها بقدر الامكان باللغة المتداولة .. عشمى ان يرقى هذا الجهد المتواضع الى مرتبة الاضافة الى المكتبة العربية والاعلام العربى الذى يقف فى مواجهة تحدٍ كبير فى معركة غير متكافئة بينه وبين الاعلام الصهيونى والغربى الموالى للصهيونية.

والله الموفق

مصعب أحمد مضوى

الخرطوم / أبريل ١٩٨٨م

البـاب الأول

قبيلة ضائعة فى غياهب الزمان

وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها وانقشعت غمامات سحب البارود، وتمخضت الحرب عن متغيرات كثيرة وكبيرة على المجتمع الانسانى، وشملت المتغيرات ضمن ما شملت توزيعة وإستكانة القوى الدولية العظمى فى شبه الصورة المتعارف عليها الان من محاور وأحلاف . وتبدلت خارطة العالم السياسية والحدود الدولية لتأخذ شكلها الشبه نهائى بمفهوم اليوم . كما تأثر العالم من جراء تلك الحرب الكونية بأوضاع اجتماعية وديمغرافية حادة املتها إعتمالات معادلات الحياة من حرب وسلم وفناء وبقاء والتى تكيف حيالها قوم كثيرون فى المعمورة من اجل استمرارية الحياة . فحظيت شعوب وأمم بحفظ الشمل ومنيت اخرى بالدمار والتفتت، وتبعثرت جماعات كثيرة اثناء تكيفها مع مستجدات الحياة ولأسباب متباينة لتعيش فى دول واراضى غريبة عليها وسط مجتمعات اخرى كأقليات مجاورة . ومن أبرز الامثلة

فى الحديث عن الاقليات فى مطلع هذا القرن وليس بعد الحرب الكـونية فحسب، برز بصورة متفردة شتات وتناثر (اليهود) فى العـالم فى المشارق والمغارب فى حالة معايشة سلمية وإندساس وسط المجتمعات المتباينة، فما من دولة او مدينة كبيرة فى العالم الّا ونجد فيها ما يسمى بالاقلية اليهودية او نسمع عن حىّ لليهود فيهـا او سوق لليهود والى آخر مسميات المؤسسات المدنية من مدارس ومحافل عبادة ومنتديات وجمعيات وملاعب خاصة بهم . وهكذا كان الحال الذى استمر زمنا طويلا حتى اغتصاب اليهود للأراضى العربية وظهور (تل أبيب) فى صدر الاحداث كعاصمة لدولة الكيـان الصهيـونى اسرائيـل الواقفة على شفا الحرب . فنشطت القوى الصهوينية المنتشرة فى العالم فى عمليات الهجرة المنـظمـة من كل فج صوب (تـل أبيب) لتمكين وتأسيس دولة اسرائيل بأىّ حال . ولقد اضطلعت (المنظمة اليهودية العالمية ـ W. Z. O.) بذلك الدور فى تنظيم الهجرة، وهى منظمة تحظى بموقع خاص فى الحركة الصهيونية واستراتيجيتها حيث انها تعتبر وفق طبيعة تكوينها واهدافها مؤسسة يتركز عملها بصورة اساسية فى دولة اسرائيل من اجل تطوير عملية استعمار البلاد حسب قانون الوكـالة اليهودية الذى أُقرّ فى عام ١٩٥٢م والذى على اساسه تستمر المنظمة الصهيونية العالمية بالقيام بأعمال ليس فقط خارج حدود اسرائيـل ولكن ايضا بالأعمال التى لا تستطيع اسرائيل القيام بها مباشرة حالة كونها دولة تحظى بأعتراف دولى يملى ويفـرض عليها بعض المواثيق والضوابط والكوابح . ولقد عاش

العالم منذ فجر الخمسينات وامتداداً الى هذا العهد ظاهرة الهجرة اليهودية والتى لم تنقطع بمختلف اساليبها . ولكم عانت شعوب ودول كثيرة فى هذا المجال من نشاط مدمّر لعصابات تزوير الاوراق الثبوتية ومستندات السفر والتلاعب بمقدرات نظم وقوانين الهجرة الدولية وتخريب الاقتصاد بتهريب الثروات بالطرق غير المشروعة وممارسات القرصنة الدولية بسرقات مبتدعات التقنيات والمتاجرة فى اسرار الدول الاستراتيجية . كان ذلك يجرى بصورة مستمرة متلاحقة وعبر سنوات طوال حتى تحول مفهوم الهجرة الى اسرائيل فى الاذهان الى واقع واصبح علنا بعد أن كان سراً بل اصبح قضية يطالب وينازع عليها الامر الذى أثار كثيراً من القضايا التى هزت المحافل الدولية كما حدث مثلا فى مسألة محنة تهجير اليهود السوفيت . وفى حساب الزمن اصبحت الاقليات اليهودية العنصرية تعمل علنا وتجاهر بل تضغط على الانظمة السياسية بمؤسساتها المنتشرة فى العالم حتى تجبر الرأى العام العالمى على قبول حقيقة ان هناك اقليات يهودية منتشرة فى كافة بقاع العالم كجزء من الأسرة الدولية لها نشاطها وتتناقل قنوات الاعلام العالمية اخبارها كما ان لها صوتها المسموع ومشيئتها الفاعلة . وكان ان برز ضمن مابرز فى سيرة الاقليات اليهودية على افق الاحداث والاخبار أخيراً فى موجة المجاهرة والتطبيع وجود اليهود السود (الفلاشا) بدولة اثيوبيا الافريقية .. مجتمع يهودى صغير يعيش فى اعالى الهضاب الاثيوبية الراقدة على ساحل البحر الاحمر ويترواح تعدادهم بين أربعين الى خمسين ألف نسمة.

دحرهم وطردهم من مصر جنوبا فى القرن الثامن قبل الميلاد حيث كتب رادباز الرابع فى فرمان له ما معناه: «.. انهم من بذور بنى اسرائيل من قبيلة دان ليعيشوا فى مجاهل غابات الهضبة العبسينية ...».

وهناك فرضية اخرى يدافع عنها العالم الايطالى (فيلوسينيو لوزارو ـ Fellesseno Luzaro) تقول: أن الفلاشا هم يهود الهيلينيين والذين بعد خروجهم من مصر استوطنوا عبسينيا فى خلال فترة بطليموس وبعد حقب من الزمان تمكنوا من اقامة مملكة فى زمان مملكة اكسوم المسيحية ولقد اغارت ملكة الفلاشا جوديت على اكسوم فخربتها ودمرت كنيستها.

ولقد ورد ايضا فى كتابات أدب التجوال والرحالة والذى يستند اليه بتصرف أحيانا فى بحث تاريخ وسير واخبار القارة الافريقية ، انه فى عام ١٨٦٧م حين زار البحاثة الرحالة اليهودى الفرنسى (جوزيف هالفى) منطقة الهضاب الاثيوبية ورد فى مذكراته انه صادف فى تلك البقاع قوما يهودا سودا يقرأون التوارة ولم يصدقوا مندهشين حين صادفوه وعاش بينهم لعدة ايام ان يكون هناك انسان يهودى ابيض فى هذا الكون!.. كما ورد فى مذكرات الرحالة الاستكلندى (جيمس بروس) الذى زار منطقة قندر وما حولها فى الثلث الاخير من القرن الثامن عشر فى بحثه عن منابع النيل، انه شاهد هناك قوما يهودا سودا يعتنقون اليهودية ويتميزون فى ذلك عن بقية ما حولهم من قبائل فى ديانتهم.

اما راى المتخصصين الغربيين فى تاريخ اثيوبيا فأن

الفلاشا قد تم تهويدهم على يد المبشرين الذين جاءوا من الجزيرة العربية عن طريق البحر الاحمر، أما المبشرين انفسهم فهم من الجاليات اليهودية التى أسست فى الجزيرة العربية من قبل اليهود الذين فروا من يهوذا الى جزيرة العرب فى عام سبعين بعد الميلاد، وحيث ان الوثائق التاريخية تثبت وجود يهود فى الجزيرة العربية فى ذلك الوقت تبقى كل التفسيرات والتأويلات الاخرى مجرد فرضيات.

ويجىء فى الرأى شبه الرسمى المتحفظ لدولة اثيوبيا الاشتراكية الشعبية عن ماهية الفلاشا، «.. فأنه ونسبة لاعبارات اجتماعية ودينية فأن الفلاشا ليسوا الاّ احدى الطوائف (الباليومسيحية ـ Paleo – Christian) والتى عادت الى اقتباس بعض الممارسات اليهودية بناء على وفاء شديد وتطرف للعهد القديم، ويعتبرون اثيوبيين بلا تمييز مثلهم مثل باقى المواطنين الاثيوبيين من الذين يمارسون احدى الديانات الائتلافية المتعددة فى اثيوبيا ..» . كما أن حكومة الرئيس منقستو هيلامريم تتهم جهات خارجية بالتدخل فى شئونها الداخلية عبر تحريض الفلاشا، هذا برغم الحقيقة التى تقول ان اقلية الفلاشا نفسها ذات قناعات انتمائية يهودية قديمة وواضحة !.

وعلى كلٍ ومهما يكن من صحة او خطأ فى السيرة والخبر فى بحث اصل يهود الفلاشا الاّ أنه بالثابت ومن الواقع الاجتماعى المعاش فأن هنالك وجودا قديما معروفا وملموسا لاقلية يهود الفلاشا الذين يعيشون فى أدنى مستويات الحياة فى العالم :

وتسكن جماعاتهم فى القرى الصغيرة المنتشرة فى المناطق الجبلية قرب بحيرة (تانا) بأتجاه شمال مقاطعتى قندر وتقراى بالقرب من الحدود السودانية بين خطى عرض ١١ و $\frac{١}{٢}$ ١٤ شمال خط الاستواء وخطى طول ٣٥ و٣٨ شرق قرينتش تقريبا على ارتفاع ستة الى سبعة الاف قدم فوق سطح البحر، ويطلقون على انفسهم (بيتا اسرائيل) اى أبناء اسرائيل باللغة الامهرية أو المنتمين للبيت الاسرائيلى، ويستنكرون اسم الفلاشا فى تعريف انفسهم والشخصية القبلية المعروفة البارزة بينهم هى الشيخ الكهل المدعو (خبينى بيرهانو)، اما كبير الكهنة بين جماعات الفلاشا فهو (روفائيل أدانا) والذى كان يقيم فى قرية (أمبورو) وكان قد قدم نفسه لمراسل وكالة (رويتر) بيرترد أدنجر Bertrad Adenger الذى زار المنطقة فى يناير ١٩٨٢م على أنه والد يوسف أدانا أحد أعلام طائفة الفلاشا المهاجرة فى اسرائيل.

ولعله من الملفت للنظر انه ونسبة لعوامل التفاعل المحلية بأثيوبيا من المؤثرات الاجتماعية والحضارية والاسيملية As-semillation of Cultue نجد أن يهودية الفلاشا تختلف عن اليهودية المتعارف عليها عالميا ودينيا سواء بشقها السفارى (اليهود الشرقيين) أو فى شكلها الاشكنازى (اليهود الاوربيين) .. فهم يعتمدون أسفاراً من التوراة وكتبا مقدسة قريبة من سفر العهد القديم عند المسيحيين من حيث تبنيهم لفكرة الرهبانيات ولا يوجد بينهم حاخامات كما فى اليهودية المتعارف عليها بل لديهم كهنة، هذا بجانب انهم لا يعرفون بقية كتب واسفار اليهودية

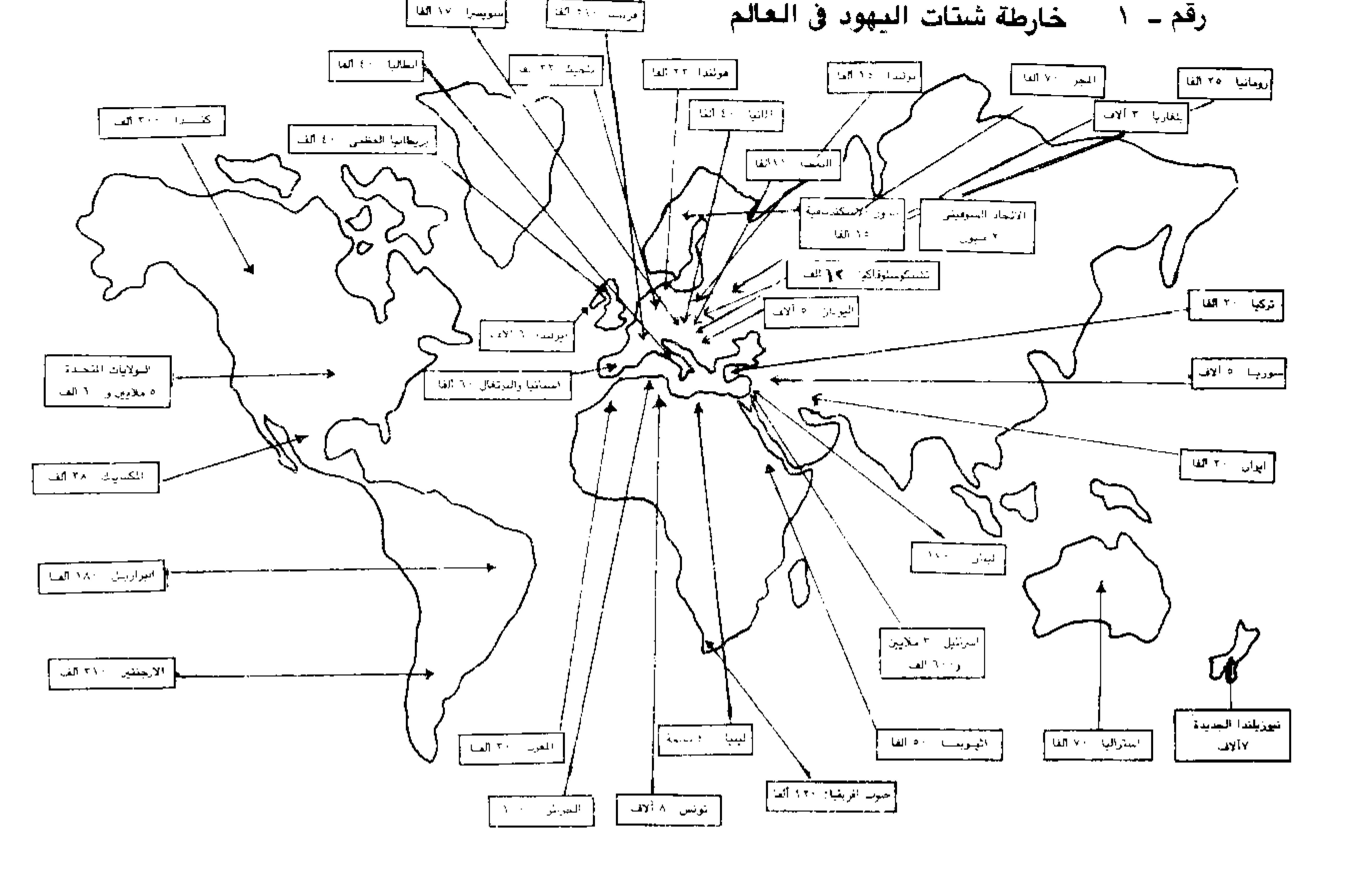
الحالية المتداولة كالتملود مثلا والذى يكاد يرقى لمرتبة التوراة عند يهود اوربا والشرقيين ويهود العالم العربى . ان الفلاشا يختلفون عن اليهود الشرقيين والاروبيين فى نهجهم وفى مسائل اساسية مرتبطة بشعائر الديانة وشريعتها المتعارف عليها والتى تشكل وتميّز فى كليتها سلوك الانسان اليهودى وطابعه العام. هذا مع اضافة انهم لا يمارسون الختان ويختلفون فى ممارسات كثيرة حضارية ودينية ولا يتمتعون بالالمام باللغة واللسانيات العبرية ولا يستعملون احرفها فى الكتابة . فالشاهد انه وبالرغم من الظروف التى هيأت احكام العزلة لجماعة الفلاشا عبر القرون والتى أمنت لهم ان يحافظوا على كيانهم بماهية وكمية وكيفية مرموقة على مستوى التقييم الاجتماعى والحضارى الاّ أنهم لم يسلموا فى خلال القرون الغابرة من تيارات الصراع والنزاعات القبلية والدينية الداخلية بأثيوبيا والتى اثرت على حضارتهم، فتاريخهم فيه كثير من الحروب من زمان الغارات التى تمت بينهم وبين الملك اسحق فى (١٤١٢ ـ ١٤٢٩م) والتعذيب الذى ذاقوه على يد زارا يعقوب فى (١٤١٢ ـ ١٤٢٩م) والذى سمى بسفاح اليهود ، ثم الكارثة الكبرى التى حلت على الفلاشا فى القرن السادس عشر فى عهد الملك المسيحى سرسل دنجل فى (١٥٦٤ ـ ١٥٩٣م) والذى حطم قلاعهم ومحافل عبادتهم فى القرى المنتشرة بمنطقة قندر . كما ان الفلاشا تعرضوا فى اوائل القرن السابع عشر الى معارك ومذابح وضغوط حياتية ودينية بسبب محاولات تنصيرهم اثر موجة التنصير العارمة التى اجتاحت اثيوبيا والتى ساقتها القيادة

الملكية الدينية الاثيوبية والتى تم بموجبها اعلان ان كل من لا يدين بالمسيحيـة فهـو (فلاساى) اى منبوذ باللغة الامهرية او المتشرد .. الذى لا يحق له ادعاء او ملكية ارض على الاطلاق .. ولقد تحورت لفظة (فلاساى) بمرور الزمن لتنطق [فلاشا] والتى تعنى المنبوذ . وبهذا نخلص الى ان لكلمة او اسم فلاشا بجانب انها ترمز الى جماعة اليهود بأثيوبيا فأن لها مدلولا آخر يعنى القـوم المنبـوذين والاكثر انحطاطاً فى المجتمع الاثيوبى . ولعل المـؤسسـة الاجتماعية الطبقية المتخلفة بل المنقرضة تقريباً فى العالم ، التوزيع الطبقى القائم على الدين والعرق Social Cost System والذى لا يوجد له ممارسة فعالة فى مجتمعات عالم اليوم ما زالت له بقايا وجود هناك فى أثيوبيا بالرغم من توجهات الدولة الأشتـراكيـة فيها .. وهو نوع من التوزيع الطبقى الاجتماعى المنقرض فى عالم اليوم، متخلف جدا ومهين للنفس البشرية حيث يقسم ويفاضل المجتمع الى طبقات رأسية التقسيم من اعلى الى اسفـل، اى ابتـداء بالنبـلاء فى القمـة ونزولا الى اسفل سلم التصنيف الاجتمـاعى الرأسى ليكـون فى الدرك الاسفل جماعة الفلاشا كأحط طبقة أو ملة مهيضة مهضومة ولا يحق لهم امتلاك ارض، كمـا تحتم عليهم ظروف وممليـات طبقتهم فى المجتمـع الاثيوبى ان يعملوا فعالا فى مزارع واعمال الاخرين من الطبقات العليـا او ان يعملوا ويـرتـزقوا كمتسببين فى الاسواق القروية الاسبوعية . ولذلك نجد فى سبل كسب عيش الفلاشا ان نوعية العمـل الغـالب فى اوسـاطهم هى حرفـة الاعمال اليدوية التى

يمتازون فيها بمهارات فائقة متميزة او ان يعملوا عمالا وفعالا يدويين فقط بعيدا عن الملكية الفردية او الجماعية لأىّ منشأة أو أرض . وكذلك يملى عرف التوزيع الطبقى المتزمت على الفلاشا عدم الزواج والتمازج العرقى بينهم وبين الطبقات العليا (Inter Cast Marrage) الشيء الذى حدّ بطريقة او اخرى من تمازج الفلاشا عرقياً وحضارياً بأىّ طبقة أو عنصر آخر داخل اثيوبيا أو فى خارجها.

وهكذا تجمعت وتضافرت كل الاسباب والظروف والعوامل الجغرافية والسياسية والحضارية والديمغرافية التى شكلت وخلّقت مجتمع الفلاشا بتلك الصورة المتفردة التى عرف بها والتى هى فى مفهوم ومنظور نظريات علم الاجتماع الحديث تعتبر حالة غريبة لأنه وحتى فى حالة المجتمعات النائية التى حبستها وعزلتها ظروف الطبيعة والعوامل الأخرى نجد فيها روح الخلق وكذلك روح التغيير الأجتماعى التى هى من خواص المجتمع الانسانى عموما . إلّا أن مجتمع الفلاشا مجمتع منغلق تماماً على نفسه ويسجل سلوكاً إجتماعياً فيه أدنى معدل للتطور والتغير الأجتماعى الأمر الذى يجعلنا مأخوذين حقاً وكأننا بصدد قبيلة ضائعة فى غياهب الزمان ..!

رقم ـ ١ خارطة شتات اليهود في العالم





مشهد من احدى قرى الفلاشا

قرية إندا باقونا، اثيوبيا ١٩٧٣م



أحد أسواق الفلاشا الاسبوعية
قرية تادا، اثيوبيا ١٩٧٣م

الباب الثانى

خيط أمل .. ومصيدة فناء

لقد حتمت البيئة الطبيعية والاجتماعية على مجتمع الفلاشا الصغير بأثيوبيا ظروف حياة مأساوية قاسية تشوبها سحب الخوف والشك والقلق وتحاصرها معطيات العدم والشظف وقسوة الانواء على ارض عقيمة العطاء ، صخرية ذات تضاريس حادة تمتص برودة الغشاء الجوى ليلا بعمق وتنفث قيظ حرارة الشمس بشدّة اناء النهار، مع معدل رطوبة عال فى ظل المطر . وللبيئة الطبيعية كما هو معلوم دور كبير فى تكيف حياة الانسان : فأنسان الفلاشا عموما مخلوق رفيع نحيل، كما هو دائم التوجس قليل الطمأنينة واهن الثقة ويتعامل مع الاحداث والآخرين بحسه وهواجسه اكثر من اعمال عقله . تشوب سحنته السمراء وطلعته مسحة حزن وأسى دفين رسمتها دواعى الشظف وقسوة الظروف

وانعـدام الامن والامـان فى بيئـة حياتية تفتقر لمقومات الحـ
الاساسية، فلا مياه الشرب النقية متوفرة ولا المأكل المتوازن و
السكن الصحى . فتغذيهم ناقصة مختلة حيث يعانى العديد منه
ان لم تكن الاغلبية من سوء التغذية وآلام الجهاز الهضمى وقرحة
المعدة والاثنى عشر التى يعزيها التشخيص الباثلوجى فى الغالب
لنوعية التغذية الرئيسية فى ذلك المجتمع . وغذاء الفلاشا يتكون
من (الانجيرا) وهى قراريص كسرة مصنوعة من دقيق الذرة أو
القمح مع إدام يعرف (بالزقنى) الغنى جداً بالتوابل حادة المذاق
والشطة اللاسعة المحرقة المعروفة (بالدايخ) كما تروج فى تلك البيئة
الفقيرة الامراض السارية المختلفة اختلاف مواسم وفصول السنة
من نزلات معوية وداء الصفراء الوبائى والحميات خاصة التيفويد
وحمى النخاع الشوكى والملاريا وحمى الامعاء، هذا مع جملة
امـراض وتعثـرات الطفولة والامومة الناجمة عن سوء التغذية
وانعدام العناية الصحية اللازمة ..

واستمرت ما استمرت الايام الطويلة فى شمال مقاطعتى قندر
وتقراى بمضارب الفلاشا تعمل معاولهم فى فلاحة مزارع الملاك
كعمال يدويين فى زراعة البن والحبوب الموسمية فى الرقع الزراعية
بالوديان وفى زراعة المدرجات الجبلية ولا نصيب لهم فى محصول
الاّ بقدر ما يتصبب من عرق اجسادهم . يمارسون الصناعات
اليدوية من غزل ونسيج بدائى بجانب صناعة الأوانى المنزلية
الفخارية والاعمال والمشغولات الجلدية . وحياة يوم فى قرية من
قرى الفـلاشا النائية المعزولة تعنى شقاء وبؤساً وعدماً، حيث

تشرق شمسهم على المعاناة وتغرب على المأساة ولكن بالرغم من اسباب المعاناة والعسر والمكابدة التى تهيمن هناك على ظروف اولئك البشر الاّ أن الحياة عندهم لم تتوقف . فالكبار يعملون فى المزارع من شروق الشمس حتي المغيب فى صمت وصبر ، يشيدون الاكواخ ويغالبون مراس حيوانات تلك المنطقة الأليفة من معيز وبغال وحمير، تعبث الايادى النحيلة المعروقة بأدوات ومواد الصناعة المحلية فى صبر وأناة، تحتطب النساء ويقمن بالواجبات المنزلية من اعداد لمستلزمات المأكل والمشرب وتهيئة الاكواخ ويقمن بتحضير شراب (المسّ) وهو نوع من المشروبات المحلية المسكرة . يرتع الاطفال و يتحلقون فى العابهم الجماعية ويفترش الكهنة الكهول الارض يعلمون الصغار والصبية تحت ظلال الاشجار ويقومون بمراسم العماد والعلاج الدينى واعداد التمائم ويباركون القران . كما يتسلل الحب والعشق هناك ويعرف طريقه بين الشقاوات والتعاسات الى القلوب الشابة العامرة، يغنون ويرقصون ولهم اعيادهم واحتفالاتهم وتعتمل فيهم كل معادلات الحياة الانسانية من خير وشر وموت وحياة . وتبقى جذوة الايمان بالمعتقد تشدّ منهم القلوب الواهنة الهلوعة كلما تداعت بأمل رحمة من السماء فتتعلق الرؤى والتطلعات بخيط الأمل والهجرة الى ارض الميعاد ـ فى متعقدهم ـ تتأرجح كأمنية وحلم يداعب أخيلتهم فى النوم والصحو وبين الشك واليقين.

ولعله منذ أوائل الخمسينيات كانت هناك شواهد لمساعى ومحاولات للفلاشا بشتى الطرق للأتصال بدولة اسرائيل والكيانات

اليهودية الأخرى بأوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية شارحين ظروفهم واوضاعهم المذلة طالبين يد العون . وفى ذلك الصدد اخذت اتصالاتهم اساليب مختلفة ومتنوعة من إرسال عروض احوال ومذكرات للخارج قام بحملها رسل يهود من العاملين الاجانب بأثيوبيا، وكان انشطهم ن حمل تلك المراسلات السرية بعض الاساتذة والمعلمين الذين كانوا يعملون فى المدارس الأثيوبية من الاجانب، كما قام دبلوماسيون لدول غربية ابان فترة عملهم بأثيوبيا بتدريب الاخبار الخاصة بمجتمع الفلاشا وإجراء بعض الترتيبات لأتصالات مباشرة بين كهنة الفلاشا ودولة اسرائيل وبعض الدوائر اليهودية الغربية، الّا أنه فى حينها لم تتعدّ أهمية تلك الاتصالات سوى التنبيه لوجود اقلية يهودية بأثيوبيا تتطلع بجسمها وروحها للألتحام بباقى المجتمع اليهودى خاصة فى دولة اسرائيل . ولعله ونسبة للظروف السياسية التى كان يعيشها اليهود ودولة اسرائيل فى ذلك الوقت لم تسمح بأن تجد مناشدات الفلاشا أذناً صاغية ، فدولة اسرائيل كانت تعيش فى ذلك الوقت (حمّى) البحث عن موطىء قدم لقبولها والاعتراف بها وسط الاسرة الدولية كدولة مستقلة . ذلك فى زمان أثار فيه ظهور الكيان الصهيونى الغاصب للأراضى العربية غضبة وحنق الرأى العام العالمى، واشتعلت نيران الكراهية والبغضاء ضدّ دولة اسرائيل واليهود، وانتعشت دوافع الحقد فى دراما جو عالمى يشبه تماما الظروف والأجواء السياسية التى عاشها اليهود قبل الحرب العالمية الثانية . فلقد كانت دولة اسرائيل تلهث وراء الاعتراف

يوم ودها، وتقوم كل الكيانات والمؤسسات الصهيونية بالضغط الإعلامي والسياسي والاقتصادي فى ذلك الاتجاه، ووقتئذ كان مجرد السكوت على وجود اسرائيل بالأراضي العربية المغتصبة من قبل دولة ما يعتبر نصراً واعترافاً ضمنياً يطمئن ويثلج الصدور فى ال اميب . هذا بجانب حقيقة ان دولة اسرائيل والكيان الصهيونى لم يكن معداً تماماً لتفهم وضع الفلاشا واستيعاب ماهيتهم العرقية والدينية والسياسية ، خاصة وان الفلاشا قوم (سود) ...!!
وبالرغم من ذلك لم تتعطل محاولات الاتصال ، فلقد تطورت مع مرور الزمن حتى نما جسر اتصال قوى بين جماعة الفلاشا والكيان الصهيونى خارج دولة اثيوبيا . وجرت فى مرحلة متقدمة بعض الزيارات التى قام بها يهود بيض الى قرى الفلاشا بأراضي قندر وتقراى تحت ستار السياحة والبعثات العلمية وذلك للتمكن من الوقوف على طبيعة الحال وإجراء إتصالات ومعاينات مباشرة بمجتمع اقلية الفلاشا الامر الذى ادى الى تسهيل مهمة سفر بعض كهنة الفلاشا الى خارج اثيوبيا، تلبية لدعوات من دوائر خيرية ودينية اجنبية حيث وجدوا كثيرا من التعاطف والتسهيل من قبل دولة اسرائيل وفى بعض العواصم الغربية . ولقد اثمرت تلك الاتصالات فى استقطاب بعض العون للفلاشا بصور مختلفة، فبمساندة الامبراطور هيلاسلاسى عن طريق وساطة الولايات المتحدة الامريكية تمكن الكيان الصهيونى فى عام ١٩٥٠م من دعم وتأسيس ثلاثين مدرسة فى منطقة الفلاشا ، لتعليم اللغة العبرية وتعاليم الدين اليهودى . ولكن سرعان ما بدأ نشاط تلك

المدارس فى الانحسار الى ان قفلت آخر مدرسة كانت قد انشأت بواسطة الكيان الصهيونى فى آخر الستينيات . وفى مجال المساعدات الصهيونية لجماعة الفلاشا كتبت مجلة روز اليوسف المصرية بتاريخ ١٩٧١/٣/٨م: (.. إن هناك جماعة تدعى ,,بيت اسرائيل،، بأثيوبيا قد بدأت تتحرك بطلب تقدمت به للحكومة الاثيوبية لتمنحهم قطعة ارض لغرض الزراعة فى الشمال الغربى من اثيوبيا وتبلغ مساحتها سبعة الاف فدان بالقرب من الحدود الاثيوبية السودانية ، وتقدمت المنظمة الصهيونية العالمية بدعم ذلك المشروع بتقديم مبلغ ثمانية عشر الف دولار أمريكى كدفعة اولى لأقامة مجمع صهيونى يهودى خدمى واعاشى كمنطقة امامية لأسرائيل فى قلب افريقيا ..).

ولكن بالرغم من تدفق مختلف المنح والهبات المالية والعينية فى شكل ادوية ومستلزمات طبية ومعدات وملابس ومواد غذائية، لم يتمكن الكيان الصهيونى من تأهيل واعداد يهود الفلاشا بالصورة التى كان يتمناها ويطمع فيها . فبجانب سلبيات عدم الاستقرار والمعوقات الطبيعية الموجودة بمنطقة الفلاشا وتفشى الجهل والتخلف بين مجتمعهم، كان هنالك عامل آخر وهو رد فعل السلطات الاثيوبية تجاه عمليات تأهيل يهود الفلاشا والتى كانت تدرك حقيقة التمدد الصهيونى فى اراضيها محاولة الاستفادة من ذلك التمدد بشتى الطرق، وهادفة للأستحواذ على المساعدات التى كانت فى طريقها للفلاشا . ونسبة لوجود كثير من المتناقضات فى التركيبة الاجتماعية والثقافية لاقلية الفلاشا ـ (فهم لا يتحدثون

العبرية ولا يعرفون لسانياتها وغير معروف فى اوساطهم اى تنظيم دلى او زعامة تربط بينهم) ـ باءت كل الجهود المضنية بالفشل فى عملية تهويد وتأهيل الفلاشا محليا فى أثيوبيا الشيء الذى احسه ولمسه الكيان الصهيونى وبدأت قناعاته ظاهرة فى أوساط الوكالة اليهودية العالمية والمجلس العالمى للحركة الصهيونية الذى وصل لقناعة عدم جدوى متابعة النشاطات غير المجدية بأراضى قندر وتقراى، بل وصل الامر ببعض قادة الحركة الصهيونية الى حد الدعوة العلنية لدفع الفلاشا وتشجيعهم على اعتناق المسيحية . ولقد دعا اسرائيل ياشياهو Yisreal Yashayahu وهو عضو سابق بالكنسيت الاسرائيلى الى أهمية ابداء النصح الى الفلاشا بضرورة حل مشاكلهم عن طريق اعتناق المسيحية ! .. وحيال تدفق الفلاشا المقتدرين او الذين تدبروا امر سفرهم وهروبهم الى اسرائيل بطريقة او اخرى فى محاولاتهم للهجرة، بدأت اسرائيل تسمح لهم بالزيارة كسواح وزوار فقط وذلك بعد اثبات وجود تذكرة عودة لديهم، أما اذا حاول البعض منهم البقاء بأسرائيل بعد انتهاء فترة الزيارة فكان يلاحق بالمغادرة ويهدد بالطرد ..!

والشاهد انه بالرغم من المحاولات والمجهودات المتعددة للافراد والمؤسسات التى توالت عبر سنوات طوال، لم يجد الفلاشا اهتماما مباشرا أو جاداً من دولة اسرائيل الآ فى ٢٢/٢/١٩٧٣م حين دعت المنظمات الصهيونية فى خارج اسرائيل مجتمعة الى ضرورة الاهتمام الجاد بيهود الفلاشا الموجودين فى اثيوبيا، وانتقدت بشدة تجاهلهم وقلة المساعدت التى تقدمها المنظمات،

اليهودية لهم، كما أشارت الى مخاطر مغبة عدم الاهتمام بالفلاشا الامر الذى سيؤدى الى ان يواجهوا بنفس المصير الذى لاقاه يهود الصين فى مطلع هذا القرن . وإثر ذلك التوجه والجهود والمبادرات والقرارات الجديدة، تضافرت المناشدات المكثفة لمؤسسات الكيان الصهيونى خارج دولة اسرائيل لدفع مسألة يهود الفلاشا تضامنا الى أن تم ولأول مرة فى ١/٣/١٩٧٣م إعتراف يوسف عفيدا Oveda Yosef كبير حاخامى اليهود الشرقيين فى اسرائيل بحق يهود الفلاشا فى العودة الى أرض الميعاد ، وأقرّ بأنهم من قبيلة دان التى هاجرت الى اثيوبيا فى الهجرة الأولى . واثر ذلك التصريح والاعلان قام جدل عظيم بين مؤيدى ومعارضى المبدأ مما خلق مادة اعلامية وسياسية ساخنة استهلكتها الصحافة الاسرائيلية محلياً، وتضاربت الاراء بين متعاطف وشاجب للفكرة من اساسها و كشّرت العنصرية عن انيابها وخلعت الصهيونية سترها وافصحت عن نفسها حتى اخذت تلك الموجة العارمة مداها لتستقر على شاطىء الواقع الصهيونى السقيم.

فى ٢٢/١٢/١٩٧٤م أعلنت الحكومة الاسرائيلية عن وفاة بهران باروخ المعروف ببورى بن باروخ الاثيوبى من جماعة الفلاشا فى اسرائيل عن عمر يناهز الاربعة والثمانين عاماً . ومع أن بهران باروخ هذا لم يكن يحمل اىّ صفة سياسية او قيادية، الاّ أن السلطات الاسرائيلية عمدت الى نشر صورته ونعيه بطريقة ملفتة للنظر فى الصفحات الاولى بالصحف الاسرائيلية التى وصفته بأنه اول فلاشى اثيوبى يموت بأرض الميعاد .. ! ويبدو أنه

.. اسبـاب الأهتمام بالمهاجر الفلاشى الاول الايحاء بمقدمات
اعاق المنـاخ ولتهيئـة الرأى العام الصهيونى للقبول بالفلاشا
والتمهيد على طريق الاعتراف بهم كيهود . لأنه حتى ذلك الاعتراف
الذى صدر من كبير حاخامات اليهود الشرقيين لم يؤخذ به مأخذ
الجدّ الاّ بعد عامين (عام ١٩٧٥م) أىّ فى الوقت الذى تم فيه
الاعتـراف رسميـا بالفلاشا من قبل دولة اسرائيل كرعايا يهود
اسرائيليين، يحق لهم التمتع بحقوق المواطنة الاسرائيلية متى ما
وصلوا الى حدود دولة اسرائيل بأى وسيلة ناقلة دون قيد او شرط
. ولقد سبق ذلك القرار اعتراف شلمور جورين رئيس الحاخامات
الاشكنـازيـين بيهـود الفـلاشا على مضض وبشرط أن يخضع
الفلاشا للتهويد حسب الشريعة . ونشأ خلاف كبير داخل الاروقة
الاسرائـيليـة الرسـميـة عنـدمـا أعلنت لجنـة وزاريـة فى
١٠/٤/١٩٧٥م منح حق المواطنة الاسرائيلية للفلاشا، وطالب
الحاخام شلمور جورين بأن يتولى عملية تهويد الفلاشا أشخاص
متخصصـون بشئـون الشريعـة وأرشد الحاخام عفيدا يوسف
اللجنة الوزارية الى ضرورة وأهمية مراعاة أسس الشريعة التى
تتنافى ومعتقدات وممارسات الفلاشا الاثيوبيين انفسهم للديانة
اليهـوديـة ..! وظل الامر معلقا على ذلك النحو بين شدّ وجذب
واشتراط وقبول ورفض ليهود الفلاشا الذين لم يكن لديهم رأى أو
يد فيما يجرى.

وفى الاسبوع الأول من يوليو ١٩٧٥م أبلغ نائب وكيل وزارة
الداخليـة الاسرائيليـة يهودا بتخير وزارة الاستيعاب أن وزارة

الداخلية لم تعد ترى أن قانون العودة يعطى الفلاشا حق العودة الى ارض الميعاد .. ؟! وبناء على ذلك القرار أُعيد تأليف لجنة فى آخر يوليو ١٩٧٥م من وزارة العدل والداخلية والاديان والاستيعاب إضافة الى رئيس الوكالة اليهودية للبحث فى قضية يهود الفلاشا . ورفعت تلك اللجنة توصياتها اخيرا بالموافقة حيث صدر بيان على لسان وزير الداخلية الأسرائيلى مسراد حابنيم Misrad Hapənim يقضى بتطبيق قانون العودة الصادر فى ١٩٥٠م على يهود الفلاشا وعليه يعتبرون مؤهلين ويحق لهم التمتع بحق المواطنة الاسرائيلية شريطة التزامهم بأعتناق الدين اليهودى كما هو مطلوب فى قانون (سجلات النفوس الاسرائيلى). ولقد تعاظم فى ذلك الوقت وبعد الاعلان جدل وخلاف كبير تجاذبته دوائر واوساط الصهيونية العنصرية فى كيفية القبول والاعتراف (برعايا سود) بدولة اسرائيل ليتمتعوا بكافة حقوق وواجبات حق المواطنة الاسرائيلية ..! ومراعاة لحالة ودواعى الأمن والسلام العام بأسرائيل صدرت قرارات وتوصيات فوقية تقضى بأن يكون ذلك الاعتراف بيهود الفلاشا من قبل دولة اسرائيل أمراً (محلياً) . كما قام جهاز مراقبة الاعلام الاسرائيلى (السنسرة ـ Sensor-ship) بمنع تداول أىّ مادة مكتوبة او منثورة حول الموضوع ـ فلا غرابة أن لا تتناول أجهزة الاعلام العالمية خبر ذلك القرار بل تضمنته ملفات الادارات الاسرائيلية ليقبع فى ملفاتها السرية وبين مستندات (الموساد ـ المخابرات الاسرائيلية) ليعمل به فى صمت ولا يعلن عنه خاصة والأمر يتعلق بسلخ جنسية مواطنين يعتبرون

و ... نظام الاول رعايا دولة أخرى . فمن خلال التجربة الانسانية
امام اية حرب للانسان واستقلاله الدولي ... معنى أن يتخلى
الانسان عن جنسيته الاصلية ليحصل على جنسية اخرى
لاسباب متعددة وكذلك فان المجتمع الانساني الحر [illegible]
والظروف التي تمليها ، وقد تغيرت بحكمها اعراف والقوانين [illegible]
... امر معروف . ولكن ان تعمل دولة على سرقة شعب من دولة
... جنسيته الاصلية وتعطيه جنسية اخرى فهذا ما تمكن ... وهو
الامر الذي فعلته اسرائيل مع الفلاشا ... من غير المعقول
ان تعلن دولة اسرائيل وعلى الملأ ... عن استدراجها
لرعايا الفلاشا الاثيوبيين ان يتركوا وطنهم اثيوبيا ويتخلوا عن
... ليتمتعوا بالجنسية الاسرائيلية . الا ان الاخبار تسربت
عندما صرح رئيس دائرة التربية الاسرائيلي ... في المؤتمر
اليهودي العالمي لدورة ٧٤ - ١٩٧٥م بأن الوكالة اليهودية سوف
تتكفل بنفقات سفر سبعين شخصا من الفلاشا الاثيوبيين من
اثيوبيا إلى اسرائيل ، وأذاعت اذاعة اسرائيل على أثر ذلك التصريح
خبراً عن احتمال وصول سبعين شخصا من يهود الفلاشا إلى
اسرائيل ، فالتقطت السلطات الاثيوبية ذلك الخبر وتم ايقاف سفر
سبعين من الفلاشا الاثيوبيين كانوا في طريقهم الى اسرائيل ، حيث
اثار الخبر حفيظة السلطات الاثيوبية واشتباهها بأن المقصود
بسفر سبعين مواطنا من الفلاشا الاثيوبيين يعني هجرة وليس
لمجرد العمل باسرائيل ، هذا بالرغم من الترتيبات التي أعدت
لسفرهم حيث تم تزويد السبعين شخصا بالاوراق الثبوتية

والمستندات التى تؤكد أنهم ذاهبون للعمل فى مصانع (مؤسسة كور) الاسرائيلية . وتم تطويق الواقعة والتكتم عليها واحتجت السلطات الاسرائيلية لدى الوكالة اليهودية بأن نشر أى خبر بخصوص الفلاشا يعتبر عملاً و تصريحاً ضاراً وسابقاً لاوانه ويعرض يهود الفلاشا للخطر ضمن الوضع غير المستقر فى اثيوبيا . ولقد تحتم على اسرائيل وجوب التكتم على اعترافها بيهود الفلاشا وقبول استيعابهم خوفاً من الاثارة وافتضاح إجراءاتها المخلة للاعراف الدولية، وردود الفعل الاثيوبية والافريقية والعالمية فى وقت توترت وتعقدت فيه احداث قضية الشرق الاوسط التى اكتنفها فى تلك الايام تناول مكثف فى وسائل الاعلام ونشاط دبلوماسى وسياسى واسع فى العالم قاطبة . ولقد تزامن ذلك الحدث ومنظمة الوحدة الافريقية فى أوج نشاطها وتضامن اعضائها كصرح دولى اقليمى له وزنه ومواثيقه ومقدراته الواضحة والتى تملى ضمن ما تملى عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الافريقية . كما كان الاستهجان واضحا فى مقررات منظمة الوحدة الافريقية حول اغتصاب اسرائيل للاراضى العربية ومحاولات التمدد فيها، وكل الادانة والتنديد بالدور الخطير الذى تحاول اسرائيل والصهيونية أن تلعبه فى استدراج بعض الدول الافريقية بالتغلغل فيها.

نعود فنقول أنه وحتى يتسنى لدولة اسرائيل تبنى الفلاشا واستيعابهم فى المجتمع اليهودى نجدها قد تراجعت كثيرا عن اصول قانون هجرتها المتزمت ومؤهلات الهوية المرتبطة بحقوق

ا[illegible] رغما عنها، وعلى مضض من الفلسفة اليهودية ا[illegible] وضد ارادة بعض قادتها والرأى العام الصهيونى ..!
[illegible] انه وبرغم كافة الاعتبارات كانت هناك دوافع قوية [illegible] قاسية هى التى حملت الكيان الصهيونى لأتخاذ [illegible] القرار الجرىء والخطير والذى ينافى ويجافى كثيرا من [illegible] الصهيونية ومعتقداتها العنصرية المسبقة . فأسرائيل [illegible] على رماد حرب عنوة وغصبا وتعيش على شفا حرب [illegible] اىّ وقت على طريق تحرير وإسترداد الاراضى العربية [illegible] مما جعل مناخ الحياة المدنية فيها ضربا من ضروب [illegible] والعدم، فالمواطن المهاجر الاسرائيلى ذكر أو أنثى [illegible] الاجراءات الأمنية القاسية التى يعيشها كجزء من [illegible] اليومية يتعرض دورياً لعملية (عسكرة) مركزة يتلقى فيها [illegible] عسكرياً نظرياً وعملياً مرهقاً، ويتدرب على شتى طرق القتال [illegible] لتأهيله كمقاتل رفيع المستوى فى مقابل تحديات أن يكون او لا يكون . وتعيش اسرائيل فى حالة استعداد وإستنفار قصوى ([illegible]ديمة) تقف عليها ادارات متخصصة كثيرة وعمالة ضخمة [illegible] خلف أجهزة الرادارات ومعدات الأنذار المبكر وتقنيات [illegible] الانصات والكل فى ذلك الجو من الهلع يجد نفسه على أهبة الا[illegible]عداد والحذر المستمر . والمواطن الاسرائيلى فى ذلك المناخ ال[illegible] بالتوتر يجد نفسه مجرد «وحدة» مستغلة تحمل رقماً [illegible]رياً رهن إشارة الدولة ذات التكتيك الدقيق فى توزيع ال[illegible] اطنين كقوى بشرية على المستوطنات والاراضى المستصلحة

حدث في [illegible] في موقع ذات سمة استراتيجية
عسكرية حربية وسياسية [illegible] جديدة [illegible] ويتم
توزيع المستوطنين [illegible] لا مراعاة [illegible] العوامل البشرية ولا
[illegible] من عوامل نفسية واجتماعية [illegible]
[illegible] المستوطنون في الأغلبية [illegible] عن [illegible]
[illegible] الجماعية في [illegible] ظاهرة [illegible] التي [illegible] في [illegible]
[illegible] سلوكيات [illegible] نفسية [illegible]
[illegible] العصبية والنفسية والشعور الملازم بالقهر والضيق
[illegible] أو عمليات هروب [illegible] من دولة إسرائيل الى خارجها
بروز ظاهرة الهجرة المعاكسة أي الهجرة من داخل إسرائيل
الى الخارج هروبا من جحيم الظروف والأوضاع الطارئة المثيرة
المرهقة للأبدان والأعصاب. فكانت الهجرة المعاكسة تلك الخطر
الذي بات يتهدد كل المخططات [illegible] الإسرائيلية ويحتم
إخفاقها في تحقيق برامجها الرامية لتأسيس دولة التي تجمع
[illegible] العالم [illegible] ظاهرة الهجرة المعاكسة عن [illegible]
[illegible] مستمرة في [illegible]
[illegible] ١٩٩٠م الالكترونية [illegible]
[illegible] في جبهات القتال [illegible]
نشاط العمليات الفدائية المكثفة في داخل الأراضي المحتلة وخارجها
[illegible] في العواصم الغربية حيث [illegible]
[illegible] المختلفة والتي [illegible] القاموس السياسي
والإعلامي العالمي عبارة (الإرهاب .. TERRORISM)

ولقد تمت عمليات الهجرة الى اسرائيل في مختلف المناسبات بطريقة ومعدلات كمية هدفت بسلامة تحقيق الهدف الاساسي الصهيونية وهو جمع الشتات بالارض العربية المحتلة أي جمع كل يهود العالم بدولة اسرائيل . ولكن لم تحقق الصهيونية بنفس القدر من النجاح الذي كانت ترسمه وتخطط له بكل ما اوتيت من قوة أو وسيلة . فمن مجموع ثلاثة عشر مليون يهودي في العالم نجد ان هناك فقط ثلاثة ملايين ونصف يعيشون في اسرائيل وبدأت تعمل فيهم الهجرة العكسية سببا لينخفض ذلك العدد يوما بعد يوم . ومن جهة اخرى يمكن ملاحظة ان الشعور بالفشل في جميع يهود الشتات واضح بشكل خاص في حالة يهود الولايات المتحدة الامريكية ، اذ تشير الاحصائيات الى ان من هاجر الى اسرائيل منذ عام ١٩٤٨م والى عام ١٩٨٢م فقد عدد خمسة وستين الف يهودي في حين انه يوجد بالولايات المتحدة الامريكية عدد خمسة مليون وخمسمائة وسبعون الفا من اليهود ولحل هذه المشكلة تبذل عدة مؤسسات صهيونية بالولايات المتحدة جهودا مضنية في محاولات لتشجيع الهجرة الى اسرائيل ولكن دون نجاح ملحوظ . وقد صرح في هذا الصدد "يتسحاق جانور" رئيس مركز الهجرة الى اسرائيل في نيويورك : (ان المشكلة الكبرى التي تواجه اليهود الامريكيين هي عدم معرفتهم الكافية باسرائيل ، وانهم يعرفون فقط ما يقرأونه في الصحف فيسمعون عن التضخم وعن الحرب وعن الارهاب ولكنهم لا يعرفون ما هي اسرائيل) ويشير جانور في الوقت نفسه الى ان خوف اليهود الامريكيين من الصعوبات الاقتصادية في

إسرائيل يزداد بسبب الهجرة المضادة "العكسية" من إسرائيل تجاه الولايات المتحدة حيث يتواجد فى الولايات المتحدة اكثر من ثلاثمائة وخمسين ألف إسرائيلى لا يرغبون فى العودة الى اسرائيل بأىّ حال !..

قلّت عمليات الهجرة الى اسرائيل وتقلصت معدلاتها وحلت محلها الهجرة المضادة "العكسية" وتوقف سيل التدفق البشرى من المهاجرين تجاه اسرائيل الشىء الذى خلق فجوة فى برامج سياسة الاستيطان وهزّ ركيزة الصهيونية الحديثة التى وصلت الى حافة الفشل فى أن تكون القوة الخلاقة كما كان الحال مع الصهيونية القديمة فى دورها للتوصل الى استقطاب كافة شتات يهود العالم وبرمجة تهجيرهم الى دولة اسرائيل لتمكينها وتأكيد الاسطورة الصهيونية. ولقد انقلب الشعور بالفشل عنصراً ضاغطاً ملحاً على دولة اسرائيل والمنظمات الصهيونية لتشعر وتحسّ فى حالة يأسها بالحاجة الماسة للدعم البشرى أياً كان نوعه من البيض أو الملونين كانوا أو سوداً الشىء الذى أدى بطريقة مباشرة الى الاهتمام والاعتراف وتبنى الفلاشا الاثيوبيين ليحق لهم حق المواطنة الاسرائيلية. كما امتدّ الامر بالصهيونية فى نفس الاطار أن تجتهد فى مغازلة اقلية شبه اليهود بالهند فى مجتمع (البارسى) وكذلك فى امريكا اللاتينية فى اوساط الملونين والسود. والشاهد انه ومنذ بروز تلك الازمة فى فقر وشح الدعم البشرى ظلت اسرائيل تعرض وتدفع اعلى الأسعار والمخصصات المالية فى التعاقد مع محترفى الحرب والمرتزقة فى اسواق العمالة وعصابات

الحرب لسد العجز وتأمين تعزيزات المرابطين فى مواقعها العسكرية المتقدمة.

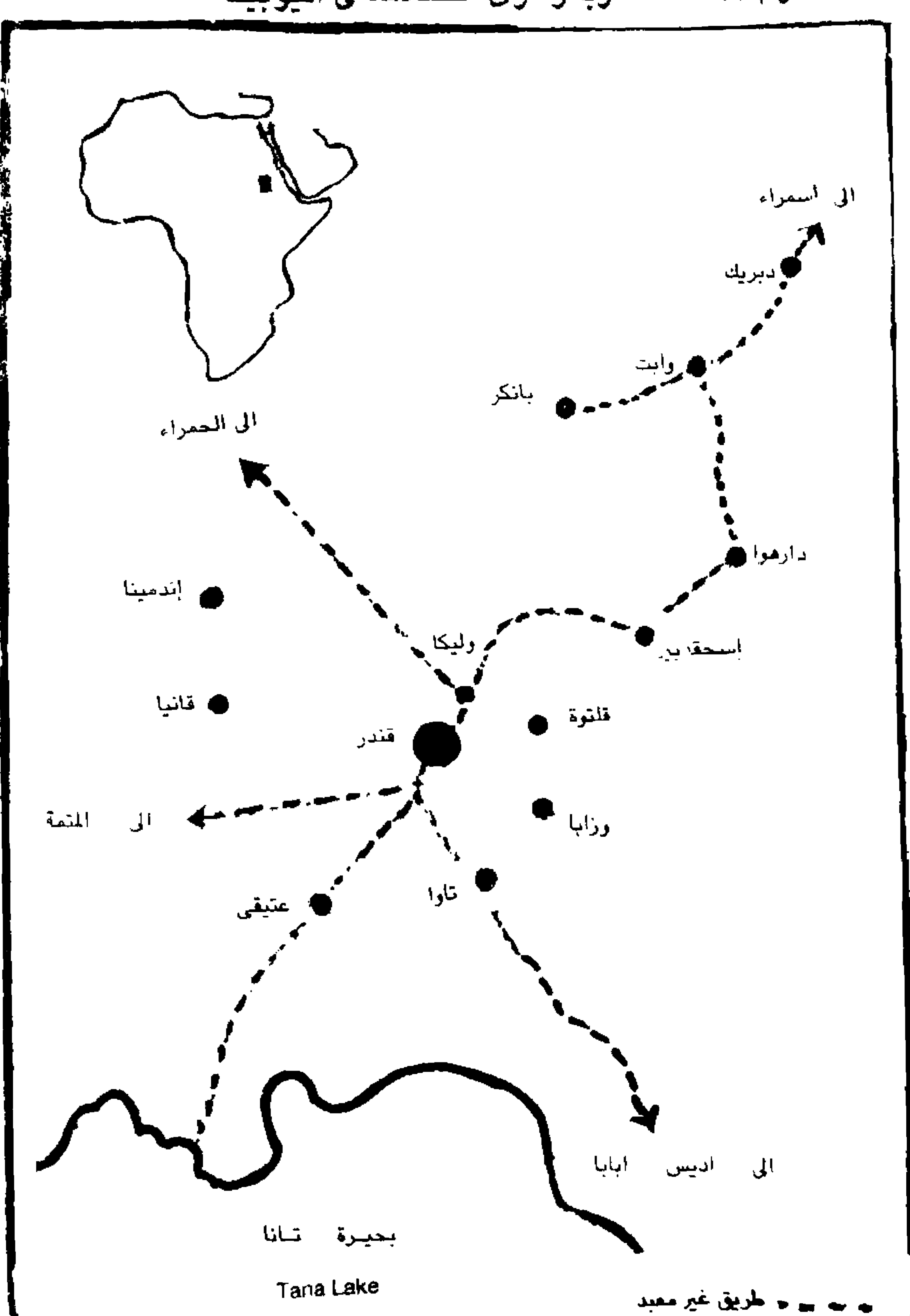
ولكن إذا أرادت دولة اسرائيل هجرة اقلية الفلاشا الاثيوبيين لها من اجل دعم معدلات الهجرة ولملمة يهود الشتات وتحسين اخفاقات برامجها الاستيطانية التمددية ، هل تسمح دولة اثيوبيا الاشتراكية الشعبية بهجرة مواطنيها لخارج البلاد مجانياً لينتحلوا صفة وجنسية جديدة ؟! .. كان ذلك السؤال هو هاجس دولة اسرائيل بعد تغلبها داخليا على محنة مداولات وتجاذبات عملية الاعتراف بيهود الفلاشا السود. وبالطبع لم تكن دولة اثيوبيا ان ترضى لمواطنيها مختارة بأى هجرة جماعية خارج حدودها مهما كانت الاسباب او الدواعى لان ذلك يعنى بالضرورة الاهانة والمساس بسيادتها والتلاعب بقدسية حقوق المواطنة فيها. ولذا كان رأى حكومة اثيوبيا الاشتراكية الشعبية واضحا فى تمسكها بمواطنيها الفلاشا والتعبير عن استهجانها بأنهم مواطنون اثيوبيون فى المقام الاول ويمارسون احدى الديانات الائتلافية المتعددة فى اثيوبيا والتى تشبه طقوسهم ملامح اليهودية فى اقتباس تعاليم العهد القديم ، وإنها تتهم غرباء وأيادٍ خارجية بتحريضهم ومحاولة تهويدهم وتبديل ديانتهم والتدخل السافر فى شئون اثيوبيا الداخلية.

وعلى ضوء الاغراءات الاسرائيلية ورحابة الروح الاستيعابية التمددية استمرت عمليات هروب الفلاشا الفردية وفى جماعات صغيرة الى خارج اثيوبيا صوب اسرائيل بمختلف

الأساليب والسبل وسعت حكومة أثيوبيا الاشتراكية الشعبية
جاهدة لتصوير أمر الظاهرة بتصنيف الشذاذ من مهاجري الفلاشا
وأمثالهم المسجونين الأثيوبية من سجون (عالم بكا) بالذين قبض
عليهم متلبسين بمحاولة الهروب أو الذين يتعاونون في ذلك
الانتماء أو الذين يمتهنون تهريبهم وكيسارة (عالم بكا) تابعة
الامهرية تعني زنزانة الدائمة وتلك مجموعة من سجون الأثيوبية
الداخل فيها هالك والخارج منها يكتب له عمر جديد فهي سجون
قديمة منتشرة في عدد أماكن وغير معروفة بالنسبة للمواطن
الأثيوبي العادي ولقد درج ... يودع بها المحكوم والخارجين للنظام
الحكم منذ عهد الامبراطور هيلاسلاسي وهي عبارة عن سجون
فاشية الطراز، فيها القتل والتعذيب والعزل عن الشمس
والحياة. ولقد ألقت حكومة أثيوبيا الاشتراكية الشعبية وبالاً
على الفلاشا بإتهامهم بالخيانة والتواطوء مع دولة اسرائيل
وبالعمالة الامريكية و التعاون مع الجواسيس وعملاء المخابرات
الامريكية . وفي مقاطعة قندر اشتد غضب حاكم الاقليم الميجور
ميلاكو Major Melaku على مواطنيه من الفلاشا عندما أدى
الموسم الزراعي في الاقليم بالفشل نسبة لشح الامطار والجفاف
فساق جنده في جردة تأديبية على قراهم وعمل فيها حرقاً وتشريداً
وعنفاً كما ساق أعداداً كبيرة من شباب الفلاشا الى سجون عالم
بكا ومعسكرات الخدمة الالزامية القاسية. وهكذا أدى إعتراف
دولة إسرائيل بالفلاشا وتبنيهم كمواطنين اسرائيليين الى وضعهم
في مصيدة ظروف محلية قاهرة غاشمة لا فكاك منها بداخل

[illegible] حقيقة عصب حكومة اثيوبيا الاشتراكية
[illegible] في طريقهم يحرمانهم حتى من حرية
[illegible] الاثيوبي

خارطة رقم ـ ٢ مضـارب وقـرى الفـلاشا في اثيوبيـا



البـــاب الثالث

أصـــابع الاخطبـــوط

من آثار عقم الطبيعة فى ظاهرة الجفاف والتصحّر المدارى انعدام الامطار وقلة الرطوبة التى تصيب الارض بالجدب .. الماء عصب الحياة فما ان ينعدم بأرض حتى يصيبها الجفاف فتتصلب التربة المتماسكة وتنكمش متشققة متفتتة، وتتحقّف الوديان فتعمل فيها الرياح الجافة عمل التعرية والتجريف بنقل رمالها التى تدفن المروج والغيطان المستصلحة فيندثر فيها كل اثر ومعلم صنعه الانسان لتصريف المياه والرى.. كما تندثر تحت الرمال الناعمة المنقولة مزالق السيول والوهاد ومواطىء البرك فتبدو الوديان والبرارى قاحلة مسطحة ممتدة وامتداد البصر.. يهيمن المحل بانحسار الخضرة تدريجيا فتنعدم الحبوب والغلال والخضر والفواكه والثمار البرية.. ويصيب الكساد المراعى فتنفق الحيوانات الأليفة والوحشية وحتى الطيور ترحل وتبقى منها فقط الجوارح التى تعيش على بقايا الجيف.. وتتأزم لجملة ذلك الحال

عملية الإعاشة من أساسها وتضطرب لها كل مقومات الحياة الطبيعية الأمر الذي يؤدي مباشرة الى حدوث مجاعة عامة وهلاك كل الكائنات التي تسعى في مرعى الجفاف والتصحر - وهذا ما حدث فعلاً منذ أواخر السبعينات في منطقة وسط افريقيا والقرن الأفريقي التي ضربتها موجة عنيفة من الجفاف والتصحر. كانت كارثة حقيقية بكل معنى الكلمة ولقد حدثت تلك الكارثة لاهتمام المراقبين الدوليين بشكل محدود في المؤسسات الاقليمية والمتخصصة التابعة لهيئة الامم المتحدة والاسرة الدولية كافة . فلقد كان الوضع خطيراً للغاية بسبب الظروف والاحوال المتشعبة عن الاستقرار هناك الى جانب قسوة الطبيعة وانعدام الاستراتيجية ونقص المجاعة والإغاثة كانت هناك الحرب الاهلية الطاحنة تجري في الاوقادين بجنوبي اثيوبيا. كما تدور بشمالها حرب العصابات التي يقودها حزب الوحدة الديمقراطي (E.D.U) المناوئ للحكومة الاثيوبية . وجماعات جبهة ارومو المعارضون ايضا يستميتون في نضالهم المسلح ضد الحكومة هذا والى جانب حرب التحرير الاريترية التي تقوم بتصعيدها فصائل جبهات التحرير الاريترية المختلفة.

وعندما تسامت الاخبار عن الاحوال السيئة والظروف القاسية التي يواجهها الفلاشا باثيوبيا ودواعي عدم الاستقرار بالمنطقة والاجراءات التعسفية الشاذة التي يلاقونها هناك الى جانب معاناتهم الحياتية في ظل الاوضاع المعيشية والصحية. انزعج الكيان الصهيوني ايما انزعاج للظرف الحرج الذي زج فيه

[illegible] الصومالية [illegible] علاقتها
[illegible]
[illegible] الإثيوبية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الإثيوبية [illegible]
[illegible] حكومة [illegible]
[illegible] الإثيوبية [illegible] الحكومة الإثيوبية [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] الحكومة [illegible]
الإسعاف [illegible] حولت الحكومة الإثيوبية [illegible] خلال تلك
المراوغة [illegible]
منطقة جهات كثيرة [illegible]
الأطفال [illegible] الإغاثة [illegible]
وحرمانهم [illegible] خاصة [illegible]
جانب عن [illegible]
استقرار [illegible] الجماهير في وقت [illegible]
الأمور [illegible] الحكومة الإثيوبية [illegible] دولة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] مع حكومة نميري سيقوم [illegible] في سابق اتفاق معه
[illegible] الأثيوبيا بجانب [illegible] في أعقاب مغادرة [illegible]
[illegible] (١٢٣٠) من الفلاشا من أثيوبيا إلى إسرائيل [illegible]
[illegible] المكتب الاستخبارات الإسرائيلي وقد كتب أحد قادة [illegible]
[illegible] فريك ITCAUS [illegible] بتاريخ ١٣ / ١٩٨٥م مقتبسا عنها -
[illegible] إسرائيل دولة قد قامت بعملية مزدوجة باستخدام اليهود
الأثيوبيين الفلاشا بعتاد عسكري [illegible] بجهود [illegible] حكومة
[illegible] هيلا مريام [illegible] وحسب المعلومات الواردة بنفس الجهة
[illegible] المخابرات الإسرائيلية الموساد قد ساهمت في الحكومة
الأثيوبية بمعدات عسكرية تضمنت صواريخ من طراز جو - جو
وقامت بتركيب محطات رادار إلى جانب بعثة أثيوبيا بعدد من
الخبراء والفنيين العسكريين [illegible] على هذه المعدات والتقنيات
[illegible] بواسطة شركة [illegible] AMIRON للاستيراد والتصدير
التي مقرها في تل أبيب [illegible] في مقالة نشرت صحيفة [illegible]
[illegible] وصف العملية بتفاصيل أكثر حيث أورد أن إسرائيل قد
استمرت في علاقاتها الخفية مع الحكومة الأثيوبية وأن كثيرا من
الشركات الإسرائيلية قد [illegible] عن فروعها في [illegible] وكان هناك
تعاون سري عسكري واقتصادي رفيع بين البلدين ووفقا [illegible]
نفس المصدر فإن فنيين إسرائيليين هم من قاموا بصيانة
الصيانة الطائرات (F5) الأمريكية التي يستخدمها الجيش
الأثيوبي في قصف وحدات الجيش السوداني والإرتريين [illegible]
نفس المصادر أن [illegible] أثيوبية مقاتلة قد تدربت في [illegible]

اسرائيل على استخدام دبابات سوفيتية الصنع بحوزة سلاح الدروع الاسرائيلى وكانت اثيوبيا على وشك تلقى اعداد منها من الاتحاد السوفيتى، هذا بجانب دعم اثيوبيا بقطع غيار وأسلحة وذخائر مختلفة ـ ولكن سرعان ما توقف ذلك التعاون بعد تصريحات موشى ديان بسويسرا وتازمت العلاقة مما ادى الى مغادرة المستشارية الاسرائيلية وممثلى الشركات الاسرائيلية اثيوبيا. وعلى نقيض تلك المعلومات والافادات كتبت صحيفة أولغاكابل ويك فى فبراير ١٩٨٥م Olga Cable Week تقول: (.. ان الأخبار التى تدعى ان الاثيوبيين قد قاموا بصفقة تبادل مع اسرائيل أىّ اسلحة فى مقابل يهود الفلاشا والتى روجها الاعلام الامريكى غير مقنعة، وذلك لان السلاح السوفيتى لا ينقص النظام الماركسى الذى تلقى عونا سوفيتياً مرموقاً، فحتى فى حالة ان اضطرت اثيوبيا لشراء اسلحة فهى بالتاكيد ستفضل ان تكون الصفقة تجارية بحتة هذا علاوة على ان سعر السلاح المباع بواسطة اسرائيل مرتفع جداً..). ولكن الثابت بالوقائع والاحداث المرصودة يدلّ على ان دولة اثيوبيا لم تكن فى يوم معروفة كدولة (مشترية) فى سوق السلاح لا فى تاريخها القديم ولا الحديث، فقد ظلت اثيوبيا تعتمد فى مسألة التسلح اعتماداً كلياً على الهبات والدعم عن طريق علاقاتها مع الدول المصنعة للسلاح بصورة مباشرة او غير مباشرة بشروط أو غير شروط مرتبطة بمصالح دولية. ولعله ومن خلال لمحة قصيرة لتاريخ تسليح اثيوبيا يثبت لنا ان اثيوبيا دولة غير مشترية للسلاح وغير معروفة فى أسواق بيعه،

وعلى سبيل المثال نجد انه ومنذ عام ١٥٣٧م كان الملك الاثيوبى (لبنا دنجل) يتلقى عوناً عسكرياً من البرتقال عبارة عن سيوف ورماح وبنــادق وغدارات ومعدات لتحضير البارود، بل فى عام ١٥٤١م تلقت اثيــوبيا عوناً عسكرياً عبارة عن إستقدام قوات برتغالية قوامها أربعمائة جندى مسلح بكامل عتادهم بقيادة كريستوفر دى غاما للمساعدة فى محاربة مملكة (عدال) وقائدها أحمد غارنج وبتلك المساعدة تمكنت من تعزيز موقفها ودحر مملكة عدال. وفى النصف الثانى للقرن التاسع عشر جند الملك يوهانس الاثيوبى قواته الى جانب بريطانيا وتلقى فى مقابل ذلك التحالف منحــة اسلحــة قيمــة تحوى ذخائر بريطانية وآلاف من بنادق الرامنجتون ومدافع وملابس ومعدات ميدان عسكرية. وفى عهد الامبراطور منليك استطاع فى الفترة الواقعة بين ١٨٨٠ ـ ١٨٩٠م ان يتحصل من حلفائه الاوربيين على هبات ومساعدات عسكرية بلغت عدد مليون بندقية وسبعة واربعين مليون رصاصة وأعداداً من المدافع التى كانت فى وقتها اسلحة متطورة جداً لم تشهد افريقيا لها مثيلاً حتى ذلك الحين. أما فى فترة الامبراطور هيلا سلاسى فلقد وقعت الولايات المتحدة الامريكية مع اثيوبيا بتاريخ ٢٢/٥/١٩٥٣م اتفاقية عسكرية لمدة خمسة وعشرين عاماً وعلى اساسها تولت الولايات المتحدة مهمة تأسيس وتدريب وتسليح الجيش الاثيــوبى، وبمــوجب نفس الاتفــاقيــة تمكنت الولايات المتحدة من اقامة قاعدة عسكرية لها فى اسمرا بأثيوبيا (كانيو استيشن) وحصلت على تسهيلات لاقامة استحكامات ساحلية لها

بمثابة مصوع لقواتها البحرية بالبحر الأحمر والمحيط الهندي
وأخذ السلاح الأمريكي يتدفق على أثيوبيا بسخاء حيث حظيت
أثيوبيا في الخمسينيات على ثلثي الدعم العسكري الأمريكي
المخصص للدول الأفريقية، ولقد شمل ذلك العون الدعم
والتدريب والتحسين في الطيران الحربي والأسلحة والمركبات
المدرعة والمشاة، وبعد فترة الإمبراطور هيلا سلاسي استجابت
الولايات المتحدة لطلب عاجل من حكومة منغستو هيلا مريم والتي
لم يتجاوز عمرها ستة أشهر للحصول على سلاح تقدر قيمته
بسبعة وعشرين مليون دولار في فبراير ١٩٧٥م ولقد قدر
الدعم الأمريكي لأثيوبيا بعد ذلك في مجال التسليح حتى مبلغ مائة
مليون دولار في العقد أي ما يوازي العون الذي كان يتلقاه هيلا
سلاسي في أربعة عقود وينعكس الحال على ذلك النهج في
المساعدات العسكرية إلى أن قرر الرئيس الأمريكي جيمي كارتر
في إدارة أمريكية في فبراير ١٩٧٧م تخفيض الدعم العسكري
لأثيوبيا، وكان ذلك القرار يعني بداية التحول في العلاقات
الأمريكية - الأثيوبية والتي انتهت بالحكومة الأثيوبية بالتوجه
الكامل للمعسكر الشرقي (الاتحاد السوفيتي) الذي ظل منذ ذلك
الوقت يدعم حكومة أثيوبيا عسكريا بالمعدات والأسلحة
والمستشارين. ونخلص من تلك المعطيات في معرض تسليح أثيوبيا
قديما وحديثا المعاصر إلى أن أثيوبيا دولة غير منتجة للسلاح
بل تعتمد على العون والهبات العسكرية التي تتلقاها من عطايا
حلفائها، تستخلصها من خلال علاقاتها ومناوراتها الخارجية.

وبالرغم من تنصل الحكومة الاثيوبية الرسمي بعد تورطها في ترحيل مواطنيها الفلاشا الى اسرائيل مقابل اسلحة وبعد انكشاف المعاملات السرية بينها وبين اسرائيل وخروجها النهائي من مسرح التعاون في عملية تهجير يهود الفلاشا وشعورها بالمرارة وجرح الكرامة، الا ان عمليات تسرب الفلاشا من اثيوبيا إلى اسرائيل لم تتوقف بل اخذت السبل مناحي اخرى واساليب جديدة ساعد في تسهيلها اغراء المال ومنح مالية وعلى سبيل المثال فقد عرضت جهات امنية امريكية عبر مهاجر اثيوبي الجنسية اسمه بولنشطص منذ عام ١٩٧٦م مستعينة ببيوت مالية يهودية امريكية على تمويل عمليات ترحيل سرية للفلاشا ونقلهم الى اسرائيل مقابل عشرة آلاف دولار امريكي عن كل يهودي من الفلاشا يتم نقله وبالفعل تمكنت الشخصية الاثيوبية المكلفة من ايجاد دليل يسمى تسفاي والذي كان يتردد عبر فندق افريقيا بالخرطوم الى اثيوبيا عبر السودان وبعد رحلات له متنقلا بين البلدين تمكن من ترحيل تسعين من الفلاشا .

وعندما تولى مناحيم بيغن الرئاسة في عام ١٩٧٧م ابدى اهتماما كبيرا بمسألة الفلاشا التي كانت بمثابة تحد مباشر له في تحقيق آمال وتطلعات المجتمع الصهيوني فعني شخصياً بتوجيه المخابرات الاسرائيلية (الموساد) بمتابعة ودراسة السبل التي تساعد في تسهيل هجرة يهود الفلاشا الى اسرائيل وإن اقتضى الامر القيام بمغامرة شبيهة بعملية مطار عنتيبي بيوغندا ولقد ظلت الموساد تسهر وتتابع وتقف خلف كل المحاولات والمبادرات

على طريق تسهيل هجرة الفلاشا، ولقد ذكر سيماكوبو فيتش فى النيويورك تايمز The New York Times ان المستشار العسكرى الجنرال أفرايم بوران قد ذكر لبيغن مطمئناً بأنه يمكننا إنقاذ الالآف من هؤلاء اليهود الفلاشا خلال اربع وعشرين ساعة ولكننا نعتقد بأن ثمة عملية محددة مرتبة يمكن ان تحمل ثماراً أكثر وأعظم ..! ويشير نفس المصدر الى ان الحكومة الاسرائيلية قد انقذت سبعمائة وسبعة عشر (٧١٧) يهودياً من الفلاشا فى خلال عام ١٩٨٢م.

وعودة الى مسرح الاحداث بمضارب الفلاشا بمناطق قندر وتقراى نجد ان الاحوال قد تأزمت من جراء الجفاف والتصحّر والمجاعة الطاحنة اضافة الى عوامل عدم الاستقرار الامنى حيث اصبحت المنطقة مجالا وميداناً للعمليات الفدائية التى يقوم بها الثوار ومرتعا لعصابات (الشفتة ـ Shiftas) والتى استمرأت السلب والنهب المسلح فى غياب تام لهيمنة الحكومة الاثيوبية على تلك المناطق حتى انقلبت الى منطقة طاردة وبدأت تشهد تغيرات ديمغرافية حادة فى شكل عمليات نزوح جماعية وفردية فراراً من شبح الموت جوعاً أو بالعنف أو لانعدام الأمن والأمان . ولقد كان اتجاه موجة النزوح غرباً تجاه الحدود السودانية التى اصبحت تستقبل وفود اللاجئين الاثيوبيين والارتريين المتلاحقة بصورة مكثفة وبأعداد كبيرة مما استدعى السلطات السودانية الى اقامة معسكرات للاجئين بالمناطق الحدودية ومحطات الاستقبال للوافدين على الشريط الحدودى داخل الاراضى السودانية

[illegible]ات: ود شريفى، شقراب، ود الحليو، حلة حكومة، ودخولى، [illegible] ام على، الشوك، أم راكوبة، كيلو ٢٦، تواوا، أم قرقور، ود [illegible]، والمفازة بداخل الاراضى السودانية . ولقد كان الحال [illegible] بشعاً مريعاً حيث كان اللاجئون والنازحون اطفالا وشيبا [illegible] يصلون المعسكرات وهم فى حالة بدنية ونفسية يرثى لها [illegible] الاعياء والمرض والجوع لتستقبلهم (رواكيب) المخيمات المكشوفة فى العراء، ذلك بعد مسيرة اسبوعين الى ثلاثة اسابيع متواصلة على الاقدام او على ظهور الدواب عبر مسالك وشعب جبلية وعرة ووديان شديدة الانحدار قفرة تتصيدهم فيها عصابات النهب (الشفتة) عند الابار فتسلبهم وتغتصب النواعم من فتياتهم ونسائهم وترتكب فيهم كل ما هو لا انسانى فى طريقهم الى محطات الاستقبال، ويتساقط منهم موتاً على الطريق من يسقط ويتخلف منهم من يتخلف إلى أن يصلوا المعسكرات . وأُعلنت المنطقة دولياً (منطقة كوارث) واستنجدت السلطات السودانية ضاربة ناقوس الخطر مما استدعى استنفار جهود هيئات الغوث العالمية المختلفة التى قدمت الى السودان ووجدت نفسها تعمل ميدانيا فى مناطق بعيدة عن الموانىء البحرية والجوية فى (قفار) مدارية صعبة تعوزها السبل والاسباب . وشهد السودان نشاطاً اغاثياً لم يشهد له مثيل فى افريقيا فاق بلا مقارنة عمليات اغاثة بيافرا وافريقيا الوسطى فى فترة الستينيات تضافرت فيه جهود الهيئات التابعة للامم المتحدة ومفوضية غوث اللاجئين بجانب نشاط كبير للهيئات الخاصة والخيرية والتى شاركت فيه هيئات ومنظمات ليس على

سبيل الحصر من دول السويد، إيطاليا، انجلترا، كندا، الولايات المتحدة الأمريكية، هولندا، فنلندا، الدول العربية: بلجيكا، الكويت السعودية، العراق، دولة الإمارات العربية، وكثير من الهيئات والمنظمات الخيرية الدينية الكنسية والإسلامية، وقامت تلك الهيئات بإقامة مكاتب لها في الخرطوم وفي الأقاليم المتأثرة في منطقة الساحل الأفريقي. ثم حيث أن السودان في تلك الفترة لم يكن يستقبل الوافدين واللاجئين من أثيوبيا على حدوده الشرقية فحسب إنما كان يستقبل الوافدين واللاجئين بأعداد كبيرة تجاوزت مئات الألوف بحدوده الغربية من تشاد وأفريقيا الوسطى ومن يوغندا على حدوده الجنوبية. هذا بخلاف اللاجئين الأوغنديين للجماهيرية الليبية الذين احتضنهم الرئيس السابق نميري بالسودان نكاية في حكومة الرئيس معمر القذافي. والسودان بحسبه ذلك القطر الأفريقي المتميز بالعمق الاستراتيجي من الناحية الغذائية لما وهبته الطبيعة من جريان النيل وكل روافده بأرضه وتمتعه بمخزون مياه جوفية ممتازة ومراعي واسعة شاسعة وأراضي زراعية خصبة امتدت له موجة الجفاف والتصحر، وأصبح يعاني قلة المخزون والإنتاجية في الغلال والحبوب الزيتية والأقطان وفقد ثروة حيوانية كبيرة ثمينة مما أجبر السلطات السودانية في نهاية حكومة الرئيس السابق نميري في قفل باب تصدير كثير من السلع الغذائية لتدني الانتاج ولقلة موارد الطاقة والوقود. وفي ذات الوقت تفاقمت الأوضاع متسربة حيث نشطت حركة التمرد بجنوب السودان التي استنزفت خزينة الحكومة المركزية بالخرطوم بشكل

وبيع، هذا زيادة على عبء اللاجئين والنازحين من الدول المجاورة المتزايدة أعدادهم يوما بعد يوم حتى أصبح ذلك البلد الآمن في بؤرة مناطق الكوارث . وانقلب نظام جعفر نميري بالسودان يلهث وراء المنح والقروض والاعانات والهبات من الدول الخارجية وعلى وجه الخصوص من الولايات المتحدة الامريكية بمساعدة ووساطة جمهورية مصر العربية . ولقد اضطر السودان في يأسه وإبان تلك الفترة برئاسة جعفر نميري الى فقدان زمام اقتصاده وانحدر في استدانة وقروض أجنبية موظفة وغير موظفة عبر كل قنوات النسيئة المتعارف عليها في قاموس الاقتصاد متردياً بذلك في هوة مديونية سحيقة .

ولقد هيأت ظروف النزوح الاثيوبي واللجوء للأراضي السودانية بارقة أمل ومناخ جديد للكيان الصهيوني حيث تهيأت ظروف وأوضاع جديدة بانتقال أعداد كبيرة من الفلاشا ضمن سيل اللاجئين الاثيوبيين والارتريين الى الحدود وداخل الاراضي السودانية . بل تسرب الآلاف من اللاجئين الى المدن الرئيسية بالسودان مثل مدينة كسلا والقضارف وود مدني وحتى العاصمة الخرطوم الى درجة أصبحت فيها أحياء بكاملها بأطراف الخرطوم يقطنها القادرون من اللاجئين الاثيوبيين والارتريين مثل أحياء الشيطة بالجريف غرب وأحياء الصحافة وأم درمان الجديدة وحي الحاج يوسف والقلعة والكلاكلة، وإمتدوا متغلغلين هنا وهناك واصبحوا يقاسمون الوطنيين الخدمات العامة وانتشروا في المدن وفي العاصمة كعمالة جديدة رخيصة الثمن مما ادى الى تفشي

البطالة في اوساط الوطنيين . واقلقت السلطات السودانية حوادث انفراط الأمن وانتشار وتفشي الامراض المنقولة الغريبة على بيد تلك البلاد مثل الاشمانيا ـ الكلازار والامراض الجنسية والوبائية السارية هذا علاوة على العادات والممارسات الوافدة التي اطلت براسها على المجتمع السوداني . وبنشوء الظروف الجديدة اثر عمليات اللجوء الى الاراضي السودانية وحالة زخم نشاط هيئات ومنظمات الغوث التي وجدت ترحيبا مبالغاً فيه من السلطات السودانية بلا قيد او شرط مع تسهيلات عمل لا حدود لها في الحركة والتنقل والاستثناءات في استعمال المرافق العامة والخاصة وقنوات النقل البري والبحري والنهري والجوي، وحرية الاتصال السلكي واللاسلكي والتراخيص والاذونات لاستجلاب المعدات والحاويات التي لم تكن تخضع للتفتيش الامني او للاجراءات الجمركية. وقدوم اعداد كبيرة من الاجانب بدون تدقيق في هوياتهم او انتماءاتهم للعمل في مجال الاغاثة بالسودان ـ تهيأ بذلك مناخ جديد خصب للكيان الصيهويني حيث انتقل بالنسبة لهم مسرح العمليات جزئيا من داخل اثيوبيا التي اصبحت معادية الى الحدود والاراضي السوداني ..! وهنا كانت الوقفة والتحول وتبديل كل (الداتا) والمعلومات والدراسات والخطط اثر الوضع المتنامي الجديد الذي تأكد فيه نظرياً وعملياً ان كل الظروف والعوامل متاحة ومهيأة وبجدوى عالية لممارسة نشاط "تسريب" تهجير يهود الفلاشا من الخرطوم ومن داخل معسكرات اللجوء بشرق السودان مع التركيز على تنشيط عملية لجوء مزيد من الفلاشا من

داخل اراضى قندر وتقراى بأثيوبيا الى الاراضى السودانية.

ولم يضع الكيان الصهيونى وقتا بل شرع فورا مستغلا فوضى النشاط الاغاثى وغفلة السلطات السودانية فى تنظيم عمليات تسريب للفلاشا من السودان الى اسرائيل . وبدأت تلك العمليات اولا تحت غطاء إستيعاب لبعض اللاجئين بدول غربية بمعاونة بعض مؤسسات الاغاثة التى تمركزت فى السودان . وشملت عمليات النقل الاولى قطاعات الشباب من بين الفلاشا حيث كانت تتم اجراءات سفرهم من الخرطوم وفق ترتيبات مسبقة وقنوات منسقة تحت ستار منح دراسية او سفر من أجل العلاج او العمل بالخارج، وفى الواقع كانت وجهتهم الى اسرائيل وذلك بعد وصولهم لبعض العواصم الغربية والمكوث بها لفترة قصيرة ثم يتوجهون الى اسرائيل . ولم تكن السلطات السودانية لتمانع فى سفر اللاجئين الحاصلين على التأشيرات ووثائق سفر اللاجئين الزرقاء اللون التى تمنحها ادارات اللاجئين تحت وصاية الامم المتحدة كما هو معروف . وكانت عمليات التسريب تلك تتم بانتظام ولكن بأعداد محصورة أفراداً او مجموعات من عشرة على الاكثر فى رحلة او رحلتين اسبوعيا على خطوط الطيران العالمية التجارية التى تربط الخرطوم بالعالم الخارجى . وكان المسافرون عبر المطارات الاوربية وخطوط الترانسيت يشاهدون فى تلك الايام المواطنين الفلاشا على متن طائرات خطوط أولمبيك Olympic Airways وخطوط العال Elal فى طريقهم إلى اسرائيل . ولقد كللت تلك المحاولات الاولى فى تسريب الفلاشا من الخرطوم إلى اسرائيل

بالنجاح دون اثارة شبهة أو اتهام لجهة ما، الأمر الذي شجع الكيان الصهيوني في تنشيط محاولات أخرى من داخل السودان ذات طابع جديد يمكن من تهريب اعداد اكبر مما أمكن ذلك بعد أن ثبت نظريا وعمليا بأن كل الظروف والعوامل متاحة ومهيئة مثل ذلك العمل الذي نشط في تسهيلاته رجال الموساد والمخابرات الامريكية بجانب دور مكتب ممثل المندوب السامي لغوث اللاجئين التابع لمنظمة الامم المتحدة بالخرطوم United Nation High Commition of Refugees U.N. H. C. R. سيد ابراهيم المصري الجنسية الذي ساعد مكتبة بصفة خاصة في استثناء الفلاشا دون سائر اللاجئين في منحهم وثائق السفر الزرقاء اللون والتوصية لمنحهم تأشيرات السفر الجماعية Block Visas.

ومن داخل معسكرات اللجوء بشرق السودان جرت عمليات تصعيد تسريب الفلاشا بطرق سرية لتهجير مجموعات اكبر فلقد تمكنت طائرتان من طراز (C 130) من الهبوط ليلا قرب مدينة الشوك في منطقة قرية عبودة حيث يوجد هناك ممر جوي غير معبد طوله اقل من الالف متر واقلعتا بعد تحميلهم بعدد ايعمائة من يهود الفلاشا الذين احضروا من معسكرات توادا واد كولي بواسطة شاحنات تحت جنح الليل . وتمكن الاهالي بتلك المنطقة من مشاهدة الطائرات الغريبة وقاموا بابلاغ سلطات الامن المحلية التي خفت الى مكان الحادث وأكدت تحرياتها هبوط طائرتين من طراز (C 130) بالموقع وظلت الحادثة غامضة مبهمة وأشار بعضهم الى أنها ربما تكون طائرات اثيوبية، حيث تكرر من الطيران الأثيوبي اختراق الاجواء السودانية وتوغل مشاة القوات الاثيوبية

احيانا بداخل الاراضي السودانية الامر الذي كان يثير كثير من التراشق والاتهامات المتبادلة بين الدولتين . كما جرت عمليات جريئة اخرى لتهريب وتهجير الفلاشا من السودان عن طريق البحر الاحمر والتي تمت عن طريق محطة عروسة السياحية على ساحل البحر الاحمر عند مرفأ جيجا الذي يبعد عن شمال مدينة بورتسودان بخمسين كيلومترا . وبنفس الاسلوب كان يرحل الفلاشا برا بالشاحنات من المعسكرات ومن ثم نقلهم من جيجا باللنشات الى عرض البحر حيث تكون في انتظارهم القوارب العسكرية الاسرائيلية و(الهوفركرافتس - Hoover Crafts) السريعة لتاخذهم الى مرفأ ايلات حيث كانت اسرائيل تسيطر في احتلالها على صحراء سيناء ومداخلها المائية . وإنتبهت السلطات السودانية في تلك العمليات وتم التحقيق فيها مما اوجب قيام تدابير مراقبة جيدة للمنطقة والسواحل السودانية ولكن بعد فوات الاوان وبعد ان تسربت اعدادا كبيرة من الفلاشا لخارج السودان عبر ذلك الطريق . كذلك تمت في تلك المرحلة عمليات نقل وتسريب منظمة اخرى للفلاشا عن السودان تمت كلها بسرية واشهرها تلك العملية التي تم كشفها وهي التي جرت عبر كينيا بطائرات نقل خاصة ولكنها لم تستمر طويلا حيث تم ايقافها بتعاون من السلطات الامنية السودانية والكينية والتي القي القبض فيها على كل من توم روك Tom Rock واستيفان جويليت Steven J. الامريكيين بمدينة جوبا في جنوب السودان وأبعدا من السودان نهائيا .

وبنهاية عام ١٩٨٢م كان هناك ألفان وخمسمائة (٢٥٠٠) من يهود الفلاشا يعيشون فى اسرائيل، وقفز ذلك العدد الى خسمة الاف وثلاثمائة فى نوفمبر ١٩٨٣م ومعظمهم من الذين تم نقلهم سراً من السودان . وبرعت الاوساط الحزبية والسياسية فى داخل اسرائيل فى تنظيم ذلك العدد من يهود الفلاشا فى صورة كتلة من الرعايا اليهود الاسرائيليين المتظلمين ليؤثروا بكافة الطرق والضغوط على الحكومة والمؤسسات الاسرائيلية لجلب وإنقاذ بقية اهلهم وعشيرتهم العالقين فى مخيمات اللجوء بالسودان، وكذلك لمساعدة الذين تتخطبهم الظروف اللاإنسانية فى داخل الاراضى الاثيوبية . وفى ذلك الصدد تمكن يهود الفلاشا فى اسرائيل من تنظيم وتسيير المظاهرات ومسيرات الاحتجاج التى ساقوها للكنسيت الاسرائيلى رافعين شعارات الشفقة واحراج الحكومة مستغلين كل القنوات الصحفية والاعلامية والسياسية فى الضغط والتأثير على الحكومة والمعارضة فيها.

واثر النجاحات المضطردة فى تسريب يهود الفلاشا من السودان والتصعيد السياسى والضغوط التى باتت تتحدى الحكومة الاسرائيلية، زاد حماس الكيان الصهيونى وانفتحت شهيته التمددية بجدوى التركيز على العمل من داخل السودان لتنفيذ مراميه وتحقيق حلمه الاكبر (بهجرة جماعية) ليهود الفلاشا من الاراضى السودانية الى اسرائيل . ولقد اعترف موشى ساحاك عضو الكنسيت الاسرائيلى لصحيفة جويش تلغراف Jewish Telegraph فى نوفمبر ١٩٨٢م بأنه حاول جاهدا طرح

موضوع يهود الفلاشا فى الكنسيت كمسألة مستعجلة قبل ذلك التاريخ بوقت طويل، ولكن الحكومة أوصته وهمست فى أذنه بالتريث بسبب حساسية المسألة فى ذلك الوقت . وذكرت صحيفة جويش ويك Jewish Week لاحقا فى عددها بتاريخ ١٥/٧/١٩٨٣م: (..انه لا أحد يقول كيف يصل الفلاشا الى اسرائيل، ولا احد يقول كم عددهم ولكنهم فى ازدياد وذات يوم ستكشف اسرائيل كيف انها انقذت الفلاشا من اثيوبيا البعيدة..).

وظلت ماكينة الدبلوماسية الصهيونية تعمل فى سرية ونشاط، وأخذت اصابع الاخطبوط الصهيونية تتمدد منتشرة فى كل اتجاه مجتازة كل العوائق مخترقة لكل الحواجز فى سبيل الوصول لمراميها، فتحدث شمعون بيريز خلال زيارة له للرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران وأطلعه على مأساة الفلاشا وحصل منه على وعد بالمساعدة ما امكن ضمن نقاشات واستعراض لمشاكل القرن والوسط الافريقى المتأججة . وفى سبتمبر ١٩٨٤م عند زيارة اسحق شامير وزير الخارجية الاسرائيلى إلى واشنطن أجرى مع وزير الخارجية الامريكى جورج شولتز مباحثات طلب فيها المساعدة الامريكية بأقناع الرئيس جعفر نميرى والحكومة السودانية كحكومة صديقة للولايات المتحدة الامريكية بقبول مبدأ نقل اليهود الاثيوبيين الفلاشا الذين فروا الى الاراضى السودانية، خاصة والرئيس نميرى يعتبر من الرؤساء العرب الذين أيدوا مبادرة ومعاهدة (كامب ديفيد) ومشهود له بالسير فى تيار تطبيع

العلاقات مع إسرائيل مؤازراً للحكومة المصرية التي تربطه بها مصالح مشتركة مصيرية . وفي نفس المحادثات سأل شولتز رصيفه شامير عن الموقف الأثيوبي ومدى قبول حكومة منقستو للاستمرار في تهجير يهود الفلاشا . . ورد عليه شامير بأن ثمة مساع مباشرة تجري في ذلك الصدد وأنه شخصياً سوف يتولى معالجة ذلك الأمر . وفي أول لقاء له بوزير الخارجية السوفييتي أثار شامير موضوع قضية هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل وجرى بينهما جدل طويل أراد شامير مدخلاً لاثارة مسألة يهود الفلاشا . وطرح الأمر أمام جروميكو على أنه موقف انساني يستدعي مد يد العون لهؤلاء الجوعى البؤساء ومن ثم رفع عبئهم عن كاهل اثيوبيا التي تعاني الأمرين . هذا على أساس أن لموسكو تأثيراً مباشراً وأيادي بيضاء على اديس ابابا ويمكن بإيحاء هذا الاسلوب الحصول على موافقة منقستو هيلا مريم وهو مرتاح البال دون أن يكون له ردود فعل ضارة بالعملية والتي تعتبر عملياً قد خرجت من هيمنته وقبضته لعجزه التام في السيطرة على مواطنيه في مناطق قندر و تقراي وهروب الآلاف منهم الى الاراضي السودانية . وقامت الدبلوماسية الصهيونية باتصالات متعددة متنوعة على هذا النحو وكشف عنها الاعلام تفصيلاً في أوقات لاحقة ولا نرى فائدة في الدخول في تفاصيلها الطويلة هنا حيث انها لا تعني في جملتها سوى التمهيد وتلمّس الاحوال والظروف والامكانيات ولتقييم افضل المعطيات التي يمكن تسخيرها من أجل تنفيذ عملية هجرة يهود الفلاشا على الوجه المطلوب .

[illegible] مجلة فلسطين الثورة بتاريخ ٣/١١/١٩٨٤م

[illegible] Arton مراسل صحيفة "عال همشمار" HAMISHMAR (Al) في باريس قد نشر خبراً جاء فيه أن هناك ما [illegible] الآلاف من الفلاشا عالقين في معسكرات اللجوء [illegible] الى مصدر قائلاً أن صحيفة لبنانية Liban [illegible] ذكرت أن السودان لا يستطيع السماح لهم كيهود [illegible] اسرائيل نظراً لعددهم الكبير وتضيف لمراسيون [illegible] السودان كان يتم نقل حفنة من اللاجئين في كل مرة من [illegible] عن طريق ايطاليا بالجو ومن هناك الى اسرائيل. وتفيد [illegible] الى الوسائل والوكالة اليهودية ومنظمات يهودية امريكية [illegible] اهتمت سرا بهجرة يهود الفلاشا غير انه ثمة حاجة الى [illegible] الان لنقل الآلاف من اللاجئين الفلاشا.

وإن المجهودات المضنية المكثفة تمخضت كل الدراسات [illegible] والمفاضلات الاستراتيجية عن ضرورة التركيز على (السودان) ففيه افضل الظروف من اجل القيام بعملية تضمن [illegible] الصهيوني تحقيق هجرة جماعية ليهود الفلاشا الموجودين [illegible] معسكرات اللجوء بالاراضي السودانية، وكذلك ترتيب استقطاب [illegible] الفلاشا الموجودين بداخل اثيوبيا ونقلهم للاراضي السودانية من خلال قناة اللجوء للسودان حتى يتسنى تحقيق [illegible] جميعاً وعلى الوجه الاكمل في شكل عملية واحدة متكاملة Deal One Package. ومن ثم كان التركيز المباشر على ضمان [illegible] الرئيس السوداني جعفر نميري وحكومته لمباركة العملية

التى اصبحت معالمها واضحة وكل عناصرها معدة ومهيأة للتنفيذ . ولقد لازم تلك الظروف نشاط بارز فى العلاقات بين الولايات المتحدة والسودان وتقارب فى المصالح و السياسة المتبعة فى المنطقة، فالرئيس نميرى لم يخف مساندته السافرة لاتفاقية كامب ديفيد وحماسته لها متضامناً مع الرئيس السادات فى قراره الاعزل عن صف التضامن العربى . ودخل جعفر نميرى فى برنامج موحد مع مصر السادات تزينه اتفاقية دفاع عسكرى مشترك وتطرف فى برنامج اقتصادى مصرى - سودانى يدعو للتكامل بين البلدين ويحوى عدة مشروعات مشتركة فى المياه والزراعة وانتاج الحيوان والنقل والطرق والاتصالات السلكية واللاسلكية . ولقد بدأ العمل من ضمنها فعلا فى مشروع قناة جونقلى الهايدورولوجى الذى يهدف الى ترقية كمية ايرادات النيل من المياه بمنطقة السدود بجنوب السودان كما افتعل جعفر نميرى العداء مع الجماهيرية الليبية مناصبا الرئيس معمر القزافى العداء السافر فى المواقف السياسية والعلاقات وعلى مستوى الاعلام الموجه . وشهدت تلك السنوات فى بحر العلاقات الامريكية السودانية نشاطاً توسعت فيه مواعين السفارة والبعثة الامريكية بالخرطوم وتدفق العون الامريكى الاقتصادى والعون الاغاثى والفنى بشكل ملحوظ على السودان علاوة على مجهودات الشركات الامريكية التى شرعت فى تنفيذ برامج واسعة للتنقيب عن البترول بالسودان (مجموعة شركات صن أويل وشركة شفرون). كما كان الرئيس نميرى يتردد كثيراً على واشنطن فى زيارات متواصلة



ويشرف على علاجه اخصائيون أمريكيون حيث كان يمضى هناك اوقاتاً طويلة خاصة بعد إجراء جراحة طبية دقيقة له هناك.

ولقد إلتقت المصالح الامريكية ـ المصرية ـ السودانية بالمنطقة على صعيد تعاون لم يشهد له مثيل من قبل، ذلك على المستوى الدبلوماسى والاستراتيجى والاقتصادى. فكانت جمهورية مصر من اكثر الدول التى تتلقى عوناً امريكياً فى الشرق الاوسط والعالم الثالث بعد اسرائيل. والسودان فى محنته يتلقى العون الاغاثى الامريكى بصورة منتظمة (عيوش ريجان). وعلى المستوى العسكرى قامت فى مصر لاول مرة وبالمساعدة الامريكية صناعة جادة للاسلحة، لصناعة وتجميع المدرعات وقطع الغيار الحربية ونواة لصناعة طائرات التدريب الحربية. كما شهدت المنطقة برنامجاً دورياً لمناورات (النجم الساطع) التى اشتركت فيها القوات السريعة الانتشار الامريكية حديثة التكوين والقوات المصرية ووحدات من القوات المسلحة السودانية، تلك المناورات التى كان الهدف منها تدريب وتأقلم القوات الامريكية على الانزال السريع بالشرق الاوسط والتكيف على حرب الصحراء. وفى الوقت الذى كانت فيه الولايات المتحدة الامريكية تماطل العاهل السعودى فى تسليمه (طائرات الايواكس) المتقدمة التقنية فى عمليات المسح والتصوير ورصد التحركات العسكرية والتنصت بالرغم من دفع المملكة العربية السعودية لفاتورة تلك الطائرات التى تعاقدت على شراءها مقدماً لدرجة ان نشأت أزمة فى ذلك الصدد حيال المماطلة تعسرت خلالها العلاقات السعودية

الامريكية والتى اجتازها الكونجرس والبيت الابيض الامريكى بعد جهد جهيد - كانت تشاهد فى ذات الوقت طائرات الايواكس قابعة فى مطار الخرطوم الدولى "المدنى" بصورة شبه مستديمة كما تلقت القوات السودانية كمية من المؤن والذخائر وعدد من شاحنات الفورد والجيب وبعض المجنزرات العسكرية كهدية من مخلفات مناورات النجم الساطع.

وبعد ضمان موافقة الرئيس السودانى جعفر محمد نميرى لمبدأ نقل يهود الفلاشا من الاراضى السودانية إلى دولة اسرائيل أسند مهمة التفاصيل والتنفيذ لنائبه اللواء عمر محمد الطيب الذى كان يشغل بجانب كونه نائبا لرئيس الجمهورية منصب رئيس جهاز أمن الدولة السودانى. وجهاز أمن الدولة السودانى برغم حداثة تكوينه (تم تكوينه لأول مرة فى السودان إبان فترة حكم الرئيس السابق جعفر محمد نميرى) إلّا انه تمكن فى غضون سنوات قليلة من الترقى والتأهيل فى الكوادر والمهارات حتى أصبح عنصراً فاعلاً بالسودان وكذا بأمتداد منطقة الوسط الافريقى. فلقد تلقت كوادر ذلك الجهاز تلقيحاً ومعرفة وتدريباً محلياً وخارجياً ضمن مدرسة مخابرات السافاك الايرانية (سازمانى - أمنيات ماليشفار) والكى جى بى .K. G.B بالأتحاد السوفيتى وفى جمهورية مصر العربية والمانيا الغربية وبمدرسة المخابرات الامريكية والمملكة المتحدة، حتى انه فى مرحلة متقدمة كان الرئيس السابق جعفر محمد نميرى يعتمد كل الاعتماد على ذلك الجهاز فى هيمنته وسيطرته على مقاليد الحكم بالسودان . ويحوى ذلك

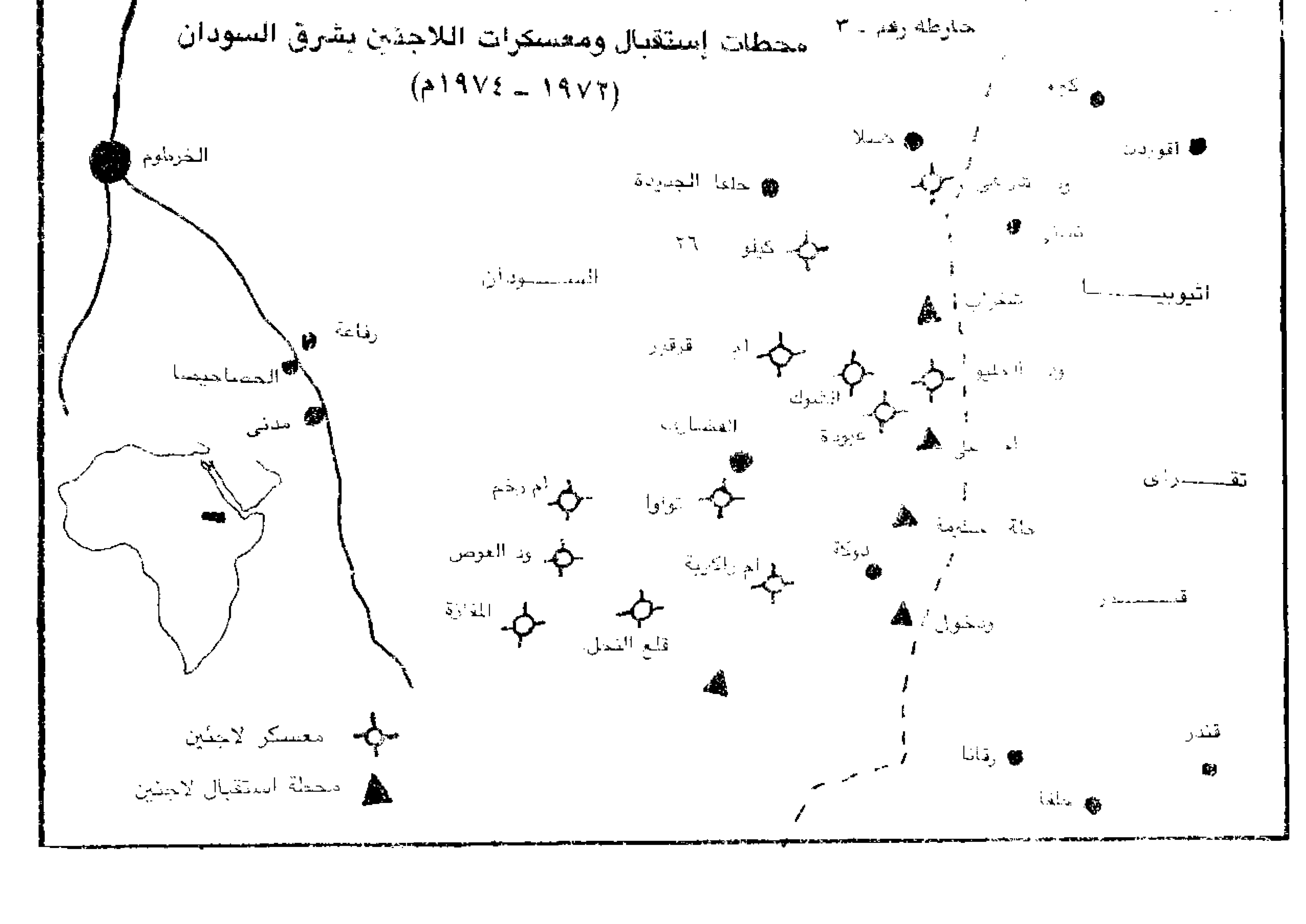
الجهاز قوة نظامية رفيعة قوامها اربعة الآف رجل وامرأة من مختلف الرتب والتخصصات هذا بخلاف المتعاونين والمخبرين والمصادر الوسيطة خارج الجهاز والتى يقدر عددها بثلاثة الآف [illegible] من المدنيين والعسكريين المنتشرين بداخل وخارج البلاد [illegible] ميزانية جهاز أمن الدولة (المعلنة) خمسة وثلاثين مليون جنيه سودانى (٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠) فى العام الواحد هذا بخلاف الميزانيات السريّة وبنود الصرف المفتوحة المسخرة للعمل الامنى.
وقد كان ذلك الجهاز يتمتع بخبرات وكوادر متخصصة فى اعمال: قراءة الصور والخرائط الجوية، الاستخبارات العملاتية، الامن، التحقيق (الاستنطاق)، قتال البقاء على قيد الحياة، اعمال التدمير، اعمال الحراسة وحماية الشخصيات الهامة VIP، القتال ضد الثورات والشغب وعصابات المدن، أجهزة الاستشعار الصوتى، اجهزة الرؤية الليلية، أعمال حواجز الطرق والتفتيش ومهارات ومقدرات اخرى متخصصة فى الأعمال الأمنية المستورة فى الدوائر السياسية والاقتصادية.

وبتوجيه من الرئيس السابق نميرى تولى اللواء عمر محمد الطيب بصفة خاصة مع الجانب الامريكى مناقشات وترتيبات تنفيذ عملية الهجرة الجماعية ليهود الفلاشا. وبعيداً عن أىّ مؤثرات كالمعلومات والحيثيات التى اثيرت فى محاكمات اللواء عمر محمد الطيب العلنية لاحقاً بواسطة حكومة الانتفاضة "الحكومة الانتقالية" بعد سقوط نظام نميرى والتى واجه فيها اللواء عمر محمد الطيب تهمة الخيانة العظمى وتمت محاكمته فيها لأشتراكه

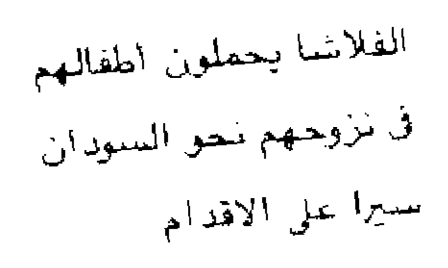
مباشرة أو غير مباشرة فى ترحيل يهود الفلاشا من الاراضى السودانية إلى اسرائيل، وما ورد فى حيثيات اتهامه ومحاكمته لاستلامه بضعة ملايين من الدولارات لمنفعته الشخصية فى اطار تلك العملية ـ الاّ أن الدلائل تشير إلى أن اللواء عمر محمد الطيب وبعيداً عن حرمة القضاء السودانى كانت له دوافعه وبواعثه الخاصة للاشتراك المباشر أو اشرافه على عملية ترحيل يهود الفلاشا. فلقد اهتمت الادارة والمخابرات الامريكية مؤخراً اهتماماً خاصاً باللواء عمر محمد الطيب، بل اوحت له وهمست فى اذنه أكثر من مرة بأنه سوف يكون خليفة جعفر نميرى الذى بدأ يعانى من المرض ليحكم السودان من بعده.. ولقد تردد بأن الولايات المتحدة الامريكية قد اعدت لذلك المشروع وقدمت مسبق ضماناتها ومؤازراتها للواء عمر محمد الطيب لتمكينه من دفة حكم السودان بلا منازع تماماً كما حدث فى جمهورية مصر العربية بعد موت السادات ضماناً وتأكيداً لسلامة امتداد سير سياساتها بالمنطقة وتحسباً من تبدل الأنظمة الحاكمة وبالتالى تبدل توجهاتها الشىء الذى تعانى منه الولايات المتحدة كثيراً فى افريقيا بصفة خاصة.. ! .. ويبدو أن تلك الفكرة قد وجدت هوىً عند اللواء عمر محمد الطيب سدّ عليه سمعه وبصره بل بدأ يمهد لذلك الأمر بطريقته الخاصة فى لقاءاته السرية كما حدث فى "لقاء العمرين ـ عمر محمد الطيب / د. عمر نور الدائم" بضاحية جلفورد الانجليزية وكذلك فى "لقاء قصر القبة ـ عمر محمد الطيب / محمد عثمان الميرغنى" بالقاهرة ناشراً حبال الوصل مع طائفة المهدى

وطائفة الميرغني رموز القيادة السياسية الطائفية بالسودان.
والرجل بالرغم مما له من مؤهلات علمية فى العلوم العسكرية
وازدحم خدمة طويلة فى القوات المسلحة السودانية وتوليه لعدة
مناصب اتاحت له الخبرة والمراس فى جوانب عملية كثيرة الاّ انه
يهتم باهتمامات لا تتناسب مع تأهيله، ولعل أبرز ما يلفت فى
شخصيته ويثير الاهتمام ابتسامته الواسعة العريضة الدائمة
مع مظاهر سلوكه التعويضي الذى يترجمه باحاطة نفسه دائماً
بـ الات الدين والصوفية والمتشعوذين وانشغاله المبالغ فيه
بحضور الموالد والحوليات والليالى الدينية فيبدو كأن به معاناة
نفسية من ضعف ثابر، هذا بجانب تأرجح سلوكه فى معاناة واضحة
بين طرف نقيض اقصى الطموح ومنتهى الزهد..!

ولقد تمت آخر ترتيبات عملية الهجرة الجماعية ليهود
الفلاشا فى واشنطن بعد زيارة خاطفة للواء عمر محمد الطيب
الولايات المتحدة والتى تم التنسيق فيها مع السلطات السودانية
بتولى جهاز أمن الدولة السودانى التغطية والتعاون مع بعض
العناصر الاجنبية الاخرى بالخرطوم فى تنفيذ العملية وفق التصور
المرسوم لها. وعليه جرت ترتيبات احاطة العملية بكامل السريّة
والتكتم ووضعت كافة التحوطات التى تضمن سلامتها بعيداً عن
الاعين والآذان ليجرى عمل كبير خطير منسق على المستوى المحلى
بالسودان وخارجه فى هدوء وتحت ستر السريّة التامة.


خارطة رقم - ٣
محطات إستقبال ومعسكرات اللاجئين بشرق السودان
(١٩٧٢ - ١٩٧٤م)
الخرطوم
كسلا
حلفا الجديدة
كيلو ٢٦
السودان
رفاعة
الحصاحيصا
مدني
ابو قرقور
الشوك
عروة
القضارف
اثيوبيا
اقوردت
تقراي
قندر
دوكة
ام رخم
توزوا
ود العوض
ام راكوبة
المفازة
قلع النحل
رقانا
معسكر لاجئين
محطة استقبال لاجئين





الفلاشا يحملون أطفالهم
في نزوحهم نحو السودان
سيرا على الاقدام





المرحلة الاولى من التهجير، نزوح الفلاشا سيراً على
الاقدام من مواقعهم فى جبال اثيوبيا إلى معسكرات
اللاجئين فى الاراضى السودانية ـ نوفمبر ١٩٨٤م

الباب الرابع

العدّ التنازلى

نضجت الفكرة وتبلورت الاتصالات الصهيونية المتشعبة واكتملت حلقاتها فى صورة قرار تنفيذ هجرة يهود الفلاشا الجماعية الى إسرائيل. وإستقر رأى الادارة الامريكية واللوبى الصهيونى على المشاركة فى العملية على مستوى التدبير والتخطيط والتنفيذ وقد لزم ذلك الرأى والقرار جملة ترتيبات واجتماعات مشتركة للادارة الامريكية فى شهرى مارس وابريل ١٩٨٤م حيث تولى مع الجانب الاسرائيلى متابعة قرارات تلك الاجتماعات بالتنفيذ (كونسورتيوم) عالى التأهيل من ذوى الخبرة والاختصاص والمحترفين فنياً فى المجالات والشئون الاقليمية الافريقية. واشترك ضمن تلك النخبة اليهودى رتشارد خريجر الذى كان يشغل منصب المدير المنسق لستشارية شئون اللاجئين بالادارة الامريكية. وبخلاف الروح المتفائلة التى كانت تغلب على

الجميع، كان لرتشارد خريجر رأيه المتفرد الواضح الصريح حول الترتيبات الاساسية العملية حيث كان يتفق تماماً مع الجميع بأن كل الترتيبات المسبقة للعملية المنظورة سليمة ومنسقة بإحكام باستثناء عنصر واحد وهو عدم التأكد الجازم بتعاون الحكومة السودانية في العملية رغم الاتفاق الذي تم مع الرئيس السوداني جعفر محمد نميري ومعاونيه . وكان هاجس خريجر هو مدى مقدرة السلطات السودانية على الوفاء بالالتزام الذي وعدت به وهي في كنف إنتمائها العربي الواضح. وكذلك الرئيس نميري نفسه من ناحية اخرى ومجرداً من كونه أحد الرؤساء العرب الذين يؤيدون السياسة الامريكية في المنطقة وتوجهات اللوبي الصهيوني فيها بموجب معززات إتفاقية كامب ديفيد. ظل يعلن من وقت لآخر في تصريحاته بأنه عدو لاسرائيل بل انه في حالة حرب معلنة غير قائمة بينه وبينها. ذلك التناقض وتلك الروح الى جانب معرفة واستيعاب خريجر لمدى حرارة مشاعر الشعب السوداني تجاه المسألة الفلسطينية جعلته يعيش حالة من القلق والشك والتوجس برغم مؤشرات التقارير الدقيقة الماثلة بين يديه والمذكور فيها بكل وضوح موافقة الحكومة السودانية على المساعدة في هجرة يهود الفلاشا الى إسرائيل والتي تم التوصل اليها من خلال المحادثات الثنائية التي اجراها الرئيس السوداني مع الادارة الامريكية والتي تؤكدها المتابعة التقارير الواردة دورياً من السفارة الامريكية بالخرطوم. ولعل خريجر كان رجلاً شديد الحذر بل كان يبحث عن تأكيد التأكيد حتى تكتمل حلقات خطة تهجير

الملاشا الجماعية بمنتهى الدقة وبدون أى ضعف فى أى ركن من اركانها خاصة وهو يعلم جيدا بحالة عدم الاستقرار العامة بالمنطقة التى ستكون مسرحاً للعملية المرتقبة. هذا إضافة الى القناعة المسبقة التى تسيطر على افكاره حول خاصية ضعف مقدرة رؤساء العالم الثالث عموماً فى الهيمنة على مقاليد أمورهم التنفذية ببلادهم ناهيك عن الالتزام بالوفاء بالوعود. فتحمل على عاتقه مسئولية الوقوف على حقيقة الأمر وتلمس الاحوال وتأمين ذلك المسألة بالتأكد من قدرات وسلامة إلتزام السلطات السودانية بما وعدت به. فانتهز فرصة اول لقاء له بالوفد السوداني الذى يقوده نائب الرئيس السوداني عمر محمد الطيب الذى أتى الولايات المتحدة الامريكية فى رحلة عمل قصيرة عاجلة يحمل رسالة من الرئيس السوداني وقائمة طويلة بالاحتياجات السودانية العاجلة. وكان ذلك اللقاء الذى طال ما انتظره فى صباح يوم دافىء فى منتصف شهر يونيو ١٩٨٤م حيث التقى خريجر باللواء عمر محمد الطيب الذى أسهب له فى شرح وعرض الحالة السودانية وافضى له بقلقه ومخاوفه الخاصة بلا تحفظ حول تردى الظروف الأمنية والمهددات القائمة بالمنطقة. كما شكى من المعاناة والضغوط التى تواجهها الحكومة السودانية من جراء توافد اللاجئين من الدول المجاورة للسودان.. وحدثه عن ظاهرة وجود طائرات مجهولة دأبت على اختراق الأجواء السودانية مؤخراً والتى تقوم بمهام مشبوهة بمناطق نائية داخل الاراضى السودانية. وكان خريجر طوال اللقاء لبقاً فى حديثه حسن الاستماع ذكى

الاستدراج فى مداولاته مع اللواء عمر محمد الطيب حتى توصل معه فى ختام اللقاء الى الاتفاق التام حول شتى المسائل. ولقد كان حديث خريجر للواء عمر محمد الطيب مطمئناً واتخذ صيغة التوجيه بالنصح والارشاد: بأن الحكومة السودانية الصديقة محتاجة جداً فى ذلك الوقت بالذات أكثر من أى وقت مضى الى استقطاب اللوبى اليهودى بالادارة الامريكية وكسب حرارة صداقته التى يمكن من خلالها الوصول سريعاً الى كثير من الحلول العاجلة والجذرية للمشاكل الحالية والمستقبلية التى تواجه السودان، خاصة اذا علم ولمس اللوبى الصهيونى بالادارة الامريكية معاونة الحكومة السودانية فى مساعدة يهود الفلاشا البؤساء وتحقيق انقاذهم من وضعهم الحالى بالسودان..!

..واسترسل خريجر فى شرحه لكيفية ان السودان فى الظروف الراهنة سوف يزيل بطريقة مباشرة عبئاً ثقيلاً ومضنياً عن كاهله بترحيل الفلاشا.. وكيف ان السودان بترحيل الفلاشا سوف يفتح باب اعادة اللاجئين والوافدين بتأهيلهم فى بلاد اخرى كحل مؤقت تلقائى لأزمة اللجوء بالسودان وتنفيسا للاختناقات المرتبطة بها.. وكما ان السودان بتعاونه مع اللوبى اليهودى بالادارة الامريكية وبطريقة غير مباشرة وبلا عناء سوف يحقق نمواً ايجابياً على مستوى العلاقات الامريكية السودانية الطيبة. وبنهاية اللقاء أثلجت صدر خريجر تأكيدات اللواء عمر محمد الطيب بأن الحكومة السودانية متفقة كل الاتفاق مع ذلك الخط فى مسار العلاقات وإنه قد تلقى شخصياً التوجيهات اللازمة من الرئيس

نميرى بالتعاون فى تسهيل هجرة يهود الفلاشا من السودان وفق ما أتفق عليه وانه سوف يشرف شخصيا على تلك العملية.. واسترسل اللواء عمر مؤكدا تفهم الحكومة السودانية وحسن نواياها فى العمل المشترك شريطة ان تتم كافة التدابير التى أتفق عليها بسرية تامة بحيث لا يتعرض السودان بأية صورة من الصور للاحراج فى دائرة العالم العربى أو الاسلامى نسبة لحساسية المسألة، الامر الذى يجعل تلك العملية (سرية) بالضرورة القصوى.. فطمأنه خريجر وآكد له وأمن على سرية العملية وشع مبتسماً جذلًا فى نهاية اللقاء - (جاء تفصيل ذلك فى مجلة الريدرز دايجست فى دورية فبراير ١٩٨٧م) والتى ذكرت انه وبعد ذلك اللقاء فقد ارسلت مذكرة ختامية ضافية حول عملية ترحيل الفلاشا الى الرئيس الامريكى ريجان مباشرة ومكررة لسكرتير الدولة جورج شولتز، وطار رتشارد خريجر الى تل أبيب حاملًا تقاريره ومذكراته للقاء بالمسئولين الاسرائليين لمزيد من المشاورات هناك.

وفى سبتمبر ١٩٨٤م إكتملت آخر اللمسات فى تدابير خطة الترحيل الجماعى للفلاشا من الاراضى السودانية الى إسرائيل. وتم إختيار وتكليف الامريكى المتخصص فى شئون اللاجئين جيرى ويفر Jerry Wever ليكون الضابط التنفيذى الميدانى للعملية بالسودان الى جانب رجالات المخابرات الامريكية والعناصر الصهيونية الاخرى الموجودة هناك. والمعلوم ان ويفر كادر متمرس ضمن طاقم السفارة الامريكية بالخرطوم وله خبرة ممتازة بظروف

[illegible]

[illegible] في بريطانيا الأمر ولكن
الحقيقة التي لا تقبل المغالطة هي أن ثلاثة من [illegible]
البريطانيين قد وضعوا في حالة استعداد على التسهيل عمليات
التحويل والاستدانة واستبدال العملات ومن [illegible] لكثير من
الدوائر المهتمة انه تم خلال شهري نوفمبر وديسمبر [illegible]م

الفئات في [illegible] خارج لندن لمجموعة من هيئات
الجالية اليهودية وفي [illegible] توفير المجتمع [illegible]
مع [illegible] البريطانية [illegible]
للجالية اليهودية في [illegible] الوكالة اليهودية [illegible]
ببريطانيا أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد [illegible]
اليهودية بجمع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وهو مبلغ حسب ما قالت به صحيفة [illegible] The Sunday Telegraph
الأمريكيين في عملية واحدة [illegible]
الفرنسية [illegible] التكلفة الإجمالية للعملية [illegible]
الاعتمادات [illegible]
أمريكي [illegible] الولايات المتحدة [illegible]
دولار [illegible] بجمعيات يهود العالم [illegible] المبلغ [illegible]
مقال مفصل في الملحق الأسبوعي لصحيفة يديعوت أحرونوت
الإسرائيلية بتاريخ ١١/١/١٩٨٥م والتي نشرت تفاصيل [illegible]
الجباية المالية جاء في المقال أن القرارات بإجراء جباية مالية
خاصة بيهود [illegible] الفلاشا قد أتخذت في إسرائيل في وقت [illegible]
اثناء جلسة طارئة عقدها مجلس امناء الوكالة اليهودية العالمية
وصندوق التأسيس اليهودي في الولايات المتحدة وفرعه بأوربا

واماكن اخرى. فى تلك الجلسة الطارئة أحيط مجلس الامناء بابعاد
عملية تهجير الفلاشا المرتقبة وقدم تقرير مفصل حولها، وأعتمد
مبلغ مائة مليون دولار بالجباية اليهودية الموحدة وخمسة وعشرين
مليون دولار عن طريق صندوق التأسيس. وبعد ذلك بفترة قصيرة
سافر اريه دولتسين A. Dolestin رئيس ادارة الوكالة الى شمال
امريكا من اجل البدء فى جمع المال. عقد فى ١٩٨٤/١١/٢٠م
بتورنتو بكندا مؤتمر الاتحادات اليهودية فى الولايات المتحدة
وكندا، واجتمع دولتسين فى اطار مجموعات صغيرة مع زعماء
الجباية ووضح امامهم بصورة مثيرة اهمية عملية نقل وتهجير يهود
الفلاشا وانقاذهم وطلب اليهم الاسراع فى عمليات الجباية. وبدأت
بعد ذلك حملة الجباية الخاصة فى الولايات المتحدة وأنيط
بشخصيات وصلت من إسرائيل الى الولايات المتحدة مهام خاصة
لتنشيط عملية الجباية والالحاح فى طلب الاسراع بعملية توفير المال
وتجنيده فى سبيل العملية، وكان من بين تلك الشخصيات القائم
بأعمال وزير الخارجية آنذاك اسحق شامير الذى وصل الى
نيويورك وظهر هناك فى لقاءات مع دولتسين امام مجموعة من
الزعماء اليهود. وحسب تقديرات صحيفة الصنداى تلغراف
The Sunday Telegraph فان تكلفة عملية ترحيل الفلاشا
الاجمالية قد بلغت مائتين وخمسة وسبعين مليون جنيه إسترليني
(٢٧٥,٠٠٠,٠٠٠) على الاقل والتى جمعت من مختلف المصادر
واشارت الصحيفة الى ان الجالية اليهودية ببريطانيا لم تجمع أى
مبالغ للعملية بصورة مباشرة باستثناء مبلغ مائة وعشرين ألف

جنيه استرلينى (١٢٠,٠٠٠) تبرعت به للعملية صحيفة جويش كرونيكل Jewish Chronical.

وبالطبع لم يكن متيسرا فى عالم الثمانينات الذى نعيش فيه ان تقوم وتتم عملية استنفار وجباية مالية واسعة بتلك الصورة فى حيز السرية التامة مهما ضرب حولها من سياج التكتم والتستر، فقد تداولت دوائر المال والمصارف اسرارها كما تناولت بعض الصحف العالمية الهامة مثل النيويورك تايمز The Newyork Times والبوسطن قلوب The Bosten Gallop واللموند الفرنسية Lemonde بعض الاخبار والمعلومات حولها، فكان ان تسربت الاخبار والمعلومات تباعاً واصبح المجتمع الامريكى يتحدث عن هجرة يهود الفلاشا بل انتشرت الاقاصيص المتناقلة حتى على مستوى المدارس اليهودية والامريكية بين أوساط الطلاب، وانتشرت اقاويل واشاعات كثيرة تتحدث حول ان إسرائيل تقوم بشراء عبيد افارقة من اسواق النخاسة فى افريقيا وتقوم بعتقهم وتهويدهم وتحريرهم من العبودية، كما جرى تناقل اقاصيص وتخاريف كثيرة اخرى على ذلك النحو من الخرافات التى لا تمت الى الحقيقة بصلة والتى وجدت انتشارا واسعا فى الاوساط الاجتماعية بالولايات المتحدة. ولقد كان وقع أصداء وانتشار تلك الاخبار على المهتمين بامر هجرة يهود الفلاشا كالصاعقة ووجدوا انفسهم فى مأزق حرج صعب التلافى ينذر بكشف مخطط تهجير الفلاشا، غير ان إسرائيل ازاء ذلك الموقف المتفاقم لم تقف مكتوفة الايدى ولم يثن هول المفاجأة وافتضاح

الامر عزيمة مخطط عملية هجرة الفلاشا الجماعية فيها فتصدوا مباشرة وبلا تردد وفى الوقت المناسب بان اطلق الاعلام الاسرائيلى والصهيونى موجها ومسنودا بالصحافة وادوات الاعلام الغربية حملة مستعرة تهدف الى تحويل الانظار وصرف اهتمام الرأى العام عن حقيقة ما يجرى. فتم افتعال ازمة تتحدث صارخة عن الخلاف العميق والتوتر الحاد القائم بين الولايات المتحدة الامريكية والوكالة اليهودية العالمية والسلطات الاسرائيلية حول برامج وسياسات عمليات استيعاب المهاجرين وتأسيس المستوطنات بأسرائيل الشيء الذى اصبح مادة اخبارية ساخنة تتناولتها ورددتها محطات الاذاعات العالمية ومؤسسات صناعة الاخبار وبدأت الصحف الاسرائيلية فى نشر اخبار متواصلة ومساجلات عن الخلاف الدائر بين الولايات المتحدة والوكالة اليهودية حول التصرف فى الاموال والميزانيات المخصصة لتوطين اللاجئين المهاجرين التى تتحصل عليها الوكالة اليهودية من الولايات المتحدة الامريكية.. وبما ان حاييم اهارون رئيس دائرة الهجرة فى الوكالة اليهودية ينتمى الى حزب حيروت الاسرائيلى فلقد تحولت القضية المثارة الى ازمة سياسية فى إسرائيل تناولتها كل الاطراف بالتجاذبات والاتهامات والتراشق الحزبى. واعلن يعقوب تسور Jacop Tissor من دائرة الاستيعاب والذى ينتمى الى حزب العمل الاسرائيلى من خلال الصحافة الاسرائيلية عن معارضته للاعمال التى يقوم بها حاييم اهاورن وادارة الوكالة اليهودية. وحذر شمعون بيريز ودولنسين من ان مثل تلك الاعمال

والاموال، تعرض الصناديق واعمال الجباية اليهودية عامة وفى الولايات المتحدة خاصة للخطر وعدم المصداقية الامر الذى سيؤدى حتماً الى فقدان الثقة وسند القواعد الجماهيرية اليهودية العريضة الى جانب قطاع المتعاطفين فى الغرب الذين يقفون فى صف المؤازرة والدعم السخى بلا حدود. ولقد جاء فى صحيفة هاعولام هازية Haolam Hasa «... ان المنظمات الصهيونية ومعها المؤسسات اليهودية الصغيرة التى تقوم بجمع الاموال والجبايات لحساب اسرائيل في واشنطن مستاءة جداً من اعمال الخداع والمراوغة التى تقوم بها إسرائيل فى برامج الصرف على عمليات استيعاب واستيطان المهاجرين بتحويل مخصصات مالية كبيرة من ميزانيات الاستيطان وتسخيرها فى اغراض اخرى بعيدة عن مسائل الاستيطان...». وشاءت الظروف أن زامنت تلك الازمة المفتعلة ضجة صحفية اخرى حول تحرش العسكر الاسرائيلى بالحدود اللبنانية والدخول مع المليشيات التى تروم هناك فى عمليات عسكرية خارج نطاق الحزام الامنى الاسرائيلى بجنوب لبنان، مما يعنى تورط إسرائيل فى مواجهة عسكرية ودخولها من أوسع الابواب فى حلبة الصراع اللبنانى الدائر. فقامت لذلك حملة استهجان سياسية واسعة فى العالم العربى شغلت الاعلام العربى المضاد لوقت طويل، كما تابع العالم اجمع تلك الاحداث بحذر وأنفاس مقبوضة تحسبا من تفاقم الاحوال بالشرق الاوسط واتساع رقعة الحرب - وكان فى كل هذا وذاك خير ستار و(كوموفلاج) لتغطية عمليات الجباية المالية المخصصة من أجل ترحيل

وتهجير يهود الفلاشا الاثيوبيين. وعلى اثر تلك الاحداث تم فورا ايقاف الجباية العلنية بعد ان اخذت مداها وتدفقت الاموال سرا وتم حصرها بواسطة الوكالة اليهودية، كما جرى التعميم والتحذير بعدم التصريح أو الادلاء بأى معلومات عن امر الجباية فى داخل أو خارج إسرائيل وعلى أى مستوى كان. وبعد ذلك انتقلت دائرة العملية بعيدا عن اجواء الاثارة وتدثرت بعيدا فى مدينة جنيف حيث اجتمعت نخبة من القيادات الصهيونية لتتفرغ وتجرى اتصالاتها فى هدوء وعمل متواصل لتنظيم ادارة واخراج عملية الترحيل الجماعى ليهود الفلاشا الى إسرائيل.

وبدأت ارهاصات تنفيذ عملية نقل الفلاشا تأخذ طابعاً جاداً، وتسلم جيرى ويفر الامريكى مهام تكليفه بالتنفيذ وقفل راجعاً الى الخرطوم يقلب أوراق مهمته الصعبة فى حذر ويسهر الليالى فى مراجعة وترتيب كل خطوة بمنتهى الدقة واليقظة. ولقد شرع ويفر فى العمل بالسودان مباشرة وفى احسن ظروف تقديرية بعد دراسته ومعرفته الجيدة للظروف الميدانية للاراضى السودانية التى يعمل بها هذا علاوة على تمتعه بصلات وشبكة معاونين اجانب متفرغين للمهمة فى عدة مرافق سبق اختياريهم وزرعهم بعناية فى مواقع مختلفة وفى داخل معسكرات اللجوء بشرق السودان وفى مدينة القضارف وكسلا والخرطوم منذ شهور خلت.

وقبل وقت كاف تسلل الى مضارب الفلاشا باثيوبيا بعض من اعوان الموساد من شباب ورجال الفلاشا الذين تم اعدادهم وتدريبهم وتوجيههم ومدهم بالامكانت اللازمة، تسللوا عبر الحدود

السودانية ليقوموا بالطواف بكافة مناطق وقرى الفلاشا المنتشرة بمنطقة قندر وتقراى لحث الاهالى هناك سراً وترغيبهم فى الاسراع بالنزوح للسودان. وكان ذلك التحرك يهدف اساساً الى استنفار واستجلاب ما تبقى من شتات الفلاشا المنتشرين بالمنطقة ما امكن الى داخل الحدود السودانية بناء على مبدأ التركيز على العمل من داخل السودان حتى يتسنى حشد اكبر عدد من الفلاشا بمعسكرات اللجؤ بشرق السودان توطئة لنقلهم الى إسرائيل. وتبين لاحقا ان اعدادا كبيرة من بسطاء وسذج الفلاشا المنعزلين فى القرى النائية وفوق سفوح الجبال قد ضللوا بان الوقت الموعود قد حان ونادى المنادى بالذهاب الى ارض الميعاد وانهم بنزوحهم غربا سيصلون الى ارض الميعاد التى سبقهم اليها الكثيرون من بنى ملتهم. ونشط الاعوان يمشطون المنطقة فى استجلاب الذين تخلفوا عن النزوح أو الذين آثروا البقاء فى قراهم فخرجوا نازحين فى جماعات وجرى بذلك افراغ قرى بكاملها بالنزوح فى اتجاه الحدود السودانية. ووقف الاعوان بطول الشريط الحدودى بين السودان واثيوبيا يدلون النازحين ويرشدونهم الطريق عبر الشعب والمسالك الوعرة الشديدة الانحدار والوديان القفرة ويقدمون لهم ما تيسر من الماء والطعام ويوجهون نازحى الفلاشا وفق تدابير وارشادات مسبقة للذهاب الى معسكر (ام راكوبة) على وجه الخصوص والى المعسكرات القريبة منه كمعسكر (ود الحليو) ومعسكر (تواوا).

وكان لنزوح لاجئى الفلاشا الموجه المركّز الى معسكر ام

[illegible] والمستشفيات [illegible]

[illegible] المرضى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في نوفمبر ١٩٨٦ [illegible]

[illegible]

[illegible] (مثل [illegible]) [illegible]

والصيدلانية [illegible] وعيادة طبية [illegible]

بالعلاج فيها (ممرض وممرضة) [illegible]

السويد، بيتر MR. Peter والأخت البريطانية Elizabeth وتشرف

على ادارة المعسكر ادارة شئون اللاجئين السودانية بمعاونة مجلس الكنائس السوداني Sudan Concile of Churches .
ومصدر مياه الشرب الوحيد بالمعسكر بجانب الامطار الموسمية بئر سطحية توزع منها المياه على ظهور الحمير والدواب على ارجاء المعسكر الى ان تم اخيرا حفر بئر جوفية بالمعسكر في اغسطس ١٩٨١م. ولا يوجد بالمعسكر نظام صرف صحي أو أي وسيلة لمراحيض ويمارس الناس الطبيعة في العراء هناك. وبتكاثر اعداد اللاجئين المتزايدة اصبحت الحياة مأساة في ذلك المعسكر وشؤماً علق فيه شبح الموت فوق الرؤس مخيماً على سماء تلك البقعة يحصد الآلاف من الضحايا من الفلاشا وغيرهم من اللاجئين. فلقد وصل عدد الوفيات في اغسطس ١٩٨٤م الى الف واربعمائة (١,٤٠٠). وقفز العدد الى ألف وتسعمائة وتسعة وثلاثين (١,٩٣٩) في نوفمبر ١٩٨٤م! ولعله اضافة الى انعدام الخدمات الاساسية الضرورية لحياة الانسان الجماعية في معسكر ام راكوبة وتفشي الأمراض فيه كانت هناك اسباب موضوعية اخرى تضافرت في ارتفاع معدل الوفيات بين أوساط الفلاشا، فلقد وصل الكثيرون من الفلاشا الى الأراضي السودانية وهم على اعتقاد واقتناع تام بانهم وصلوا الى ارض الميعاد حسب ما لقنوا. فكانوا عند وصولهم يركعون ويقبلون الارض عند بوابة المعسكر. ولقد كانت صدمة الاحباط قوية جداً وقاسية بالنسبة لهم افقدت الكثير منهم التوازن النفسي والعصبي حين تبين لهم انهم خدعوا بعد ان تركوا ديارهم وبيوتهم ومتاعهم نهائياً وبلا عودة. وكان من آثار تلك

الصدمة النفسية العصبية الجماعية ان اصاب الاكتئاب النفسي والعصبي والهلوسة عدداً كبيراً منهم وهرب بعضهم من المعسكرات على طريق العودة الى قراهم باثيوبيا فهاموا مذعورين يتخبطون بين المسالك في الفلاة. كما حدثت بعض حوادث عنف وهياج وشروع في الانتحار رصدتها سجلات ومدونات المعسكرات اليومية. اضف الى ذلك عامل التغيير المفاجىء في البيئة الطبيعية التي لم يتسن للفلاشا التاقلم فيها بصورة مقبولة. فبعد وصولهم للمعسكرات بالسودان وجد الفلاشا انفسهم يعيشون في ارض سهول منبسطة ممتدة وامتداد البصر، مناخها مدارى جاف تصل درجة الحرار فيه الى سبعة واربعين درجة مئوية (٤٧) في الصيف. وتختلف بيئة تلك السهول كليا عن طبيعة ارضهم الجبلية الرطبة الشيء الذى تسبب في نشوء كثير من حالات عدم التكيف الفسيولوجي التي ظهرت في صورة اعراض مرضية مختلفة بين اوساطهم. وكانت هناك ايضا حالة من عدم التكيف الاجتماعي حيث تطلب الوضع بمعسكر ام راكوبة والمعسكرات القريبة منه بمعسكر تواوا ومعسكر ود الحليو أن يعيش الفلاشا كتفا لكتف مع خليط اللاجئين الذين ينتمون لقبائل متباينة ومعظمهم مسيحيون الامر الذى عرض الفلاشا الذين لم يتعودوا من قبل مخالطة الغير الى ضرورة التكيف في ظرف حالة اجتماعية قهرية لم تتسن لهم فيها المعايشة والتكيف بأى حال. وظهرت اعراض اخفاقهم وعدم تكيفهم الاجتماعي جلية في سلوكهم بانفرادهم في مجموعات صغيرة لا يغادرون اكواخهم ولا يخالطون

الآخرين، بل كانوا فى تلك الظروف المعيشية القاسية بالمعسكرات لا يتناولون أى طعام غير الذى الفوه فى قراهم الشىء الذى كان مستحيلا توفيره بالمعسكرات. كانوا يرفضون طعام المعسكرات الذى يقدم لهم ويرفضون جرعات وكبسولات الدواء الذى يوزع عليهم كما يرفضون التطعيم بأى مصل وقائى ولا يذهبون للعيادة الطبية حتى فى اسوأ حالاتهم المرضية، فكانت حالة العجز وعدم التكيف الفسيولوجى والاجتماعى التى ساهمت بقدر كبير الى جانب انتشار الامراض وسوء التغذية فى ارتفاع معدل الوفيات.

وهناك فى الخرطوم ظل جيرى ويفر ومعاونوه فى حالة عمل دءوب متواصل، وحتى لا تعوزه المادة فلقد وضع تحت تصرفه بندا ماليا مفتوحا لتأمين المصروفات ولسداد فاتورة أى اتعاب فى سبيل تحقيق مهمته الدقيقة. وهنا تجدر الاشارة الى ان ويفر قد تمكن سريعا وبدون عناء من اقامة علاقة عمل وثيقة ومتينة منذ البداية مع ادارة جهاز أمن الدولة السودانى محتفظا لنفسه بحق تحديد اسلوب وكيفية الشروع فى اى خطوة عملية يحتاج فيها لمساعدة أو مساندة تغطية جهاز أمن الدولة. ولقد كان ذكيا فى كسب ثقة الكوادر المحدودة من الذين فرغهم جهاز أمن الدولة للمشاركة التنفيذية معه فى العمل المشترك، دون ان يترك الفرصة لجهاز أمن الدولة السودانى ان تكون له يد فى وضع أى خطة عمل مهما كان الامر صغيرا أو تافها. وعلى احسن الفروض كان ويفر يستفسر رئاسة جهاز أمن الدولة ممثلة فى الكوادر التى يتعامل معها ويستقبل الاقتراحات ولكنه كان يحتفظ دائما لنفسه بالقرار

النهـائى، وكـان ذلك نو اسلوبـه فى التعامل معهم. فظل يوهم المتعامل ين معه بانه ذلك الاجنبى الحصيف المتمكن الذى يعرف ماذا يريد والمتبرم لمجرد محاولة التدخل فى شئونه وعلى أى حال كان ويفـر ذكى التصرف متزنا وقابضا بشكل ملحوظ على بند المصروفـات المفتـوح الذى وضـع بين يديه، ومناورا مرنا حين يتعرض للابتزاز حتى اننا نجده قد وعد بتلبية طلبات اللواء عمر محمد الطيب فى دعم جهاز أمن الدولة السودانى بامداده بمعدات واجهزة عمل ميدانية تشتمل على اجهزة اتصال لاسلكى نقالة واجهزة للارشادات الضوئية، مناظير ظلام ميدانية، معدات تنصت ومستلزمات اخرى مختلفة. هذا علاوة على تحويل مبلغ مالى معتبر فى حسـاب خاص باحد البنوك البريطانية كمساهمة فى ميزانية تغـطيـة فاتـورة الاستشاريين الذين سيشرفون على تصميمات ورسومات مبانى بلازا أمن الدولة المزمع تشييدها بضيعة كافورى بالخرطوم بحرى (شركة ومبى ـ WIMPI Co.). وتعرض ويفر ايضا فى تلك الفترة لبعض مناورات ابتزاز ساذجة من داخل دهاليز القصر الجمهورى السودانى، حركها عملاء شبكة اتصالات رجل الاعمال العربى عدنان خاشوقجى الا انه نجح فى تجنب التورط فى تلك المحاولات حيث احتمى بالشكوى الصريحة للسفير الامريكى بالخرطوم الذى بادر فزعا بلقاء الرئيس جعفر نميرى بدون سابق ميعاد بمبانى (استراحة) القوات المسلحة بالخرطوم شرق وافضى له بالمضايقات التى يتعرض لها رجاله ومحالاوت التلاعب باسرار العمل المشترك التى قد تؤدى الى نسف العملية من اساسها. وقام

الرئيس السابق جعفر نميرى وفى نفس اليوم باستدعاء مستشاره بالقصر الجمهورى وتحدث اليه فى مواجهة انتهت بان غلّ الرئيس نميرى ايادى قصر الرئاسة التى استمرأت العبث فى الظلام. وشهدت الايام التى تلت ذلك الحدث جفوة صريحة من الرئيس السابق جعفر نميرى لبعض القياديين وعلى راسهم مستشاره لشئون الرئاسة الذى ظل بعدها مهمشا فى مكتبه بلا أعباء لوقت طويل!!

وإستقرت علاقة العمل المشترك بين جيرى ويفر ومستر ملتون بالسفارة الامريكية وبين جهاز أمن الدولة السودانى بصورة واضحة منضبطة محددة حيث خصص وفرغ اللواء عمر محمد الطيب عددا محدودا من ضباطه الذين جرى اختيارهم وانتقاؤهم بعناية للقيام بالمهمة المشتركة مع رصفائهم الاجانب. وطلب اللواء عمر من كوادره المنتقاة ان تلتقى فى تعاونها مع جيرى ويفر ومستر ملتون خارج مبانى جهاز أمن الدولة تأميناً للمرونة وتأكيداً للسرية المطلوبة فى العمل بداخل وخارج جهاز أمن الدولة السودانى.

ومنذ ذلك الوقت انشغلت تلك الكوادر الموثوق بها فى حالة عمل متصل مع جيرى ويفر ومستر ملتون. وبعد الانتهاء من فترة الانسجام والتنسيق بينه وبين كوادر جهاز أمن الدولة السودانى، كان على جيرى ويفر ان يقوم بشراء وتجهيز كافة مستلزمات مهمته الكبيرة ويقوم بتخزينها حتى تكون جاهزة فى متناول اليد عند البدء فى التنفيذ. وضمت قائمة مشترواته المستلزمات الآتية :

- شراء مواد بترولية، جازولين وزيوت وشحوم ماكينات تم شراؤها وشحنها من دوله عربيـة مجاورة وسلمت فى براميل عبوة خمسة وخمسين جالون بموجب اذونات وتصاديق وتراخيص باسم جهاز أمن الدولة وتم تخزينها بحظيرة مصنع مهجور بالخرطوم.
- شراء عدد اربعة شاحنات (لورى) نيسان شاسيه تم استيرادها من جدة وصنّعت عليها هياكل بصات ركاب بورش الخرطوم المحلية.
- شراء اغطية وبطاطين وخيام ومستلزمات معسكرات خلوية.
- شراء مواد غذائية ومأكولات مختلفة معلبة.
- شراء صناديق للاسعافات الاولية ومستلزمات طبية (أدوية ملاريا، نزلات معوية، محفات لنقل المرضى).
- تجهيز عدد اثنين لورى تانكر سعة خمسة الف جالون من طراز هينو مركب عليها طلمبات سحب مياه اثنين بوصة.
- معدات واجهزة ميكانيكا وكهرباء سيارات (اطقم مفاتيح متعددة الاغراض ومفكات ومعدات يدوية، عفاريت عربات، بطاريات وجهاز شحن بطاريات (شارز) وكمبروسور هواء).
- تخصيص وتجهيز خمسة عربات جى ام سى G. M. C. ثمانية سلندر ذات دفع امامى وخلفى ٤ × ٤ من العربات التابعة للسفارة الامريكية بالخرطوم، ثلاث عربات منها إستيشن واجن واثنين بيك اب بشاسى طويل.

وعلى مدى تلك الفترة القصيرة فى الاعداد للعملية بالسودان كان مستر ملتون من السفارة الامريكية بالخرطوم وجيرى ويفر

ومعاونوه فى حالة عمل متصل ليل نهار وفى حالة نشاط وتنقل دائم بين العاصمة الخرطوم ومدينتى القضارف وكسلا وبين محطات استقبال ومعسكرات اللجوء المنتشرة على الشريط الحدودى بين السودان واثيوبيا. وبأطراف مدينة القضارف قام جيرى ويفر ومعاونوه باعداد وتجهيز منزل كبير تم استئجاره هناك لاستخدامه كمحطة متقدمة ووضع به جزء من مخزون المواد والمعدات والمؤن. كما كان جيرى ويفر يلتقى بمعاونيه هناك لتدارس سير العمل فى حصر وتجميع يهود الفلاشا. تلك العملية البطيئة التى اخذت زمنا طويلا ومجهودات مضنية حيث ان عمليات الفرز والتجميع كانت تجرى من داخل معسكرات اللجوء المختلفة ومحطات الاستقبال من بين أوساط اللاجئين والوافدين الاثيوبيين والارتريين المتباينى القبائل واللهجات. تلك العملية كانت تتطلب ان يتسرب المعاونون من الفلاشا الى داخل معسكرات اللجوء المتفرقة والمتعددة فى الاقليم الشرقى بالسودان ويرصدون اعداد الفلاشا ويساعدونهم فى الهروب والتسرب من تلك المعكسرات والتوجه الى معسكرات معينة كمعسكر ام راكوبة وتواوا وود الحليو للقيام بعلاجهم ورعايتهم هناك فى انتظار ترحيلهم جماعيا الى إسرائيل. وانتقلت الفكرة بين افراد وجماعات الفلاشا كسر يتهامسون به فى خلوتهم حيث كان يعلم البعض منهم بان ميقات خلاصهم من جحيم رواكيب ومخيمات اللجوء الكئيبة الى جنة ارض الميعاد قد حان، اما كيف ومتى يتم ذلك؟ فذلك سر لا يعلم به احد فظلوا فى صمتهم ممسكين بحبال الصبر والانتظار الطويل.

ومرت الايام رتيبة قاسية بالمعسكرات يشق صمت الليالى الكئيبة فيها انين المرضى وسعال المصدورين وصراخ الاطفال ونحيب الثواكل، وفى صباح كل يوم تخرج من كل معسكر مجموعة نعوش مدثرة محمولة على الاكتاف الى الجبانات التى انتشرت حول المعسكرات والتى اصبح عدد القبور فيها يزداد ويتكاثر يوما بعد يوم. كان معدل الوفيات كبيرا والحالة الصحية العامة متدنية فى المعسكرات ويزيدها سوءا انتشار وباء الكوليرا والنزلات المعوية الحادة والحميات مثل الملاريا والتيفويد وحمى الامعاء الخبيثة. ويزيد الحال سوءا على الحال الصحية الظروف النفسية والمعنوية التى يعانى منها قوم عصف فيهم التمزق الاجتماعى والعائلى والضياع والتشتت ايما عصف وفقدوا احساسهم بالزمن فى معسكرات اللجوء المعزولة فى العراء، فهم لا يعرفون ولا يدركون فى أى يوم من ايام السنة يعيشون أو فى أى شهر من الشهور. فاليوم عندهم اشبه بالامس الحالك و الامس اشبه بغدٍ ولا فرق عندهم بين الايام.

وعلى البعد هناك ومن رئاسة المخابرات الامريكية المركزية بالولايات المتحدة كانت التقارير والتوصيات تصل الى جيرى ويفر ومستر ملتون بالخرطوم دوريا ويعكف عليها رجال متخصصون بالتحليل والتمحيص ويبعثون بملاحظاتهم واستفساراتهم الدقيقة المستعجلة أولا بأول عبر الخط الساخن الذى نشأ بين السفارة الامريكية بالخرطوم وواشنطن. وفى ذلك الوقت تمت الترتيبات واكتملت اجراءات الجسر الجوى لنقل عشرة الاف مواطن ومواطنة

(١٠,٠٠٠) من يهود الفلاشا الاثيوبيين رأسا من مطار الخرطوم عبر روما الى بروكسل كمحطة ترانسيت وللتزود بالوقود ثم الطيران مباشرة الى مطار بن جوريون الدولى بتل ابيب فى إسرائيل. ومن ضمن مجموعة خطوط وشركات نقل جوية كثيرة وقع الاختيار والتعاقد مع شركة (ترانس يوربيان ايرويز البلجيكية .T. E. A) Trans Europian Airways لتقوم بتنفيذ الجسر الجوى بطائرات ركاب من طراز بوينج ٧٠٧ وكانت مساعى الكيان الصهيونى والمخابرات الامريكية المركزية قبل اختيار الشركة البلجيكية تجرى بحثا عن انسب مؤسسة نقل جوية مدنية لتقوم بمهمة الجسر الجوى لنقل يهود الفلاشا فى رحلات متتالية ووفق برنامج دقيق من الخرطوم الى دولة ثالثة ومنها الى إسرائيل مباشرة بطريقة لا تلفت الانتباه ولا تثير الشكوك لا فى داخل السودان ولا بخارجه، على ان يكون مطار الدولة الثالثة بمثابة محطة ترانسيت وفق ما تقتضى مواصفات الخطة العامة Master Plan لترحيل الفلاشا الجماعي. ولقد جرت اتصالات ومشاورات ومباحثات ودراسات طويلة لعروض نقل جوى تقدمت بها شركات كثيرة، وكان من ابرزها الخطوط الفرنسية Air France والخطوط الجوية السويسرية Swiss Air الآ ان كل تلك العروض لم تجد طريقها للقبول نسبة لأنها لم تستوف الشروط والمواصفات (الخاصة) المسبقة المطلوبة للقيام بعملية الجسر الجوى وبمنتهى الاحاطة وفق ما تقتضيه الخطة العامة للعملية. ومضى وقت والبحث مستمر عن الخط الجوى التجارى المناسب للقيام بالمهمة الى ان ظهرت التحركات

النشطة للمستر جورجيس جوتلمان MR. Georges Gutelman المدير العام لشركة الطيران البلجيكية مستغلا صلاته التجارية مع دولة إسرائيل وعلاقاته القوية فى اروقة الحكومة البلجيكية مذللا لكل العقبات التى تقف فى طريق فوز شركته بذلك العقد المجزى لتنفيذ ترحيل يهود الفلاشا من السودان الى إسرائيل وفق الشروط والمواصفات الدقيقة المطلوبة. ومستر جوتلمان رجل موثوق به لدى الجانب الاسرائيلى وتربطه به مصالح تجارية فى مجال تسويق السلاح والمصنوعات الاسرائيلية، فهو يقوم بتنفيذ عقود لتسويق اجهزة تشويش رادار إسرائيلية معدلة للسلاح الجوى البلجيكى كما يقوم بتنفيذ عقود خاصة بصيانة اجهزة ملاحة الطائرات الحربية البلجيكية من طراز ف ١٦ ـ F 16 وامدادها بقطع غيار إسرائيلية الصنع. وحتى يتسنى لمستر جوتلمان موافاة تمام المواصفات المطلوبة فى عملية نقل الفلاشا جوا، تمكن من اقناع صديقه اليهودى جين قول Jean Gol الذى يشغل منصب وزير العدل ونائب الرئيس البلجيكى والمسئول عن الخدمة الأمنية البلجيكية Belgian Security Service للسماح بصفة استثنائية خاصة لطائرات شركة T. E. A. ان تستخدم مطار زافنتين الدولى ZAVANTEEN INTERNATIONAL AIR PORT ببروكسل كمحطة ترانسيت فى طريقها من السودان الى إسرائيل محملة بيهود الفلاشا فى هجرتهم الجماعية. اما بالنسبة للامر بالسودان فلم تكن هناك اية عقبة تذكر بل كان الوضع مثاليا بالنسبة لشركة الخطوط البلجيكية، فقد اعتادت ومنذ سنوات ان تقوم

شركة T. E. A. بالتعاقد مع السودان سنويا لنقل الحجاج السودانيين من والى الأراضي المقدسة فى رحلات منتظمة بين جدة والخرطوم وذلك بموجب اتفاق وعقود خاصة مع الحكومة السودانية بتنسيق مع الناقل الوطنى سودان اير Sudan Air وعليه فان توجه وتواجد طائرات الخطوط البلجيكية بمطار الخرطوم والأجواء السودانية امر لا يثير أى شكوك أو ريبة بحكم طبيعة سابق تعاملها المعروف بالسودان. وعليه ونسبة للاسباب سالفة الذكر فلقد جرى التعاقد مع شركة الخطوط البلجيكية للقيام بتنفيذ عملية الجسر الجوى، وهى شركة طيران مؤهلة من حيث الخبرة والامكانيات للقيام بذلك العمل وتتمتع بملكية اسطول نقل جوى مرموق اذ تمتلك عدد ست طائرات بوينج ٧٣٧ وطائرة ايرباص A300 وعشر طائرات من طراز بوينج ٧٠٧ هذا بجانب طائرات الشارتر النفاثة الصغيرة التى يستاجرها رجال الاعمال. كما هو معلوم ايضا دور تلك الشركة بخدماتها الطويلة فى مجال النقل الجوى بأوربا حيث تعتمد عليها كثيرا القوات الامريكية ووحدات حلف ناتو الموجودة فى أوربا الغربية فى عمليات النقل الجوى Air Cargo من والى قواعدها المنتشرة هناك.

وبعد جولة الطواف الاخيرة بمعسكرات اللجوء بشرق السودان، تسلم جيرى ويفر تقارير معاونيه عن كل معسكر مبينة فيها اعداد الفلاشا القابعة فى انتظار الترحيل الجماعى. وتم تسيير البصات المجهزة وكافة المعدات والمواد المطلوبة لتكون قريبة فى متناول اليد بالمنزل المخصص كمحطة متقدمة باطراف مدينة القضارف. وعاد جيرى ويفر للخرطوم لاستقبال بعض معاونيه

الذين قدموا من جنيف بسويسرا للوقوف على سلامة الاستعدادات النهائية والوقوف على التنفيذ الذى اصبح وشيكا. ويدخل البرنامج الزمني للعملية في طور العدّ التنازلي إيذانا بالانطلاق. وفي ذات الوقت كان ان قام جهاز أمن الدولة السوداني بالتأمين على كافة التسهيلات لتغطية العملية بحيث لا تعترض أو تتدخل ادارة الطيران المدنى السوداني على نزول الناقلة البلجيكية البوينج ٧٠٧ في برامج رحلاتها المرتبة وان لا تتعرض الناقلة أو ركابها لأي نوع من اجراءات التفتيش الامنى بواسطة سلطات الجوازات والهجرة او دائرة الجمارك و الصحة أو خلافه من الاجراءات الروتينية المعمول بها في المطارات السودانية، وعلى ان تقبع الطائرة البلجيكية بعد هبوطها في مطار الخرطوم في اقصى الركن الجنوبي الغربي من حظيرة المطار بجانب (تيرمنال) الحجاج المهجور في ذلك الوقت من السنة والذى لا يستعمل الا موسميا عند سفر وعودة الحجاج السودانيين. كما قامت ادارة جهاز أمن الدولة السوداني مسنودة بعناصر الموساد الاسرائيلي والمخابرات الامريكية المركزية بكافة التعزيزات والتحوطات اللازمة تجاه اجهزة المخابرات المضادة عامة والاجهزة والعيون العربية بالسودان على وجه الخصوص حتى لا تخترق سرية العملية باى حال. وظل كل شيء مرتبا ترتيبا دقيقا وفي احسن الاحوال التقديرية في انتظار ان تلمس اطارات عجلات طائرة البوينج ٧٠٧ البلجيكية مدرج مطار الخرطوم الدولي إيذانا ببدء العملية التى أطلق عليها اسم (عملية موسى Moses Operation).



• مدخل معسكر ام راكوبة للاجئين

السودان اكتوبر ١٩٨٤م



مقابر الفلاشا بالقرب من معسكر ام راكوبة للاجئين

نوفمبر ١٩٨٤م





بعض نساء واطفال الفلاشا. معسكر

ام راكوبة للاجئين نوفمبر ١٩٨٤م

البــاب الخــامس

مخاض الظـلام .. عمليـة موسى

كان شتاء عام ١٩٨٤م بالخرطوم عاصمة السودان شتاءاً مدارياً جافاً يبدو النهار فيه قصيراً والليل طويلا عميقا حالكاً تهب فيه نسمات الشمال الباردة حاملة غبارا ناعما يكسو هامات البنايات ويعفّر الطرقات ويجثم متراكما على السيارات القابعة امام المحال والمنازل وتلك الهامدة المتراصة في صفوف طويلة متعرجة قبالة كل محطة وقود في انتظار جالونات من البنزين ربما في صباح اليوم التالى أو في اليوم الذى يليه أو قد يطول الانتظار لعدة ايام. والبلاد تمر بأزمة وقود حادة ولا تباشير في الصحف اليومية أو في التصريحات الرسمية للحكومة بانفراجها. ومنسوب النيل وروافده يسجل انخفاضاً مريعا اتخذت السلطات إزاءه قراراً بعدم زراعة القمح في ذلك العام مما زاد في تفاقم ازمة الحبوب والغلال التى اكتسحت البلاد بطولها وبعرضها ضمن

مظاهر المجاعة التى هيمنت على البلاد. ولقد تأثرت شبكة كهرباء البلاد القومية متضررة من ذلك العجز والتدنى القياسى لمنسوب النيل فانعكس سلبا على منتوج الميجاوات الكهربائية المولدة توربينات سد الروصيرص وسد سنار. فخيم الظلام على القرى والحضر حتى العاصمة القومية الخرطوم بات يلفها الظلام الدامس لمدى ليالى وليالى. وبرنامج قطوعات التيار الكهربائى المتكررة الدورية شمل احياء وقطاعات كاملة من المدينة وامتد احيانا لاكثر من اربع وعشرين ساعة فتبدلت الحياة فى المدينة المتمددة الاطراف الى معاناة. يلهث الناس فيها - منذ شروق الشمس - وراء توفير ضروريات واسباب الحياة وتعطلت الحركة وتنقلات المواطنين فى ارجاء المدينة المشلولة التى اصبحت تتوسد اياديها الخاوية وتخلد مبكرة لسبات النوم بعد سكات ازيز وهدير مولدات الكهرباء المنتشرة هنا وهناك فى وقت مبكر قبل منتصف الليل. ومن اقصى الاطراف الجنوبية للمدينة تهب نسمات الشمال الباردة المغبرة تحمل اصداء انغام التانغو القديمة وايقاعات موسيقى الرقى المتقطعة من حين الى حين منبعثة من مرقص المدينة الوحيد بكازينو الهابى لاند الراقد على ضفاف النيل الازرق. وفى عمق الليل يمكنك ان تتنصت ايضا وبوضوح صوت زئير اسد حديقة الحيوان العجوز يشق الصمت والسكون فى الليل البهيم منبعثا من اقصى الطرف الشمالى الغربى للمدينة حيث ملتقى النيلين.

فى ذلك الشتاء كان نهار الخرطوم شقاءً وبؤسا وليلها كآبة

[illegible] وضجرا زاد من وطأته الاجراءات العرفية وحالة الطوارىء [illegible] بالبلاد واعلان الخرطوم (مدينة جافة ـ Dry City) بمعنى [illegible] اول المشروبات الروحية فيها منعا باتا بمقتضى تطبيق أمر [illegible] فى تلك الايام كانت الخرطوم تمر بمرحلة الفطام وتعيش حالة [illegible] الاستقرار والهلع والتوجس وهى تحاول التطبع على اسلوب الحياة الجديد الذى فرضته واملته قوانين الطوارىء والاحكام المطبقة حديثا. فلقد انحسرت عموما معظم نشاطات المواطنين [illegible] الليلية سواء فى مجالات العمل أو اللهو والترويح، فكان [illegible] التجول فى الساعة السابعة مساء بشارع الجمهورية وهو الشارع الذى يتوسط منطقة السوق التجارية الرئيسية الحية بالمدينة فتجده ميتا وخاليا تماما الا من رجال شرطة الحراسة الليلية فيتملكك شعور قوى بانك تتجول بذلك الشارع فى وقت حظر فيه التجوال. ولقد أُغلقت بالمدينة كل الكازينوهات والحانات والاندية التى كانت تتعامل فى المنعشات والمشروبات الروحية وتبدلت المدينة الصاخبة الى مدينة مذهولة وآثر فيها سمار الليالى وعشاق حياة الليل ورواد اللهو البرىء الانزواء فى منازلهم اما امتثالا للاحكام الجديدة أو طلبا لسلامة انفسهم من العقوبات التاديبية الرادعة وخوفا من معاملات الشدة والقمع والمحاكمات القسرية والتشهيرية التى كانت تعلن وتبث على رءوس الاشهاد عبر محطات الراديو والتلفزيون السودانى يوميا. هذا بجانب مضايقات بعض افراد القوى النظامية من شرطة ورجال أمن الدولة الذين اطلق الرئيس نميرى يدهم تماما فى ذلك الاتجاه الذى

لم ينج منه كثير من الضحايا الابرياء من ذوى الحظ العاثر الذي ساقتهم الاقدار للوقوع فى براثن ايديهم ليواجهوا مصائر مظلمة موجعة.

وفى ذلك الجو المشحون بالضغوط الحياتية ودواعى عدم الاستقرار والتوتر وما ترتب على التطبيق القسرى للاوضاع والقوانين المستجدة بالبلاد كانت الطمانينة امرا مستحيلا والرأى العام السودانى اصبح مشدوها مخطوف الانتباه. وصار حديث الناس فى المدينة وهمسهم لا يدور الا فى فلك تلك الاحداث والاقاصيص المحلية المثيرة بالعاصمة الخرطوم - بينما فى ذات الظرف وفى غفلة تامة كانت تجرى بالعاصمة الخرطوم احداث عظام خلف حجاب السرية والكتمان. كان العمل يجرى على قدم وساق وبكل هدوء وثقة على طريق تنفيذ هجرة يهود الفلاشا من السودان الى إسرائيل. فمن داخل مبانى رئاسة جهاز أمن الدولة السودانى بحى الخرطوم شرق بالقرب من مدارس القديس فرانسيس شرقى مقابر الكومونولث والنادى الامريكى، كان قد استقر رأى اللواء عمر محمد الطيب رئيس جهاز أمن الدولة على اختيار وتكليف عدد محدد جدا من ضباطه الذين يثق فيهم شخصيا للقيام مباشرة بالدور التنفيذى فى التعاون مع الكوادر الامريكية ورجال الموساد الاسرائيلى لتتضافر جهودهم فى عمل مشترك لتنفيذ خطة ترحيل يهود الفلاشا عبر جسر جوى من الخرطوم الى اسرئيل مباشرة... ولقد تمت عملية الانتقاء والاختيار والتكليف بالمهمة للعناصر السودانية من رجال جهاز أمن الدولة

السودانى بمنتهى العناية ووفق اسلوب خاص بعيدا عن أى روتين اداري معمول به فى داخل اروقة الجهاز، فلقد كانت عملية الاختيار دقيقة قدم فيها اللواء عمر قائمة بالاسماء المقترحة من كوادره للمستر ملتون بالسفارة الامريكية بالخرطوم حيث أجريت عليها هناك عملية فحص وبحث للعناصر المرشحة وتمت المصادقة على الذين تم إختيارهم بعد التمحيص وإجراء التحقق حول شخصياتهم بمراجعة مقدراتهم وطبيعة ارتباطاتهم الشخصية وميولهم وسابق خبراتهم العملية. وبعد المصادقة والموافقة من السفارة الامريكية بالخرطوم استقر رأى اللواء عمر على اختيار ضابطين فقط من ضباطه وكان احدهما هو:

العقيد أمن موسى اسماعيل سعيد، من مواليد الخرطوم عام ١٩٤٥م ـ شاب من الموثوق بهم عمليا وعلى قدر عال من الانضباط العسكرى ويتميز بطاقات بدنية وذهنية ممتازة ـ تخرج فى جامعة الخرطوم عام ١٩٦٩م بكلية الاداب والتحق بخدمة جهاز الامن العام فى ١٩٧٠ وفى عام ١٩٧٨م تم دمج جهاز الامن العام والامن القومى فى جهاز واحد ليكون جهاز أمن الدولة ـ تلقى تدريبه وتاهيله العسكرى بواسطة جهاز أمن الدولة فى مجالات اكاديمية وفنية متخصصة كما تلقى دورات تدريبية داخلية وخارجية بالكى جى بى ـ K. G. B. المخابرات السوفيتية ـ كما نال دورة تدريبية أمنية فى جهاز الامن الانجليزى M. I-6 كذلك حصل على دبلوم العلاقات الدوليةمن معهد الادارة العامة بفرنسا عام ١٩٧٨م ـ عمل قنصلا بالسفارة السودانية بلندن ثم انتقل قنصلا للسودان

بيانقي في افريقيا الوسطى وعمل اخيرا برئاسة جهاز أمن الدولة بالخرطوم كرئيس لدائرة حركات التحرر واللاجئين

اما الثاني فكان العقيد امن الفاتح عروة من مواليد الخرطوم بحري عام ١٩٤٨م - شاب من المتحمسين لعملهم ولا يخلو من روح المغامرة ويمتاز بذكاء متقد وبنية صحية ممتاز بجانب تمتعه بملكات وقدرات فنية متخصصة. درس بجامعة الخرطوم في المرحلة الاولى بقسم الدراسات الانسانية والتحق بالكلية الحربية السودانية وتدرج فيها عام ١٩٧٠م - عمل بالقوات المسلحة السودانية بالدفاع الجوى ثم التحق بخدمة جهاز الامن في عام ١٩٧٦م - تحصل على دراسات ودورات تدريبية بالكي جي بي K. G. B. بالاتحاد السوفيتي - عمل ملحقا للسودان في كل من موسكو واديس ابابا باثيوبيا على التوالي ثم نقل اخير ليعمل برئاسة جهاز امن الدولة بالخرطوم.

وهكذا أسندت مهمة التنفيذ بالمشاركة والمتابعة من الجانب السوداني ممثلا في جهاز امن الدولة الى كل من العقيد امن موسى اسماعيل والعقيد أمن الفاتح عروة. وتسلما أوامر التكليف والتفرغ له مباشرة من اللواء عمر محمد الطيب على ان يكون اتصالهما في تلك المهمة مباشرة معه شخصيا بأمر منفذ خارج الروتين الادارى وبدون اللجوء الى أى عنصر اخر كوسيط في المعاملات مهما كانت رتبته في ادارات الجهاز المختلفة. وكانت الاوامر متشددة ايضا بالنسبة للعقيد موسى والعقيد الفاتح بالعمل في سرية تامة مع إعمال كل التحوطات اللازمة وعدم الكشف أو الافشاء في داخل أو خارج جهاز أمن الدولة عن طبيعة المهمة

الخاصة التى تم تكليفهما بها وبعدم كتابة اية تقارير عنها فى الملفات او مدونات الجهاز اليومية او الاحتفاظ بمعلومات ومذكرات مكتوبة. وجاءت التوجيهات التى تلقاها كل من العقيد موسى والعقيد الفاتح واضحة ومقتضية بان الحكومة السودانية مشتركة فى عملية تهدف الى اعادة تاهيل لاجئين اثيوبيين من المتواجدين بمعسكرات اللجوء السودانية حيث سيتم نقلهم جوا الى أوربا والولايات المتحدة وكذا بمعاونة السفارة الامريكية بالخرطوم ومن الضرورة بمكان ان تجرى تلك العملية فى جو من السرية القصوى والكتمان.

وبدأت المهمة المثيرة بان توجه العقيد موسى اسماعيل والعقيد الفاتح عروة الى مبانى السفارة الامريكية فى شارع على عبد اللطيف بالخرطوم غرب حيث كان فى انتظارهم مستر ملتون مندوب المخابرات الامريكية وجيرى ويفر عميل الموساد الاسرائيلى الذى يعمل بالسفارة الامريكية تحت ستار انه مستشار قسم اللاجئين ضمن طاقم السفارة الامريكية. وفى مرحلة متقدمة بعد ذلك اللقاء اخذت تتم لقاءات رجلى الامن السودانى بجيرى ويفر ومستر ملتون بمنزل الاخير بشارع ٢٥ فى حى امتداد العمارات بالخرطوم حيث تم فى فترة وجيزة تزويد كل من الفاتح وموسى بالمعلومات والارشادات اللازمة التى حوت التكتيك العام للعملية وجزئيات تفاصيلها بالارقام والخرائط والرسومات الايضاحية وكذلك الاحصائيات التى تبين اعداد الفلاشا الذين تم مسبقا استجلابهم وتجميعهم بمعسكرات اللجوء السودانية فى كل من

معسكر ام راكوبة وود الحليو وتواوا اضافة الى الاعداد التى تم استجلابها واسكانها مؤقتا فى اطراف مدينة القضارف. ووفقا لبرنامج الخطة العامة Master Plan كانت مهام الدور السودانى فى المشاركة التنفيذية واضحة المعالم منذ البداية وانحصرت فى دور محدود معلوم ذى شقين : (أ) استشارى (ب) تنفيذى، ويتطلب الدور الاستشارى من السلطات السودانية ممثلة فى جهاز أمن الدولة ان تختار بما يناسبها موقع مضرب الجسر الجوى الذى ستهبط وتقلع منه الطائرات البلجيكية ضمن خيارين : اما ان يكون الموقع المطار الحربى بقاعدة وادى سيدنا الجوية شمال مدينة ام درمان، أو ان يكون الموقع مطار الخرطوم الدولى. وشمل الدور التنفيذى تغطية وتأمين سلامة هبوط واقلاع الناقلة الجوية فى رحلاتها المتتالية وكذلك تغطية وتأمين سلامة دخول كنفويات البصات الناقلة للفلاشا من موقع قدومهم الى داخل المطار وركوبهم الطائرة وكذا تأمين الطريق البرى المرصوف وغير المرصوف لضمان سلامة سير ووصول البصات الناقلة للفلاشا من المعسكرات المعنية الى موقع الجسر الجوى وعمل الحراسة اللازمة للبصات والعربات المرافقة لها فى طريق عودتها للمعسكرات على مدى رحلاتها المتتالية، مع تأمين سلامة مناطق تجمعات الفلاشا فى معسكرات اللجوء المعنية الى حين الفراغ من مهمة ترحيلهم نهائيا. واستوجب التكليف كذلك عمل كل ما يلزم من اجراءات أو تحوطات **للحفاظ على سرية** العملية خوفا من اجهزة المخابرات المضادة المعلوم وجودها ونشاطها بالمنطقة وتلك التى يفترض

وجودها بالسودان. ويشمل ذلك حجب الاعلاميين ورجال الصحافة والمراسلين المحليين والاجانب عن التقاط أى معلومات او اخبار تتعلق بالعملية.

وبعد تزويدهما بالمعلومات اللازمة من مستر ملتون وجيرى ويفر، حمل مندوبا جهاز امن الدولة السودانى تفاصيل الخطة كاملة الى اللواء عمر محمد الطيب للتشاور ولمراجعة كافة تفاصيل الدور التنفيذى المسند لجهاز أمن الدولة، ولتحديد رأى قاطع بالنسبة لما ورد فى الدور الاستشارى والذى تم فيه الفصل سريعا باختيار وتحديد مطار الخرطوم الدولى ليكون محطة الجسر الجوى. ولقد استبعدت فكرة استخدام مطار قاعدة وادى سيدنا العسكرية تحسبا وتفاديا لاى حرج أو اشكال قد ينمو بين القوات المسلحة وجهاز أمن الدولة الذى كانت هناك فعلا حساسية فى التعامل بينه وبين جهاز الاستخبارات العسكرية وتداخل فى الاختصاصات سبق ان نتجت عنه صراعات واشكالات كثيرة فى السابق وجرت مناقشات فضها وحلها عدة مرات على مستوى القيادات العليا فى الجهازين الامر الذى استدعى احيانا تدخل الرئيس نميرى شخصيا. هذا اضافة الى ان القوات المسلحة فى حد ذاتها مؤسسة مستقلة عن جهاز أمن الدولة ولا سبيل لضمان تعاونها وتنفيذها حرفيا لما يمليه جهاز أمن الدولة نسبة لتباين طبيعة التكتيك العسكرى والتكتيك الامنى فى كل من المؤسستين. كما ان المرور بالطريق المؤدى من اقصى جنوب مشارف الخرطوم الى قاعدة وادى سيدنا الجوية يستوجب المرور عبر مدينة ام

درمان من خلال كوبري النيل الابيض أو احد كباري النيل الازرق فكبري شمبات مرورا باحياء سكنية كثيفة السكان مما سيكون مدعاة للفت النظر والفضول المخل بسرية العملية. وللتأكد من سلامة اختيار مطار الخرطوم الدولي كمحطة للجسر الجوي ولضمان سير الامور فيه بالوجه المطلوب، توجه العقيد أمن الفاتح عروة وبتوجيه من اللواء عمر محمد الطيب الى مباني ادارة الطيران المدني بشارع النيل في ذات صباح لمقابلة مدير الطيران المدني، واجتمع به في ذلك الصباح واحاطه بان ثمة عملية أمنية بالغة الاهمية والسرية ستجري بمطار الخرطوم حيث ستقوم ادارة اللاجئين بجهاز أمن الدولة بترحيل بعض اللاجئين الى خارج السودان جوا... ومن الواجب والمطلوب التكتم على تلك العملية... اسقاط كافة الاجراءات الروتينية المتعلقة بسفر هؤلاء اللاجئين وان تؤول كافة الصلاحيات والاختصاصات بمطار الخرطوم في تلك العملية كليا لاشراف جهاز أمن الدولة ممثلا فقط في شخص العقيد أمن موسى اسماعيل، ولقد أمن اللواء... تلك التعليمات باتصال مباشر له بمدير الطيران المدني... المقابلة اصطحب العقيد أمن الفاتح عروة مدير مطار... رحلة معاينة ميدانية لمطار الخرطوم. وتفقد العقيد... المقترح لانتظار Taxing الطائرة البلجيكية. كما ... الدخول والخروج من المطار وتجول حول ... الداخل والخارج في اقصى الركن الجنوبي ... عند صالة سفر الحجاج التي تستعمل ...

الحجـاج فى موسم الحـج وعنـد عودتهم. وبالطبع كانت صالة الحجاج مهجورة فى ذلك الوقت من السنة. كما تم خلال المعاينة تحديد موقع وقوف الطائرة البلجيكية بمنطقة النايت استوب ـ Night Stop Area بعد هبوطها فى المدرج الرئيسى على بعد أكثر من كيلو متر من مبانى المطار الرئيسية وصالة الركاب والمغادرين. وعلى ضوء ملاحظات العقيد الفاتح عروة للموقع اجريت بعض التعديلات الفنية الهامة كتقوية وصيانة بعض الاجزاء فى الواجهة الجنوبية لحظيرة المطار التى كانت فى ذلك الوقت تتكون من سياج سميك من السلك الشائك على ارتفاع ثلاثة امتار، كما جرى تبديل بوابة الدخول عند موقع صالة الحجاج من بوابة قضبان حديدية تسمح للعابر بطريق المطار الغربى ان يرى أو يلمح ما يجرى داخل صالة الحجاج الى بوابة حاجبة من حديد الصاج، كما تم تخفيض الاضاءة الداخلية بمنطقة (النايت إستوب) بالمطار عند الموعد المحدد لوقوف الطائرة.

[illegible]ل الحـذر واليقـظة عكف كل من العقيد أمن موسى [illegible]، والعقيد أمن الفاتح عروة بمعاونة وارشاد اللواء عمر [illegible] على تهيئة كافة التحوطات واختيار العمالة المساعدة [illegible] فى كوادر جهاز أمن الدولة وفق تنسيق محكم [illegible] المعاينـة على الوجـه المطلوب وبمنتهى الدقة والتكتيك [illegible] واستنفار ثمانية من السائقين المهرة لسيارات [illegible] وطواقم بلتـونـات للحـراسة المسحلة وطاقم [illegible]. وكانوا جميعا من خيرة الافراد الموثوق بهم فى

جهاز أمن الدولة للمشاركة فى اخراج المهمة. وجرى ايضا اتد
ببعض العناصر المسئولة التابعة لجهاز أمن الدولة بالا
الاوسط والاقليم الشرقى وتم فتح قنوات اتصال مباشر معهم
ذبذبات وموجات اتصال لاسلكى خاصة لتلقى الاوامر والتعل
من خلالها وعلى ان يكونوا فى حالة استنفار واستعداد قد
لتقديم اى عون يطلب منهم فى اطار التنفيذ. واستدعى
موسى اسماعيل احد مرءوسيه الذين يثق بهم ومشه
بالانضباط وهو الرائد امن فؤاد بندر وكلفه بان يتولى متفرغا
التغطية والاشراف الميدانى على عمليات نقل الفلاشا
ومتابعة قوافل الترحيل فى رحلاتها من منطقة القضارف من
الانطلاق عند معسكر تواوا الواقع على مقربة من طريق القد
- الخرطوم المرصوف، مع تولى قيادة وادارة السائقين وبا
الحراسة الثابتة فى بعض المواقع وتلك التى تسير متابعة لكل
البصات عند ذهابها وايابها من الخرطوم خلال الرحلات
شمل ايضا التعميم بالاخطار والتكليف المقدم أمن دانيا
لوال المسئول عن وحدة جهاز أمن الدولة بالقضارف حول
بتصرف وبطريقة لا تؤثر على السرية.

وعلى مستوى التكتيك الموازى لاطار الخطة العامة
ترحيل الفلاشا جماعيا، كان لا بد من القيام ببعض الاستد
والتحوطات الامنية الضرورية. فلقد سرت سياسة أمنية
تهدف لقفل مناطق معسكرات اللجوء بمنع اى شخص
المحليين الوطنيين أو الاجانب، مسئولين رسميين أو من

... من زيارة معسكرات اللجوء بشرق السودان في تلك الايام.
... ذلك التوجيه الصحفيين والمراسلين التابعين لوكالات الانباء
... والعالمية وكذلك الفرق الطبية ومتطوعى الاغاثة. كما جرى
... محطات استقبال اللاجئين والمعسكرات بشرق السودان
... الامن ومنعت حركة تنقلات اللاجئين بداخل السودان، وفى
... تم حصر اعداد اللاجئين بها وتفشت مداهمات التفتيش
... على مناطق سكن اللاجئين ومطالبتهم وملاحقتهم بابراز
... وطاقاتهم الثبوتية حتى في المركبات العامة. ووجهت سرا
... السودان العاملة بالخارج للحد من منح تأشيرات
... السودان ما امكن، مع تجميد وتعطيل اجراءات منح
... الدخول بالنسبة للصحفيين والمراسلين والسواح الاجانب
... زيارة السودان فى تلك الايام الى حين اشعار آخر.
... السفارات السودانية بالخارج بالقوائم الطويلة التى
... واسماء وجنسيات غير المرغوب فيهم لدخول السودان
... (القائمة السوداء). وعلى مستوى آخر نشطت كوادر
... الدولة ومصادرها بداخل السودان والاجهزة الصديقة
... اجهزة المخابرات المضادة التى تمارس نشاطاتها
... كانت مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية وكوادر
... الفلسطينى العاملة بالسودان فى تلك الايام تواجه بصفة
... امنيا ومراقبة دقيقة خاصة بعد المواجهات وافتعال
... بينهم وبين السلطات التى ادت فى فترة سابقة الى
... منظمة التحرير وتجميد نشاطها بالبلاد. وبنفس

القدر من التشدد الامنى كانت العناصر الاثيوبية والليبية فى السودان تواجه ضغوطا شديدة الى درجة ان اصبح السودان منطقة محرمة بالنسبة لهما. ولم يسلم من الاجراءات التعسفية تجاه الجماهيرية الليبية حتى المغتربين السودانيين الذين يعملون بليبيا عند حضورهم لزيارة ذويهم بالسودان فى عطلاتهم السنوية عقب كانوا يواجهون بالمساءلة والتحرى الطويل والاعتقال وحرمانهم من العودة لعملهم لمجرد الاشتباه كما تجدر الاشارة هنا الى المخابرات والهيئات الامنية الصديقة التى كانت فى ذلك الوقت تلعب دورا كبيرا فى مساندة جهاز أمن الدولة السودانى. فلقد كان فى السودان ومنذ عام ١٩٨٢م وبصفة مستديمة ما يربو عن السبعمائة من العناصر الامنية الصديقة المدربة النشطة التى تعمل بمفردها أو جنبا الى جنب فى مساعدة جهاز أمن الدولة السودانى.

وبايعاز موجه قامت القوات المسلحة السودانية ورجال هجانة الحدود بتشديد المراقبة على الحدود الشرقية المتاخمة لاثيوبيا ومنع الدخول والخروج من خلالها، وانتشت بطاريات عند مداخل ومسالك الطرق الرئيسية ونشطت دوريات التفتيش والمراقبة بطول الشريط الحدودى حتى انقطعت الحركة البرية والتنقلات تماما بين السودان واثيوبيا.

ووفق ترتيبات الخطة العامة لترحيل الفلاشا وموجبات سريتها جرى التنسيق بحيث تصل قوافل بصات ترحيل الفلاشا الى الخرطوم فى الساعات الميتة Dead Hours عند منتصف الليل

قادمة من منطقة القضارف، وتدخل من مدخل المدينة الجنوبى حيث مستشفى سوبا على طريق مدنى ـ الخرطوم ثم تتجه مباشرة الى مطار الخرطوم الدولى. وأعطيت العملية الاسم الحركى Cude Name «عملية الشرق» بينما اطلقت عليها كوادر المخابرات المركزية الامريكية وعناصر الموساد الاسرائيلى الاسم الحركى «عملية موسى ـ Muses Operation ..

وعندما رفع كل من العقيد أمن موسى اسماعيل والعقيد أمن الفاتح عروة اشارة «تمام التمام» فى لقائهما بالمستر ملنون وجيرى ويفر بأن كل الاستعدادات الاساسية قد اكتملت وان جهاز أمن الدولة السودانى يقف على أهبة الاستعداد للشروع فى عملية نقل الفلاشا ـ كانت المفاجأة ان تحدث جيرى ويفر لكل من العقيد موسى والعقيد الفاتح عن قرب ساعة وتاريخ بداية العمل وبينما البصات التى طلبها خصيصا للعملية قد تأخرت ولم تصل بعد من بورتسودان.. ويتطلب بعد وصولها الخرطوم ان تشيّد عليها هياكل بصات لنقل الركاب بورش الخرطوم المحلية (شاحنات نيسان شاسيه) الشيء الذى يخل بالبرنامج الزمنى للعملية والمرتبطة به عمليات تنسيق دقيقة تخص جهاز آمن الدولة داخليا بالسودان وكذلك بعض الجهات المعنية فى خارج السودان!!.

وخروجا من المحنة اقترح جيرى ويفر ان تقوم ادارة جهاز أمن الدولة بتوفير اربع حافلات من بصات المؤسسة العسكرية لنقل الركاب التى دشنت أخيرا فى الخرطوم لتستخدم الى حين وصول

وفى هذا الاثناء وقبل بداية الشروع فى عملية الشرق، تغيب العقيد أمن موسى اسماعيل خارج السودان لمدة اسبوع بجنيف ضمن الوفد السودانى لحضور مؤتمر للاجئين والذى اقيم ضمن برامج مؤتمرات المؤسسات المتخصصة للامم المتحدة. وكان الوفد السودانى يضم كل من السيد / على يسن وزير الداخلية والسيد / بشير الاحمدى معتمد شئون اللاجئين والعقيد أمن موسى اسماعيل رئيس دائرة حركات التحرر واللاجئين بجهاز أمن الدولة. وقبل مغادرته الخرطوم اجتمع العقيد موسى اسماعيل باللواء عمر محمد الطيب لتلقى تعليماته وتوصياته فيما يختص بالمؤتمر، الا ان اللواء عمر محمد الطيب كانت تسيطر على افكاره وتغطى على ذهنه شئون وهموم عملية الشرق: فقام اللواء عمر بتوجيه العقيد موسى بان يحرص على الالتقاء بكل من السيد وزير الداخلية والسيد معتمد اللاجئين على انفراد بعد وصولهما لجنيف ويسر لهما كل على حدة بتوجيهاته باخطارهما بان جهاز أمن الدولة سوف يقوم بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية بترحيل بعض اللاجئين من معسكرات اللجوء السودانية بغرض اعادة تاهيلهم بالخارج ويستوجب هذا العمل منتهى السرية فى هذه المرحلة وان رغبة جهاز أمن الدولة واللواء عمر شخصيا تقوم على التكتم التام على هذه الفكرة، وعليه تكون الاحاطة بالحذر فى عدم ذكر اية معلومات فى حالة تعرض الوفد السودانى لاية اسئلة أو طلب لمعلومات حول هذه المسألة بواسطة اى طرف سواء من الاعضاء المؤتمرين أو الاعلاميين. وشدد اللواء عمر على العقيد موسى

البصات المطلوبة من بورتسودان وتجهيزها.. أو على اسو
الفروض ان تجرى عملية استئجار بصات اهلية محلي
لاستعمالها الى حين وصول البصات المرتقبة وتجهيزها بالصور
المطلوبة. وهنا تراجع كل من العقيد موسى والعقيد الفاتح فى ابدا
أى رأى او مشورة وطلبا مهلة لمراجعة اللواء عمر محمد الطيب
واخذ رايه فى المسالة، وبالفعل اتصل كل من الفاتح وموسى باللوا
عمر الذى اشار بالموافقة على فكرة استئجار بصات اهلية شريط
ان تكون من البصات الاهلية التي تعمل فى الخط البرى بين مدن
- القضارف - الخرطوم وعلى ان تكون البصات المختارة للايجا
بحالة جيدة بحيث ان تتحمل رحلات العمل الشاقة المنتظر القيا
بها، وان تستأجر من اصحابها بلا سائقين أو مساعدين. وعلي
جرى استئجار اربع بصات من موقف بصات السوق الشعبي
بالخرطوم بواسطة (قوموسنجى) ترحيل مقابل مبلغ واحد وثلاثين
الف جنيه سودانى قام بدفعها جيرى ويغر مناولة للعقيد الفاتح
عروة الذى قام بتحرير عقود إيجار البصات باسم جهاز أمن
الدولة. وتم استلام وقيادة البصات المؤجرة بواسطة سائقى جهاز
أمن الدولة وحفظت فى مستودعات جهاز أمن الدولة الكائنة بحي
المقرن بالخرطوم حيث أجرى عليها كشف ميكانيكى شامل
واستبدلت فيها بعض قطع الغيار لتكون جاهزة للاستعمال فى
أحسن حال.

موصيا له بان لا يفضى بأى معلومات اكثر من ذلك القدر للسيد الوزير أو المعتمد وعلى ان يحرص كل الحرص على العودة المبكرة الى الخرطوم بمجرد انتهاء جلسات المؤتمر الرئيسية. وفى حالة أن يطرأ اى تمديد فى برنامج جلسات تداول المؤتمر عليه ان يعتذر عن مواصلة المؤتمر ليعود للخرطوم رأسا حتى يكون بجانب العقيد الفاتح عروة فى تصريف مهام عملية الشرق.

عاد العقيد موسى من جنيف فى موعده واجتمع بزميله الفاتح ومستر ملتون وجيرى ويفر ليجد ان الامور والترتيبات قد وصلت مرحلة النضوج وبات وشيكا وصول الطائرة البلجيكية للخرطوم لبدء أولى رحلاتها فى نقل يهود الفلاشا. وكان الرائد فؤاد بندر فى تلك الايام متواجدا بالخرطوم وبعد ان تلقى التعليمات النهائية من العقيد موسى قفل راجعا الى القضارف فى يوم ١٨ نوفمبر ١٩٨٤م ليجتمع بزميله المقدم دانيال فى نفس اليوم ليطلعه حال وصوله بانهم الآن فى حالة توقع لتلقى اشارة فى اى لحظة من الخرطوم تفيد ببداية العمل وقدوم البصات لمعسكر تواوا لنقل الفلاشا. ويستلزم ذلك التأكد من سلامة كافة الترتيبات والوقوف على اهبة الاستعداد. كما اخبر زميله دانيال بانه متوقع حضور جيرى ويفر غدا الى القضارف وربما يكون فى صحبته كل من العقيد موسى والعقيد الفاتح عروة. وبعد ذلك الاجتماع القصير خرج الرائد بندر فى رحلة تفقدية وليقف بنفسه على إتمام إصلاح الطريق غير المرصوف الذى يربط بين القضارف ومعسكر تواوا ومعسكر ام راكوبة، ولقد كان الطريق جيدا ممهدا حيث أجريت عليه حديثا

ف اثناء غيابه بالخرطوم عملية تزحيف بالقريدر Motor Greader ، وفى صباح اليوم التالى ١٩ نوفمبر ١٩٨٤م وصل جيرى ويفر الى القضارف واجتمع مع معاونيه هناك وقابل فى تفقده للمنطقة كل من الرائد فؤاد بندر والمقدم دانيال ثم قفل راجعا الى الخرطوم فى ظهر نفس اليوم.

وفى يوم ٢١ نوفمبر ١٩٨٤م وعند الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر بتوقيت السودان وصل رتل قافلة البصات الاربع المعدة لنقل الفلاشا الى مشارف معسكر تواوا للاجئين تصحبها عربات اخرى، وحال وصولها تحلقت حولها فورا وبخفة فرقة حراسة مسلحة من رجال أمن الدولة.. وكان هناك بالموقع كل من جيرى ويفر ومستر نيكولا اليونانى الجنسية الذى يعمل بالسفارة الامريكية والرائد فؤاد بندر والمقدم دانيال.. وعلى مقربة من مكان وقوف البصات كانت هناك جمهرة من الفلاشا الذين أُستجلبوا من داخل معسكر تواوا يجلسون على الارض فى صمت وتوقع وتاهب ويقدر عددهم بين مائتين وخمسين الى ثلاثمائة معظمهم من النساء والرجال المسنين والاطفال، وما ان أُشير اليهم بركوب البصات حتى حدثت جلبة وارتباك شديد إثر تزاحمهم على دخول البصات.. كما هرع آخرون من الفلاشا فى حالة ذعر قادمين من المعسكر محاولين إقتحام الزحام والوصول الى البصات، ولكن تمكن رجال الحراسة المسلحون من صدهم الى داخل المعسكر.

وتحرك كنفوى البصات الاربع والعربات المرافقة له فى تمام الساعة الخامسة مساء على طريق القضارف ـ الخرطوم والشمس

تميل الى الغروب خلف جبال تواوا عاكسة اشعتها القرمزية ع
السهل القفر المغبر.. وعلى طريق القضارف - الخرطوم اج
كنفوى بصات الفلاشا المسرع والعربات المرافقة له كل نقا
التفتيش الموجودة على الطريق البرى: نقطة خيارى، نقطة حنتو
نقطة كبرى مدنى، نقطة الكاملين الى نقطة تفتيش سوبا حي
كانت تتقدم الكنفوى عربة مزودة بأذونات المرور وآوامر عد
التفتيش لكل القافلة صادرة من رئاسة جهاز أمن الدولة.

وقبل ان ينتصف الليل وصل كنفوى الفلاشا الى نقط
تفتيش سوبا على مشارف المدخل الجنوبى للعاصمة الخرطو
وكان فى إستقبال الكنفوى كل من المستر ملتون والعقيد موس
اسماعيل والعقيد الفاتح عروة.. وتم توجيه الكنفوى بالوقو
بعيدا عن نقطة التفتيش فى فناء مظلم ليمكث فى الانتظار هناك ال
حين استلام اشارة دخول الخرطوم.. وفى تمام الساعة الثانية عشر
عند منتصف الليل تلقى الكنفوى اشارة الدخول وتحرك رتل
البصات والسيارات المرافقة له تجاه الخرطوم على طريق الاسفلت
الرئيسى الذى كان خاليا تماما من الحركة مخترقا احياء اطراف
الخرطوم الجنوبية: حى المعمورة واركويت والصحافة شرق
وامتداد العمارات التى كانت فى تلك الساعة من الليل تنام فى ظلام
دامس نسبة لانقطاع امداد التيار الكهربائى فى ذلك القطاع الكبير
من المدينة.. وبوصول الكنفوى الى الطرف الجنوبى من حظيرة
مطار الخرطوم، فتحت بوابة الدخول عند صالة سفر الحجاج
وتسربت البصات الاربع الى داخل المطار واحدة بعد الاخرى

مطفأة الانوار.. واغلقت البوابة.

وفى داخل المطار كانت هناك المفارقة التى إنزعج لها كل من جيرى ويفر ومستر ملتون، فلقد كان من المفترض ووفق البرنامج الدقيق المرسوم ان تهبط طائرة البوينج البلجيكية المخصصة لنقل الفلاشا قبل الساعة الثانية عشر عند منتصف الليل بمطار الخرطوم لتبدأ أولى رحلاتها فى انتظام الجسر الجوى. ولكن الذى حدث ان تأخر وصول الطائرة حتى الساعة الواحدة صباحا بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٨٤م.. والفلاشا قابعون على متن البصات بمنطقة النايت إستوب يشكون العطش فى ذلك الجو المائل للبرودة الجافة، فلقد كانت الرحلة البرية التى قطعوها مرهقة زاد من مشقتها إنفعال الترقب والتوتر العصبى الذى كان يخيم عليهم.. وجرى ترتيب احضار ماء الشرب لهم من خارج المطار بواسطة عربة تانكر من طراز هينو، ووزعت عليهم مياه الشرب وبعض الاغطية ولعلها كانت مناسبة فريدة إذ تمثل المرة الاولى والاخيرة فى حياتهم التى تسنى لهم فيها ارواء ظمأهم من ماء النيل العذب!

ووصلت الطائرة البلجيكية البوينج ٧٠٧ بعد الواحدة صباحا فى ٢٢ نوفمبر ١٩٨٤م ولم تستقبل بواسطة العمالة المشرفة على مطار الخرطوم كما يحدث روتينيا عند هبوط اية طائرة ركاب أو نقل بل بعد هبوطها على المدرج الرئيسى ووصولها لاقصى دائرة الحركة عند الناحية الشمالية لنهاية المدرج استدارت ببطء وظهرت امامها سيارة جيب تحمل لافتة مشعة فى مؤخرتها مكتوب عليها «تابعنى ـ Follow ME »، وسارت الطائرة عبر الممرات

الارضية تتقدمها سيارة الجيب الى ان استقرت فى المنطقة المحـ...
لها (بالنايت إستوب) حيث تحلق حولها حال وقوفها رجال جر...
امن الدولة المسلحين.. وبعد فترة تم فيها فحص الطائرة بوا...
ملاحيها ومهندسيها المرافقين، تقدمت البصات نحو الطائرة و...
بعد الاخرى وبدأت عملية صعود يهود الفلاشا الى الطا...
البلجيكية يساعدهم جرى ويفر على سلالم الصعود. وبعـ...
انغلقت اخيرا ابواب الطائرة ايذانا بالمغادرة وقبل ان يتم تسخين
محركاتها كان يتناهى الى الاسماع فى ذلك الوقت صوت الا...
(نباه) صلاة الفجر منبعثا من مسجد المطار يا ارحم الراحمين
ارحمنا، يا ارحم الراحمين ارحمنا .. وغادرت طائرة الفلاشا مطار
الخرطوم الدولى قبل بزوغ الخيط الاول من الفجر متخذة الطريق
الجـوى Air Rute من الخرطوم فى محاذاة النيل مرورا فوق
القاهرة. عبورا فوق روما على ارتفاع ثلاثين الف قدم ثم هبطت فـ
محطة ترانسيت بروكسـل بمـطار سافنتـين للتـزود بالوقـو...
والامدادات، ومكثت هناك لمدة ساعتين منزوية بعيدة عن منطقة
الترانسيت فى ممر جانبى بعيدا عن صالة سفر الركاب ثم اقلعت
مباشرة من هناك الى مطار بن جوريون.

وتتالت رحلات الجسر الجوى بعد ذلك اليوم بمعدل رحلة
كل يومين يذهب فيها كنفوى البصات المحروسة الى معسكر تواوا
ويعود بنفس الاسلوب محملا بالفلاشا الى مطار الخرطوم تحت
جنح الظلام فى رحلات منتظمة، حتى جرى فى تاريخ لاحق تكثيف
معدل رحلات الجسر الجوى لتكون يومية على مدى الاسبوع

باستثناء يوم السبت ـ Sabbath الذى يعنى العطلة المقدسة بالنسبة ليهود الفلاشا كما بقية اليهود والذى يتفادون ويتهيبون فيه القيام باى عمل. ولقد اقتصر تكتيف رحلات الجسر الجوى ان يتخلف بعض ملاحى الخطوط البلجيكية فى الخرطوم دوريا فى نوبة متصلة بالتناوب الامر الذى استدعى جهاز امن الدولة ان يحدد اقامتهم فى فندق بعيد عن وسط المدينة حيث اعدت اقامتهم فى فندق قصر الصداقة بالخرطوم بحرى مع اجراء تحوطات عزلهم تماما هناك ومراقبتهم وعدم السماح لهم بالاتصال باى شخص او جهة.

وتكررت وتوالت الرحلات منتظمة وبتكرارها تمرس القائمون عليها اكثر واكثر على دقة الانجاز والتوقيت. كما لم تخل تلك الرحلات فى ترحيل يهود الفلاشا جماعيا من بعض المفارقات والحوادث الطفيفة نسبة للعوامل البشرية التى لا يمكن مفاداتها باية حال. ففى اثناء الرحلات حدثت خمس حالات وفاة بين يهود الفلاشا على طريق القضارف ـ الخرطوم فارقتهم الحياة داخل البصات. كما حدثت اثنتا عشر حالة اجهاض قهرى ـ Inevitable Abortion ضمن نساء الفلاشا.. ومثلما مات بعضهم فى الطريق كما ذكرنا ولد آخرون ايضا على الطريق. فلقد تمت ولادة ثلاثة اطفال (طفلتين وولد) فى الجو بين الخرطوم وبروكسل.

وبطول فترة استمرارية عملية موسى لترحيل يهود الفلاشا جماعيا من معسكر تواوا للاجئين بشرق السودان برا الى مطار الخرطوم ومنه عبر الجسر الجوى الى إسرائيل والتى استمرت منذ

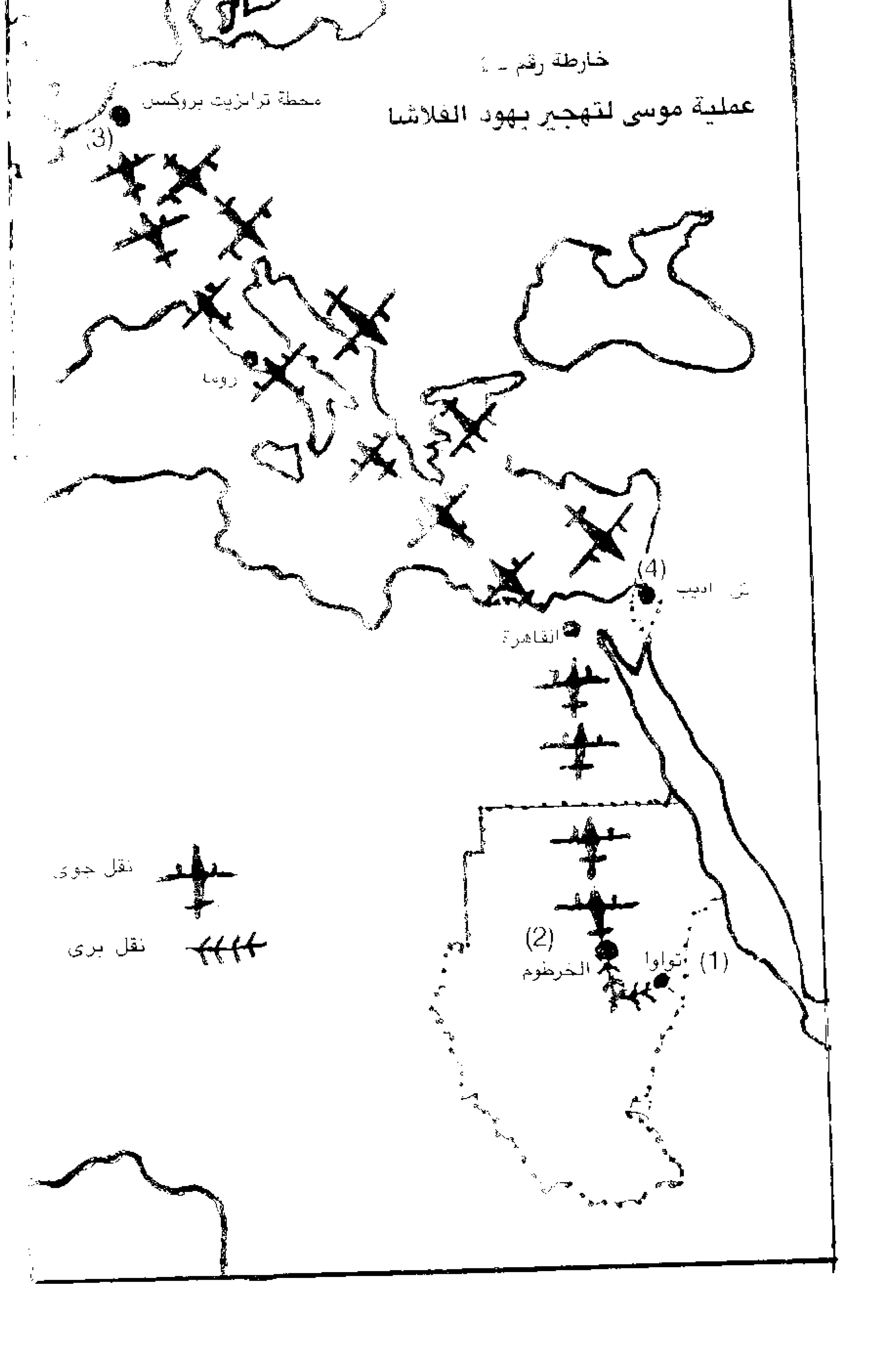
تاريخ ٢١ نوفمبر ١٩٨٤م وحتى الخامس من يناير ٨٥
يتم تسجيل أو رصد لاية واقعة او محاولة بغرض اختر
العملية بالسودان بإستثناء حادثتين طفيفتين واعزيت
فيهما لحسن النوايا وبفعل المصادفة العفوية. كانت
داخل مطار الخرطوم عندما اقترب في ذات ليلة مندو
الطيران البلغارية بالخرطوم من موقع طائرة الفلاشا ال
القابعة في منطقة النايت إستوب وطبيعة عمله تخول له
المطار والتجول بتلك المنطقة. فالقى حراس جهاز امن
المسلحين القبض عليه وحين جرى تفتيشه وتفتيش السي
كان يستقلها وجد بداخلها زجاجة وسكى من النوع الاس
هذا بالرغم من احكام الشريعة المعلنة في البلاد والتى ت
حالات حيازة الخمور بالجلد والسجن. فتم التحفظ عل
الشركة البلغارية وابعد لاحقا من السودان بعد اكتمال
والتحقيقات معه والتى كشفت عن حسن نيته وانعدام ا
مادى أو شبهة تسوق الى ان الفعل مقصود او محفوز بغرض
اما الحادثة الثانية فكانت في يوم ١٠ ديسمبر ١٩٨٤م
اقتربت سيارة تابعة لمنظمة سودان ايد ـ Sudan Aid من
ام راكوبة وبها اربعة اشخاص من الاجانب فيهم الا
ميسون MR. Nick Miscione والاثيوبى جبرائيل د
MR. Gebriel **Daniels** ضمن متطوعى منظمة سودان
وبرفقتهم عضو برلمان كندى ومصور فوتغرافى بريطانى الج
وعند إقترابهم من المعسكر اعترضهم حرس جهاز أمن

رابط هناك والقى القبض عليهم، وبعد التحقيق والتحرى معهم
بعد كل من المتطوع الامريكى والاثيوبى نهائيا من السودان
وجرى التحفظ على الكندى والبريطانى لمدة ثلاثين ساعة ثم تم
نقلهم بعيدا عن منطقة المعسكرات واطلق سراحهم بعد ان جرى
الاعتذار لهما وإفهامهما بان زيارة معسكرات اللجوء تتطلب
استخراج إذن خاص من رئاسة جهاز أمن الدولة بالخرطوم نسبة
لحالة الطوارىء العامة المعلنة بالبلاد والقرارات الخاصة المتعلقة
بها فيما يختص بمعسكرات اللجوء والتى تعرفها كافة منظمات
التطوع والاغاثة العاملة فى السودان والتى جرى التعميم عليها
والتى من ضمنها منظمة سودان ايد.

كان تنفيذ عملية موسى وماسبقها من تجهيزات وترتيبات
عملا ذهنيا وبدنيا مرهقا استغرق شهورا فى الاعداد والتدبير
وامتد فى مرحلة التنفيذ على مدى ست واربعين يوما منذ بداية
عملية موسى حتى نهايتها، تعرض فيها العاملون من رجال أمن
الدولة والقائمون على تنفيذ العمل الميدانى بعددهم المحدود الى
ظروف عمل شاقة قاهرة متصلة يشوبها جو الحذر واليقظة
والحسب خاصة وان كل عمليات النقل البرى والجوى للفلاشا
كانت تتم تحت جنح الظلام فى ساعات مزعجة من اليوم من بعد
المغيب والى ما قبل شروق الشمس. والفلاشا المرحلون انفسهم
كانوا فى حالة صحية وبدنية متردية للغاية لدرجة انه كان من
الصعوبة بمكان ترحيلهم برا عبر مسافة طويلة من المعسكرات
بطرق السودان الى مطار الخرطوم. ولقد وجد المكلفون بترحيلهم

مشقة وعسرا ومكابدة شديدة فى القيام بمهامهم فى ذلك الاتجاه حتى تمت عمليـة الترحيل الجماعى المتصلة فى رحلات متتالية ليكون ميلاد وتنفيذ عملية موسى مخاض ظلام متعسر. ولقد روى لى تفصيـلا شاهـد عيـان. «العقيـد أمن موسى اسماعيل» عن حالة الفلاشا إبان فترة ترحيلهم من المعسكرات الى مطار الخرطوم واكتفى منها هنا بالقدر اليسير الذى يمكن ان يجسد للقارىء صورة الحالة بكل ما يعنى صدق الرواية وبعيدا عن اى مبالغة أو مغالاة، فلقد ذكر لى: «..انه كان يتشدد فى أوامره بضرورة غسل البصات الاربع المخصصة لنقل الفلاشا من الداخل وتطهيرها بعد كل رحلة ورشها بمبيد (البيف باف) فى اعقاب نزول الفلاشا منها وذلك لان مقاعد وارضية **تلك** البصات تكون فى حالة بشعة، تنبعث منهـا روائـح كريهـة هى خليـط من رائحة الافرازات البشرية والفضلات ودموم نزيف النساء..». وتجدر الاشارة هنا الى ان الغالبية العظمى من يهود الفلاشا الذين تم ترحيلهم كانت الرحلة البرية بالنسبة لهم من المعسكرات الى مطار الخرطوم هى الرحلة الاولى فى حياتهم التى تسنى لهم فيها ركوب عربة ميكانيكة!.. ولقد تسبب ذلك الى جانب حالتهم الصحية المتردية ان تفشت بينهم حالات مرضية تشبه اعراضها حالة دوار البحر مما إستلزم ان توزع عليهم اقراص علاجية مثل تلك التى يتناولها الناس عادة تفاديا لدوار البحر أو مرض السفر Travel Sickness وكان الفلاشا يرفضون تناول تلك الاقراص كعادتهم فى عدم التعاون حتى فى احرج حالات المرض التى يتعرضون لها عاكسين بذلك

نمطا متخلفا من السلوك البدائى وعدم الثقة فى الآخرين وعدم التجاوب مع كل ما هو غريب خلاف ما اعتادوا عليه فى بيئتهم المعزولة.



خارطة رقم ـ
عملية موسى لتهجير يهود الفلاشا
محطة ترانزيت بروكسل
(3)
روما
(4)
تل ابيب
القاهرة
(2)
الخرطوم
تواوا
(1)
نقل جوى
نقل برى



بصات النقل البرى التى أشتريت بواسطة السفارة
الامريكية لنقل يهود الفلاشا من معسكرات اللاجئين
السودانية الى مطار الخرطوم



بصات النقل البرى التى أشتريت بواسطة السفارة
الامريكية لنقل يهود الفلاشا من معسكرات اللاجئين
السودانية الى مطار الخرطوم

الباب السادس

الإفتضاح

الفرقعة.. هذه الكلمة تعنى ارتداد الصوت وحدوث دوى إثر ارتطام جسم بآخر أو بإحداث فراغ غازى فى الهواء. ويصادف ترادف نفس الكلمة مدلول لاسم نبات إفريقى إستوائى ينتمى الى فصيلة النباتات العليا ذات الفلقة الواحدة والذى يتميز بعملية تلقيح ذاتى وتكاثر خضرى فريدة. ونبات (الفرقعة) كائن طبيعى خبيث الانتشار حيث تحمل شجيرة نبات الفرقعة الواحدة ثمارها فى خلال اسبوعين من بداية نموها فى شكل فصوص جافة قرنية سوداء اللون، وبداخل تلك الفصوص ترتص بإنتظام مئات من حبيبات البذور الدقيقة. وبمجرد تشبع الثمار بالرطوبة أو انهمار الطل أو رذاذ المطر عليها تنفجر الثمار وتحدث فرقعة مسموعة وتنتشر من داخلها آلاف من حبيبات البذور الصغيرة الدقيقة فى كل اتجاه لمسافة عدة امتار بطريقة عنقودية، وبإنتشار البذور وتناثرها تنمو متكاثرة متضاعفة آلاف الشجيرات الصغيرة لتتوالى

عمليـة تضـاعف عدد شجـيرات نبـات الفرقعة بنفس الطريقة العجيبـة وعـلى طول مدار السنة. ويعتبر ذلك النبات من اكثر النباتات الطفيلية قدرة على الانتشار السريع واكثر خطورة من نبـاتـات اعشاب ورد النيل الخبيثة فى انتشارها - وفى متابعة تفاصيل إنتشار خبر وإذاعة إفتضاح اسرار عملية موسى لنقل يهود الفلاشا الاثيوبيين، لا يسعفنى هنا تعبير أوفى أو امثل سوى تشبيهها بحركة انتشار نبات الفرقعة. فما ان تسربت أول معلومة عن اسرار عملية موسى لنقل الفلاشا حتى تضاعف انتشار ادق تفـاصيلها فى كل اتجاه لتكون مادة اخبارية وإعلامية ساخنة مذهلة سرعـان ما إحتلت الصدارة فى عناوين الصحف العالمية البارزة، وشغلت كل محطات البث التلفزيونى ومحطات الارسال الاذاعى عبر الاقمار الصناعية فى أوربا والامريكتين وفى آسيا واستراليا وإفريقيا. وتداولت الاخبار وتناقلت منتشرة بكل اللغات واللهجات مغطية المعمورة من خلال كل وسائل الاعلام المقروءة والمرئية والمسموعة. وحقا لقد كانت مادة إفتضاح اسرار عملية نقل يهود الفلاشا من السودان الى إسرائيل فريدة ومثيرة ومذهلة بكل المقـاييس، فلقـد جذبت كل الانظار والاسماع وتخطت حيثيات احـداثهـا ووقـائعهـا كل الاعـراف السائدة ومسلمات السلوك السياسى الدولى المعاصر لتخط سابقة خطيرة لا مثيل لها فى عدم المبالاة الدولية. ولقد علق عليها خبراء صناعة الاخبار واساطين الاعلاميين بأنها أكبر خبطة اخبارية إعلامية بكل معايير العصر من حيث غرابـة نوعيـة الحدث والظروف التى اكتنفته والكمية

والحجم الذى تم به تناوله وكذلك المدى الاستمرارى الطويل الذى اتخذه تداوله. حيث انه ومنذ وقوع تلك الاحداث والى هذا اليوم تجرى المتابعة والكتابة والاحاطة عنها، ويجرى البحث والتقصى والتنقيب عن ادق تفاصيلها التى ما فتئت تتكشف يوما بعد يوم عن معلومات جديدة وتفاصيل اكثر.

كان نجاح تنفيذ عملية موسى لنقل يهود الفلاشا يرتكز اساسا على عامل (سريتها التامة) الشىء الذى اشترطته السلطات السودانية فى حكومة الرئيس السابق جعفر نميرى ومعاونوه للتعاون والمشاركة فى نقل يهود الفلاشا الاثيوبيين من اراضيها. ولقد تمت الموافقة والمصادقة على ضمان السرية التامة بواسطة الحكومة الاسرائيلية والولايات المتحدة الامريكية والحكومات الاخرى التى تعاونت بصورة مباشرة أو غير مباشرة فى انجاز عملية تهجير يهود الفلاشا الجماعية. ولقد كان لاصرار واشتراط حكومة الرئيس السودانى السابق جعفر نميرى ومعاونوه على عامل السرية دوافعه القوية الظاهرة المرتبطة بسياسة السودان الخارجية والداخلية. فخارجيا لم يكن هناك مجال بأى حال للحكومة السودانية ان تتجرأ وتعترف بأن لديها قنوات تعاون مع الكيان الصهيونى برغم من مساندتها السافرة لاتفاقية كامب ديفيد، ذلك بحكم انتماء السودان الواضح القديم للعالم العربى وتمتعه بوضع مرموق فى منظمة جامعة الدول العربية التى تضم كافة الدول العربية بما فيها دول المواجهة العربية ضد الكيان الصهيونى والامبريالية العالمية بمختلف مواقعها إعتدالا أو

توسطا أو تطرفا. هذا الى جانب عضوية السودان فى رابطة العالم
الاسلامى ورابطة المؤتمر الاسلامى وما تمليه مواثيقهما على
السودان. كما ان السودان هو القطر الافريقى المنتمى لمنظمة
الوحدة الافريقية والذى ظل يقود نضال محاربة التغلغل
الصهيونى فى إفريقيا ومقاطعة الانظمة العنصرية من داخل اروقة
المنظمة ويلعب دور الجسر الافريقى - العربى ويسوق مصالح
الاقليمية والدولية فى ذلك الاتجاه، لا سبيل ولا مبرر له ان ينكشف
امام الدول الافريقية والعربية والعالم اجمع بتواطئه مع دولة
إسرائيل والامبريالية العالمية... وعلى مستوى السياسة الخارجية
الاقليمية ايضا، كان الوضع محرجا للغاية مع دول حوض النيل
الافريقية المجاورة للسودان بل كان الحال يعنى العداء السافر
للجارة اثيوبيا على وجه الخصوص حيث ان الفلاشا رعاياها فى
المقام الاول. ولقد ظلت العلاقات السودانية - الاثيوبية منذ وقت
طويل مضطربة تعانى من ضباب الشكوك والحساسية المفرطة:
فالسودان ظل يقيم الحجة ويتهم اثيوبيا دوما بمساعدة حركات
التمرد والحركات الانفصالية فى جنوب السودان بينما تأخذ اثيوبيا
على السودان مساندته للحركة الارترية هذا بجانب تلغم الاجواء
بين البلدين واستمرار وقوع حوادث إنتهاكات الحدود المتكررة
وتراشق قوات البلدين على الحدود من وقت لآخر. ولنا ان نتصور
هنا ونتخيل كيف يكون رد فعل وشعور أثيوبيا تجاه السودان حين
تعلم بأن السودان يقوم بمشاركة الكيان الصهيونى فى اخذ
وتهريب الآلاف من مواطنيها الاثيوبيين سرا وتهجيرهم الى دولة

إسرائيل وهم فى السودان (لاجئون) وفق صفتهم المتعارف عليها دوليا التى توجب وتملى حمايتهم وإحترام حقوقهم المشروعة حسب ما تنص به الاتفاقيات الدولية..؟! ..وداخليا بالسودان كان الحال اكثر حرجا وتأزما إذ لم يكن لجعفر نميري ومعاونيه اى مجال لان يهضم الشعب السودانى بمختلف قطاعاته حقيقة ان الحكومة السودانية ضالعة فى التعاون مع الكيان الصهيونى ودولة إسرائيل، خاصة والرئيس السابق جعفر نميرى كان قد انتهج فى ذلك الوقت نهجا وتوجها إسلاميا متطرفا بإعلانه لتطبيق قوانين سبتمبر واسلمة ماكنية الدولة ومؤسساتها مستغلا بذلك دوافع الحس الدينى فى تعبئة السند الجماهيرى الى صفه الامر الذى ادى الى التفاف الجماعات والطوائف الدينية المختلفة حوله وسهل فى ان تساندد قاعدة الجبهة الاسلامية القومية (الاسم الحديث لجماعة الاخوان المسلمين بالسودان) وذلك بعد ان فشلت كل محاولاته المتنوعة من خلال تنظيمه الاوحد الاتحاد الاشتراكى السودانى فى إستقطاب سند جماهير الشعب السودانى. هذا إضافة الى ان مشاعر الشعب السودانى عامة معروفة ومجربة عبر تاريخ طويل حيال الصراع الفلسطينيى - الاسرائيلى وتعنى معادلتها المعروفة نهاية نظام وحكم نميرى معنويا وسياسيا فى حالة ان يكتشف الشعب السودانى تورط حكومته فى التعاون مع إسرائيل. ولعل هذه المعادلة الاكيدة كانت واضحة المعالم نظريا وتطبيقيا فى احداث إنتفاضة الشعب السودانى ضد نظام جعفر نميرى ومعاؤنيه فى ابريل ١٩٨٥م.

وبنفس القدر الذى كانت تحتمه ظروف السلطات السودانية فى حكومة نميرى لان تتمسك بسرية عملية نقل يهود الفلاشا من اراضيها، كان حرص دولة إسرائيل والولايات المتحدة بل كان الخوف ملازما لهما فى ان ينكشف سر العملية فى اى مرحلة من مراحلها الشيء الذى يعنى اجهاضها وإيقافها نهائيا. وهكذا كان إلتقاء السودان ودولة إسرائيل والولايات المتحدة الامريكية حول الالتزام التام بسرية عملية نقل يهود الفلاشا الاثيوبيين من السودان الى إسرائيل حيث ان كل الاطراف كانت معنية ومتفقة تماما.

ولكن وبرغم ذلك الواقع الذى كان يحتم الابقاء والمحافظة على عامل السرية بضرورة قصوى، كانت الاحداث تأخذ مجرى وطابعا آخر فى داخل دولة إسرائيل!.. فلقد أدى التكتم الطويل الملحوظ على موضوع يهود الفلاشا وعدم ظهور اى اخبار او تصريحات رسمية من الحكومة بصددهم بعد إعلان قرارات الاعتراف بهم كمواطنين يهود إسرائليين وقيام الجباية المالية الخاصة بترحيلهم الى نوع من التساؤل الذى إنقلب بمرور الزمن الى ملاحقة والحاح وململة وقلاقل اثارها واستغلها السياسيون المعارضون والاعلاميون فى الضغط على الحكومة بأن تفعل شيئا من اجل يهود الفلاشا. واستمرت الضغوط والمناشدات متصاعدة تلاحق رجال الدولة الاسرائيلية وقادة التنظيمات اليهودية بلا هوادة، ونتيجة لتلك الضغوط تعرض وزير الخارجية الاسرائيلى الى مساءلة فى داخل الكنيست الاسرائيلى حول مسالة تهجير وانقاذ

يهود الفلاشا الذين يموتون من جراء المجاعة فى إفريقيا وما بذلته الحكومة من أجلهم؟!.. فكان رد وزير الخارجية حفاظا على مبدأ السرية :«إننا ارسلنا لهم بعض الامدادات الطبية..». ولقد اثار ذلك الرد الفاتر المقتضب موجة عارمة من السخط والتأجج وادى الى مزيد من الضغوط والاتهامات الموجهة الى الحكومة الاسرائيلية بالتقصير والاهمال والانصرافية والتسيب. وفى ١٥ نوفمبر ١٩٨٤م وقبل ايام قليلة من بداية عملية موسى، وعند إفتتاح الجلسة الاولى لمؤتمر الجمعية العمومية لمجلس التجمع اليهودى الفدرالى The General Assembly of the Council of Jewish Fedrations بميلانو فى إيطاليا، إقتحم اربعون شخصا من الفلاشا قاعة المؤتمر عنوة وكان ذلك بتدبير من متطرفى حزب العمل الاسرائيلى وجلسوا على الارض بطريقة درامية وطلب متحدثهم إذنا بمخاطبة المؤتمرين. وعندما سمحوا له بالتحدث بعد مساجلة ونقاش حاد من سكرتارية الجلسة، وقف وهو يحمل طفلا صغيرا من الفلاشا بين يديه بطريقة مثيرة وطلب من المؤتمرين دقيقة صمت حدادا على ارواح الفين وخمسمائة (٢٥٠٠) من يهود الفلاشا الذين ماتوا جوعا فى معسكرات اللجوء بالسودان والذين عجزت إسرائيل من انقاذهم ومد يد العون إليهم حيث ما زالوا يتساقطون موتا حتى تلك اللحظة هناك من اثر المجاعة!!.. ولقد جاء فى خبر نقل ذلك الحدث بصحيفة النيويورك تايمز The Newyork Times فى ١٦/١١/١٩٨٤م مقالا مفصلا بعنوان:«..بينما يموت اليهود الاثيوبيين،تتقاعس دولة إسرائيل عن انقاذهم..». وفى جلسة

المؤتمر الثانية بنفس اليوم إحتدم النقاش حول موضوع الفلاشا واشتعل التراشق بالاتهامات بين المؤتمرين فى تلك الجلسة خارج أجندة المؤتمر، وتأزم الموقف حتى وقف ليون دولزين Leon D.tzin رئيس الوكالة اليهودية العالمية مهدئا لخواطر المؤتمرين وليصرح بقوله الذى نقلته أيضا صحيفة النيويورك تايمز «.. إن الفلاشا قبيلة يهودية قديمة فى طريق عودتها للانضمام للأسرة اليهودية بإسرائيل، وعندما يتحقق هذا الأمل فى عودة يهود أفريقيا سنشعر كلنا بالفخر والعزة والمجد للإنجاز الذى تم فى أحلك الظروف وأكثرها تعقيداً..» ولقد حاول بعض القادة اليهود أن يتحفظوا على تصريحات دولزين الخطيرة ولكنه أصر شخصيا أن يعلن عنها فى مؤتمر صحفى ووزعت وقائعه مكاتب الوكالة اليهودية العالمية W. Z. O. فى نيويورك لبعض وكالات الأنباء ومراسلى الأخبار.

وهنا يطل سؤال منطقى ملح: لماذا يصرح رئيس الوكالة اليهودية العالمية ليون دولزين الزعيم اليهودى المتطرف الذى يجلس على كرسى رئاسة التنظيم اليهودى الصهيونى الأم بكامل إرادته ليلمح عن أسرار عملية تهجير يهود الفلاشا إلى إسرائيل وهى فى مرحلة التنفيذ السرى؟!.. هل كان دولزين من الشخصيات القيادية المناهضة لمشروع تبنى الفلاشا ؟.. أم كانت دوافعه عنصرية قصد بها إجهاض عملية هجرة يهود سود إلى دولة إسرائيل؟!.. أم أن هناك دوافع أخرى خفية حملته طائعا مختارا على ذلك التصريح الخطير الذى كاد أن يكون مدعاة وسببا مباشرا لنسف كل جهود عملية إستجلاب وتهجير يهود الفلاشا من

أساسها وتوريط كل المشتركين فى تلك العملية فى فضيحة دولية؟!!.. والحقيقة تشير فى ذلك الوقت الى ان دولزين وكل القادة اليهود العاملين معه فى ادارة شئون الوكالة اليهودية العالمية كانوا يحملون على كواهلهم ضغوطا وهموما جساما مرتبطة بعصب الحركة اليهودية الصهيونية، وتكمن همومهم ومعاناتهم فى مصاعب تصريف ميزانية الوكالة اليهودية المرتبطة مباشرة بتسيير نشاط عالمى كبير يغطى كل مساحة إشكالات يهود الشتات فى العالم ودولة إسرائيل وما يتعلق بها. فالوكالة اليهودية العالمية هى المؤسسة الام الرئيسية لكل التنظيمات والجمعيات اليهودية المختلفة، وتعتمد فى إيراداتها ومصادر ميزانياتها المالية على التبرعات والهبات والمساهمات الدورية المنتظمة التى يقدمها شتات الجمهور اليهودى المنتشر فى كافة بقاع العالم. وتقوم الوكالة بتنمية تلك الموارد من خلال عمليات إستثمار فى مشروعات كبيرة بعضها بعيدة العائد واخرى سريعة العائد حتى تتمكن من تغطية بنود صرفها الضخمة وتقدر ميزانية الوكالة اليهودية العالمية (بند سيولة الصرف) وفق تقرير لمؤسسة جلوب الامريكية ١٩٨٤م بمبلغ خمسمائة مليون دولار امريكى سنويا (٠٠٠/٠٠٠/٥٠٠)، تقوم دولة إسرائيل بدفع مبلغ تسعة وعشرين مليون دولار فقط منها ولا تستطيع المساهمة باكثر من ذلك المبلغ باى حال نسبة لحالتها المالية المتضعضعة وتورطها فى مديونية تقدر باثنين وعشرين بليون دولار امريكى كما تعانى من التضخم الاقتصادى الذى يتصاعد فيها بمعدل ٧٥٪ سنويا.

ومن ناحيـة اخـرى تشـير ارقام دراسة مشروع (توطين) يهود الفلاشا وليس تهجيرهم وترحيلهم الى تكلفة خمسة وعشرين الف دولار امريكى (٢٥٠٠٠) مقابل كل فرد من الفلاشا سواء كان طفـلا أو رجـلا او إمراة، وذلك لتغطية نفقات التاهيل والعلاج والاعاشة والاسكان. وحيال تلك التكلفة الباهظة وجدت الوكالة اليهودية نفسها فى مواجهة معضلة إستنباط مصادر إيرادات مالية عاجلة لتـوفير ميزانية التوطين سريعا حيث ان يهود الفلاشا فى طريقهم الى إسرائيـل واصبح وصولهم وشيكا. وفى ذلك الاثناء وتحت كل الظروف والاحتمـالات كان تقـديـر واستقراء الوكالة اليهودية العالمية يؤكد إستحالة وجود اى مصادر إيرادات مالية عاجلة الا من أوساط مؤسسات المجتمع الامريكى. وبالرجوع الى المجتمع الامريكى كمصدر الحل الوحيد لتامين ميزانية (توطين) الفـلاشـا فى إسرائيـل، نجـد ان الامـر تشوبه بعض العقبات والصعاب، فالوكالة اليهودية العالمية ما زالت تعانى من ازمة شك فى مصـداقيتها وسابق إتهام لها بتحويل وتسخير مال الجباية الخـاص (بترحيل) يهود الفلاشا فى اغراض اخرى بعيدة عن الغرض الاساسى الذى اقيمت من اجله. وإسرائيل دولة وحكومة متهمة ايضا بالتلاعب فى الميزانيات الخاصة التى ترد إليها من وقت لآخر والتى تمول مباشرة عن طريق مال الجبايات والهبات. وإزاء كل تلك الظروف غير المشجعة والمناخ غير السليم وجدت الوكالة اليهودية نفسها فى مطب تنفيذ مشروع توطين الفلاشا وفق الدراسة والتوصيات الخاصة به والذى يحتاج الى ميزانية ضخمة

ذات شقين لتغطى :(أ) دعم ميزانية نفقات الترحيل التى ظهر فيها عجز مالى بائن (ب) تأمين ميزانية التوطين كاملة، بينما الظرف الزمانى مهيأ للدعوة لجباية سريعة لتوطين يهود الفلاشا خاصة وشهر ديسمبر هو الوقت المناسب فى السنة المالية بالولايات المتحدة الامريكية لتدفق التبرعات والهبات المعفية من الضرائب. علما بان سياسة وسيكولوجية الجباية اليهودية نفسها تقوم على نظرية واسلوب (الضرب على الحديد وهو ساخن) اى بمعنى ان يكون لنداء جباية التوطين صدى إستجابة اكبر وروح تقبل اكثر عندما تعلن قبل وصول يهود الفلاشا الى إسرائيل، وتنتفى بالطبع الاستجابة الحارة فى حال علم الجميع بواقع وصول يهود الفلاشا فعلا الى إسرائيل. وهكذا اجتمعت كل القرائن والظروف التى جعلت دولزين ينادى باعلان جباية سريعة من اجل استيعاب وتوطين يهود الفلاشا فى ذلك الوقت الحرج - وهنا يظهر السبب والدافع الذى حمل دولزين على ان يلمح فى تصريحه بان يهود الفلاشا فى طريقهم الى إسرائيل متجاوزا بذلك حساسية عامل السرية المرهون به سلامة عملية نقل الفلاشا من اساسها، ذلك بناء على تاويل ان تنفيذ العملية قد اصبح فى حساب المنتهى ولا رجعة فيه وظنا منه بان الفرصة مواتية لتحقيق مكسبين فى جولة واحدة باخماد نيران حمئة الشكوك التى حامت حول القيادة اليهودية العليا وبرهان مصداقيتها وجديتها بإثبات تهجير الفلاشا فعلاً، وفى نفس الوقت ان يستغل الموقف لتحقيق جباية سريعة لتغطى نفقات توطين الفلاشا فى إسرائيل. ولكن يبدو ان تقديرات

وتـأويـلات دولزيـن لم تخن موفـقـة كل التـوفـيـق، ففـى ٢٢/١١/١٩٨٤م نقلت نشرة دوريـة صحفية عبرية إسرائيلية مغمورة إسمها نيكودا Nekuda والتى توزع فى مستعمرات الضفة الغربية بإسرائيل مقابلة بين الصحفى بلفور حكاك ورئيس دائرة الهجرة بالوكالة اليهودية بعد تصريحات وتلميحات دولزين ورد فى حديثـه فيها ان هناك يهودا من الفلاشا قد وصلوا بالفعل الى إسرائيل. عند ذلك حاول جهاز (سنسرة) الاعلام الاسرائيلى جاهدا جمع وشراء كل النسخ التى تم توزيعها ومصادرة تلك التى كانت فى طريقها للتوزيع، الا ان اعدادا من نشرة نيكودا الصحفية قد وجدت طريقها للتداول لتشعل شرارة الافتضاح. وجد خبر هجرة ووصـول الفـلاشـا الى إسرائيـل ايضـا طريقه للنشر والاذاعة والافتضـاح إثـر تصريحات دولزين فورد فى صحيفة واشنطن جويش ويـك The Washington Jewish Week بتـاريـخ ٦/١٢/١٩٨٤م موضوعا بعنوان:«..إن معالجة أساسية لانقاذ يهود الفلاشا قد بدأت فعلا..» وكتبت صحيفة النيويورك تايمز فى عناوين الصفحة الاولى بتاريخ ١١/١٢/١٩٨٤م «...ان فكرة عمليـة النقل الجماعى ليهود الفلاشا قد بدات فعلا..» وكتبت صحيـفـة البـوسـطن قلوب The Boston Globe بتـاريـخ ١٢/١٢/١٩٨٤م «...إن الولايات المتحدة كانت وسيطة لالتقاء الجهود السودانية والاسرائيلية للقيام بأكبر مهمة إنسانية بطريقة منطقية...».

وبانفراط عقد السرية إنتشرت الاخبار وتحليلاتها وتأويلاتها

وناقلتها وكالات الانباء وتلقفتها مؤسسات صناعة الاخبار بنهم، وتوجه مراسلون من مختلف العواصم نحو تل ابيب لرصد الاخبار ومتابعة الاحداث على الطبيعة هناك. كما حاول آخرون السفر الى السودان للفوز بالسبق الصحفى الا ان القنصليات السودانية كانت تمانع فى دخول الصحفيين للسودان فى تلك الايام وتماطلهم واحيانا تقابلهم بالرفض السافر. ومعلوم ان ضالة الصحفيين الخبر والمعلومة فما ان يشتموا رائحتها حتى يستميتون فى الوصول الى مصادرها مما حدا ببعض المغامرين من الصحفيين والمراسلين الاوربيين الاجانب ان يتسللوا الى السودان بطرق ملتوية من خلال وعبر دول إفريقية ككينيا ويوغندا منتحلين اسبابا وهويات مختلفة، إلا انهم لم يتمكنوا من الوصول إلى معسكرات اللاجئين بشرق السودان وذلك لحالة الطوارىء المعلنة بالبلاد وإحكام قبضة جهاز أمن الدولة السودانى فى عزل مناطق المعسكرات تماما، فقبعوا مندهشين فى فنادق الخرطوم المنتشرة على شارع النيل يعانون من السأم والملل.

وفى تلك الظروف الحرجة وفى آخر أسبوع من ديسمبر ١٩٨٤م، كان الزعيم الامريكى تدى كنـدى Teddy Kenedy يسعى للقيام بزيارة خاصة للسودان لقضاء ليلة الكريسماس Christmas Eve بمناطق معسكرات اللجوء بشرق السودان متفقدا للاحوال هناك ومتبرعا للسلطات السودانية ببعض المساعدات الخاصة بإعاشة وإغاثة اللاجئين. وقبل ميعاد زيارته المعلنة للسودان قام جهاز أمن الدولة السودانى بالتعاون مع وزارة

الخارجية الامريكية بواسطة السفارةالامريكية فى الخرطوم باجر
كل ما هو لازم من تحوطات لابعاد الانظار عما يدور فى السود
من نقل ليهود الفلاشا الى إسرائيل. لازم وفد الزعيم كندى عد
زيارته للسودان تغطية إعلامية كبيرة إلا ان التحوطات قد جر
بحيث لا ينــزل الزعيم كنــدى ضيفــا فى الســودان بمنـطق
(القضارف) حسب البرنامج الذى اعلن عنه، بل فى ليلة الميلا
نزل فى مدينة (كسلا) التى تبعد كثيرا فى الناحية الشمالية م
منطقة القضارف والمعسكرات المتاخمة لها والتى تضم تجمعا
يهود الفلاشا فى معسكرات ام راكوبة وتواوا وود الحليو. قام
سلطات جهــاز أمن الدولة ومفوضية الاغاثة ومراسم الخارجي
الســودانيــة بتجهيز وإعداد برنامج الزيارة فى جو من الحفاو
الحارة مع تغطية أمنية محكمة فى الوقت الذى كانت فيه عملي
الجسر الجوى مستمرة ونقل الفلاشا برا يجرى على قدم وساق ف
الجهة الجنوبية من مدينة كسلا على الطريق البرى بين مدين
القضارف والخرطوم ليلا..!

حقا لقد كان فى تلميح دولزين الضبابى عن موضوع هجر
يهود الفلاشا إلى إسرائيل دعوة فتحت شهية الصحافة والاعلا
الدولى للبحث الجاد فى تفاصيل عملية نقل الفلاشا، فكان التناول
قويا تنافست وتسابقت فيه كل مؤسسات الاعلام الغربية والمحلية
بإسرائيــل وتلقفتــه صحــافــة وإعــلام العــالم الثــالث بالترديد
والتجسيم. كما نشّط شعور التيارات السياسية والحزبية بداخل
إسرائيل فى ملاحقة القيادة السياسية مطالبة بمزيد من المعرفة

والمعلومات ومنادية بحق تمليك الحقائق للمواطنين. فوجدت الحكومة الاسرائيلية نفسها فى مازق حرج ومشقة تتلظى فيها بين نار ضرورة التكتم والتستر على الخبر وبين نار الضغوط والمناشدات والمحاصرة الاعلامية التى تنادى بمزيد من المعرفة والمعلومات، فقرر رئيس الوزراء الاسرائيلى بيريز فى امسة ٣ يناير ١٩٨٥م الدعوة لمؤتمر صحفى ليعلن فيه على الملا عن حقيقة ما يدور حول مسألة يهود الفلاشا. وفى صباح ٤ يناير ١٩٨٥م إنعقد المؤتمر الصحفى فى تل ابيب واعلن فيه بيريز عن جهود الحكومة الاسرائيلية فى هجرة يهود الفلاشا بكل الصراحة والشعور بالزهو، وتحدث عن تحمل الحكومة لمسئوليتها وتحدث تفصيلا عن عملية موسى والجسر الجوى القائم بين الخرطوم وتل ابيب.

وما ان إنتهى ذلك المؤتمر فى ٤ يناير ١٩٨٥م والذى حضرته كوكبة من الصحفيين والمراسلين المحليين والاجانب حتى إشتعل الصراع والتراشق فى أورقة الحكومة والاحزاب الاسرائيلية بين مؤيد وبين رافض ومستهجن لفكرة الاعلان عن عملية موسى وهجرة يهود الفلاشا. وإحتدم الصراع بداخل الكنيست الاسرائيلى ونادى بعض نواب حزب الليكود الاسرائيلى LIKKUD بطرح الثقة فى الحكومة وإقالة رئيس الوزراء من منصبه وسحب الحصانة عنه ليمثل امام لجنة تجريم وتحقيق عاجلة لاعلانه عن عملية موسى وهجرة الفلاشا وفضح اسرارها الشىء الذى يعنى نسفها من اساسها من قبل ان تاخذ مداها إضافة الى تعريضه باقى الفلاشا العالقين فى معسكرات اللجوء بالسودان وفى افريقيا لمصير مظلم.

وتعرض بيريز فى تلك الموجة العارمة من السخط إلى اتهامات بانه قصد من إعلانه وكشفه لعملية موسى ان يرفع من اسهمه السياسية الشخصية على حساب الهجرة اليهودية ضاربا بعدالم المسئولية ومصير الفلاشا ومصلحة الدولة العليا عرض الحائط وبنفس القدر الذى تعرض فيه بيريز للهجوم السياسى والشخصى علت الاصوات التى ايدت وطربت لاعلان الحكومة الرسمى لحقيقة نقل يهود الفلاشا. ولقد كتبت صحيفة جورسليم بوست Jerusalem Post دفاعا مطولا عن الرئيس بيريز ورد فيه «ان الذى جرى وحدث فعلا امر لا يمكن حجبه عن الاعلام والصحافة العالمية النافذة المخترقة بأى حال..» كما نقل راديو هيئة الاذاعة البريطانية B. B. C. مقابلة فى امسية ٤ يناير ١٩٨٥م مع ليون دولزين رئيس الوكالة اليهودية العالمية جاء فيها ردا على سؤال المراسل البريطانى :(..هل تعتقدون ان فى كشف عملية موسى لنقل يهود الفلاشا من السودان الى إسرائيل كارثة وخطرا يهدد بايقافها نهائيا؟) . فجاء فى رد دولزين «..انا لا أقول كارثة بل أقول فيه شىء من المجازفة.. ولكن انا اعتقد ان بانتشار الاخبار ومعرفة الحقيقة وبتمليكها للراى العام العالمى لن يتجرا احد لايقاف العملية، لانها مشروع انسانى كبير وفى حالة توقفها ستكون هناك فضيحة عالمية كبرى لا يقدر احد على تحملها..».

وفى يوم ٥ يناير ١٩٨٥م اوقفت السلطات السودانية عملية موسى بعد ان سجل عدد رحلات الجسر الجوى خمسة وثلاثين رحلة جوية متتالية بين الخرطوم وتل ابيب، تم من خلالها نقل

وترحيل ثمانية الاف وثلثمائة نسمة من يهود الفلاشا الاثيوبيين (٨٣٠٠). وفى ذات ليلة ٤ يناير ١٩٨٥ تلقى رجال جهاز أمن الدولة خبر افتضاح عملية موسى من راديو هيئة الاذاعة البريطانية المسموع فى السودان بينما كانوا يقومون بتنفيذ مهامهم فى عملية الجسر الجوى تحت جنح الليل فاسقط فى ايديهم وتبين لهم انكشاف عورتهم بعد سقوط سراويلهم الى تحت الركبة، فكان قرارهم بإيقاف رحلات الجسر الجوى. وعلى الفور قامت وزارة الخارجية السودانية باصدار بيان نفت فيه مشاركة السودان فى عملية ترحيل يهود الفلاشا، والتقى السيد / هاشم عثمان وزير الخارجية السودانى برؤساء البعثات الدبلوماسية العربية والاسلامية والافريقية بالخرطوم لينفى لهم ما ورد من المعلومات التى تقوم هيئة الاذاعة البريطانية والاعلام الغربى بترويجها عن تورط السودان فى نقل يهود اثيوبيين الى إسرائيل .! ولقد كان بيان وزير الخارجية السودانى هاشم عثمان فى سعيه لنفى صحة الاخبار التى تناقلتها اجهزة الاعلام العالمية كمسعى من يحاول ان يقنع العالم بان الوقت ليل فى منتصف النهار، فجاء بيانه ضعيفا خاويا مسيئا للدبلوماسية السودانية ومعلنا عن إفلاسها، فلقد إختار اسلوب النعامة التى تدس راسها فى الرمال دفاعا عن نفسها مستبعدا لكل اساليب المناورة الدبلوماسية المعروفة عند إجتياز العقبات والمواقف المحرجة المسيئة للدولة وسيادتها.

واثر تلك الاحداث المفاجئة رفى داخل اروقة جهاز أمن

الدولة السودانى إنتشرت روح من إنهيار المعنويات بين افرا
وضباط الجهاز، ولقد بدات اعراض الانهيار فى بروز نوع من
إنفلات (الضبط والربط) وسريان روح تنذر بالتمرد والعصيان
يذكيها شعور قوى بالخزى والعار مما حدا بالرائد أمن عبد الله
عبدالقيوم ان يحاول الهرب من السودان فى طريقه لتونس مقر
الجامعة العربية لتقديم الادلة التى تدين الحكومة السودانية
بتورطها فى نقل الفلاشا الى إسرائيل. ولقد تسلل الرائد عبد الله
عبد القيوم من السودان على متن طائرة ركاب الخطوط الجوية
التونسية فى طريقه لتونس عبر ميناء جدة الجوى الا ان امره قد
إنكشف مبكرا بواسطة جهاز أمن الدولة فسارعت السلطات
الامنية السودانية متصلة بالسلطات السعودية راجية التحفظ على
الرائد عبد الله عبد القيوم بمطار جدة بزعم انه ضابط متسيب
متخاذل وهارب من الخدمة فى طريقه الى الجماهيرية الليبية. وقام
جهاز أمن الدولة السودانى بإرسال طائرة خاصة لاحضار الرائد
عبد الله عبد القيوم الى الخرطوم تحت الحراسة المشددة. وبعد
تلك الحادثة دعا اللواء عمر محمد الطيب رئيس جهاز أمن الدولة
السودانى ضباط جهازه الى اجتماع طويل بمبانى رئاسة الجهاز
بالخرطوم نفى فيه بعنف ماتردد عن تورط جهاز أمن الدولة
السودانى فى ترحيل يهود الفلاشا الى إسرائيل وتعرض لحادثة
هرب الرائد أمن / عبد الله عبد القيوم وتحدث طويلا عن الضبط
والربط متوعدا ومهددا لكل من تبدو منه اية محاولة أو بادرة لهز
الروح المعنوية أو التلاعب بالانضباط فى الجهاز. ولقد تلقى ضباط

جهاز أمن الدولة محاضرة الترهيب تلك واجمين مستبطنين الحنق والاستياء اذ لم يعودوا فى حاجة الى دليل على ان عملية نقل الفلاشا قد تمت فعلا بمعاونة بمشاركة وحدة من وحدات الجهاز الذى يعملون به.

وبينما كان وزير الخارجية السودانى هاشم عثمان مشغولا فى نفي تورط حكومته فى عملية نقل الفلاشا الى إسرائيل كانت قد انتشرت أصداء وأخبار عملية موسى مجلجلة فى كل الافاق وتناولتها الصحافة العالمية بادق تفاصيلها وبطريقة مجسمة استخدمت فيها كل الفنون الصحفية فى صناعة الاخبار ونشر المعلومات، فكان من ابرز مقتطفات الصحافة العالمية والتصريحات الدولية التى تواترت ان كتب محرر صحيفة القاردين البريطانية ٥/١/١٩٨٥م The Gardian قائلا :

«..ليس هناك ابعاد تستعصى على دولة إسرائيل فى الوصول لحماية مواطنيها.. إن إسرائيل تضع سياستها الخارجية على حوافر جحافلها عند إقتناعها باى مهمة تخص مواطنيها فتهرع اليهم كرا.. انه ليس لدولة ما مثل ذلك الكم الهائل من صلابة الاعصاب والمقدرة على عدم المبالاة الدولية فى حوض معامرة للاستحواذ على الالاف من البشر من اعالى هضاب شرق افريقيا لتنقلهم جوا لقارة اخرى...»

وورد فى صحيفة التايمز البريطانية The Times :«...لقد وجد اتباع وحوارى موسى وهارون هذا الزمان الجدد تجاوبا من السلطات السودانية والاثيوبية اكثر من مما وجده اسلافهم القدامى من

طاغية مصر القديمة عند إنقاذهم للقبيلة الهائمة حسب نـ
رواية الانجيل عن الهجرة.. ان إسرائيل قد خلقت لتكون مو
لكافة اليهود فمرحبا بالفلاشا في إسرائيل..»

ونشرت صحيفة النيويورك تايمز The Newyork Times
الولايات المتحدة الامريكية تقول :«..لعل عملية نقل يهود الفلا
هي الاولى في التاريخ من نوعها التى تم فيها نقل الالاف من الس
الى بلد آخر بدون ان يكونوا مكبلين بالسلاسل، بل استقبلـ
بالترحاب..»

وجاء في صحيفة الواشنطن بوست The Washington Post :
«..لقد توقفت عملية ترحيل يهود الفلاشا من السودان في الاسبو
الماضي بسبب تسرب اخبارها وخشية السودان من ان يتعرض
لموجة من هجوم الدول العربية واثيوبيا بعد أن سمح للفلاش
بالعبور الى حدوده تمهيدا لنقلهم الى دولة أوربية ومنها الى
إسرائيل..»

ولقد قابلت الصحافة المصرية الخبر بفتور ملحوظ حيث لـ
تتناوله اقلامها النشطة باستثناء ظهور خبر في صحيفة الاهرا
يكرر بيان الحكومة السودانية في نفيها لمشاركتها في نقل الفلاش
الى إسرائيل مع تعليق يقول :«..إن في ظروف المجاعة الطاحنة
اثيوبيا يصعب التفريق بين من هو يهودي أو غير يهودي، ولعـ
كل الذي فعلته إسرائيل هو إنقاذ بعض الرعايا اليهود..» وفي
٢٠/١/١٩٨٥م صرح الرئيس المصري حسني مبارك لبعض
المراسلين بمطار القاهرة لدى عودته من روما :«..إن مصر مهتمة

بما أُثير حول موضوع الفلاشا وتأمل ان لا تؤثر تلك المسألة على حل المشكلة الفلسطينية، وإن الموقف سيكون خطيرا للغاية اذا تم توطين الفلاشا فى الضفة الغربية...».

فى ٥ يناير ١٩٨٥م ورد بيان رسمى باسم منظمة التحرير الفلسطينيه P. L. O. على لسان المناضل عباس زكى ناشد فيه الدول العربية بالضغط على السودان لوقف هجرة يهود الفلاشا إلى الاراضى المحتلة، كما وجه نداءً الى المنظمات الدولية لوقف تلك الجـريمـة. وفى ٧ يناير ١٩٨٥م أعلن الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات فى تصريح له نقلته وكالة الانباء الكويتية :«...إننا طالبنا من المندوب الدائم لدى منظمة جامعة الدول العربية إثارة موضوع الفلاشا مع الامانة العامة لدى الجامعة العربية لتقصى الحقائق المتعلقـة به...». وصدر بيان آخر دعت فيه الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين إلى مقاطعة السودان. وتحدث فى الخرطوم ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ابورؤف جمال عرفات شقيق الزعيم ياسر عرفات فى التلفزيون السودانى وهو لا يكاد أن يصدق صحة الاخبار من هولها وجاء فى حديثه :«...إنه من غير المعقول ان يتورط السودان فى مثل تلك العملية...» واضاف : «...بأنه لا يعتقد بأن للسودان دخلا على الاطلاق فى تلك العملية وإنه واثق تماما من تمسك السودان بإسلامه وعروبته...» واخيرا دعا جمال عرفات إلى اليقظة والتريث والتأكد من صحة الاخبار والاشاعات.

اما فى الجماهيرية الليبية فقد عبر الرئيس معمر القذافى عن إمتعاضه وإشتعل غضبا وطالب الجامعة العربية بعقد إجتماع

طارىء لمحاسبة الحكومة السودانية والوقوف على ابعاد جر...
نقل يهود الفلاشا. وقال راديو طرابلس إن السودان ظل منذ ...
١٩٨٢م يتواطأ مع المخابرات الامريكية في عمليات نقل منظ...
لليهود الاثيوبيين من اراضيه.

في الاردن برزت المقالات الصحفية وعناوين الاستهجـ...
الصارخة في شجب عملية موسى وبرزت رسومات الكاريكا...
الساخرة في صحيفة (الرأى) الاردنية تصور الرئيس السودا...
السابق جعفر نميرى بالزى القومي السوداني وقد تحولت عمامته
إلى افعى صهيونية تلتف حول رأسه.

وفي الكويت تناقلت الصحف أخبار عملية نقل يهود الفلاشا
واجمعت الصحافة الكويتية على وصف عملية موسى بأنها عملـ...
قرصنة إمبريالية توسعية عنصرية.

في تونس اصدرت أمانة جامعة الدول العربية بيانا جاء فيه
.... إن الامانة العامة لجامعة الدول العربية تدين بقوة العملية
الخبيثة التي نفذتها إسرائيل وتناشد المجتمع الدولي أن يولي هذه
القضية إهتماما خاصا لما تنطوى عليه من إستهتار بكل القيم
والاعراف الدولية.....

أما رابطة المؤتمر الاسلامي فلقد أصدرت بيانا ضافيا
ادانت فيه إسرائيل لتهريبها آلاف من يهود أثيوبيا إلى الاراضي
الفلسطينية المحتلة إلا انها لم تتعرض للسودان بأى ذكر.

وفي إيران علقت مصادر بوزارة الخارجية الايرانية بإتهام
الرئيس السابق جعفر نميرى بالتعاون الفاضح المشين مع

الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية العالمية فى إستغلال ظروف المجاعة بأثيوبيا لتحقيق مرامى إسرائيل العنصرية.

أما فى اثيوبيا فأصدرت وزارة الخارجية الاثيوبية بيانا ضافيا وصفت فيه تآمر السلطات السودانية وتواطؤها مع بعض القوى الاجنبية فى أخذ الرعايا الاثيوبيين قسرا وبدون رغبة منهم إلى دولة إسرائيل. وتحدث الرئيس منقستو هيلا مريم فى لقاء تناقلته شبكات إرسال التلفزيون العالمية قائلا :«..إن المواطنين الاثيوبيين قد أُرغموا على النزوح فى بعض الاقاليم التى تجتاحها بعض الاضطرابات الحدودية من أرضنا، والشاهد أنهم أرغمو قسرا بل جروا جرا وبدون رغبة منهم لأخذهم إلى دولة إسرائيل. والشيء المؤلم أن تلك العملية هى المرة الاولى فى التاريخ التى إجتمعت فيها مصلحة دولة عربية لتتواطأ مع دولة إسرائيل للقيام بعمل ضد أثيوبيا. إن ذلك الفعل جريمة وغير قانونى ولا اخلاقى بكل المعايير، ولعل العالم كله يعرف بان الاسرائيليين قد واجهوا نوعا من القهر فى حياتهم فهل تعنى فعلتهم تلك انهم يريدون ان يثأروا بتوجيه قهرهم على دولة أثيوبيا؟!.. وتبقى الحقيقة المرة وهى ان المواطنين الاثيوبيين الابرياء الذين أُقتيدوا لذلك الحال والواقع المؤلم لا يجدون سبيلا للهرب من إسرائيل لبلادهم مما يجعلهم يشعرون بالقهر والضيم ومما حدا بعدد كبير منهم ان يقدم على الانتحار بطريقة لا إنسانية..»

ولقد إتهمت حكومة اثيوبيا الاشتراكية مكتب المفوض الدولى لشئون اللاجئين بالاشتراك والتآمر مع إسرائيل والسودان

والولايات المتحدة فى تدبير تهجير اللاجئين الاثيوبيين من السودان إلى إسرائيل، وقالت البعثة الاثيوبية لدى مقر الامم المتحدة في جنيف فى بيان صحفى ١٥/ ١/ ١٩٨٥م جورنال دى جنيف Journal De Geneve لقد تبين ان مسئولا كبيرا من مكتب المفوض السامى لشئون اللاجئين كان فى السودان للاشراف على عملية نقل الفلاشا شخصيا..) وردا على ذلك الاتهام تقدم السيد ليونيد دفيكو الناطق الرسمى باسم المفوض السامى لشئون اللاجئين بتصريح جاء فيه: «..ان منظمته كانت على علم بوجود يهود الفلاشا فى مخيمات اللاجئين بالسودان ولكنها ليست لها علاقة بسير عملية موسى وبالتالى ليست مسئولة عما جرى..».

وفى الاتحاد السوفيتى جاء فى بث إذاعة صوت موسكو الموجهة باللغة العربية :«..إن عملية نقل اليهود الاثيوبيين إلى إسرائيل لم تكن دوافعها بأى حال إنسانية بل هى رغبة من رغبات التمدد الصهيونى. وسوف تستغل إسرائيل اليهود الاثيوبيين بتوطينهم فى الاراضى العربية المغتصبة ليبقوا بها ويقاتلوا فى سبيل الحفاظ عليها..».

وفى تشيكو سلوفاكيا كتبت صحيفة رودى برافو - Rude Pravo :«..إن العملية المساة بعملية موسى لترحيل اليهود الاثيوبيين لا يمكن ان تكون أىّ شىء سوى انها عملية إستجلاب وترحيل لرعايا دولة اخرى بدون أخذ إذنها.. ولا يمكن ان تسمى تلك العملية عملية إغاثة أو إنقاذ كما إدعت دولة إسرائيل للعالم بدون خجل، إنها عملية إستغلال بشع لضحايا المجاعة..».

وفى آخـر يناير ١٩٨٥م علقت بلجا Belga وكالة الأنباء البلجيكية :(..بأن وزارة الخارجية البلجيكية لم يكن لديها علم بما يدور ولا تدرى شيئـا عن مشـاركـة شركـة الطيران البلجيكية T. E. A. فى العملية إذ لم تتقدم أية جهة على الاطلاق لاخذ موافقة رسمية من وزارة الخارجية البلجيكية..).

ومن بعد الافتضاح الدولى المجلجل وتأزم الاحوال إنقلب شركاء عملية الظلام يتلاومون..! فقد استدعى الرئيس السودانى السابق جعفر محمد نميرى السفير الامريكى بالخرطوم الاكساندر موران بحضور نائبه الاول ورئيس جهاز أمن الدولة عمر محمد الطيب وبلغه إحتجاج حكومة السودان التى تشعر بأنها تورطت وأحرجت تماما امام الملأ وعلى رءوس الاشهاد وتضررت مصالحها الدولية والاقليمية برغم من تأكيدات الادارة الامريكية وتعهداتها المسبقـة بضمان سلامة سرية عملية نقل الفلاشا. ولقد صرح مسئـول رفيـع فى وزارة الخارجية الامريكية بواشنطن عن قلق الادارة الامريكية حيال إفتضاح عملية موسى فقال :«..إنى أعبر عن عظيم القلق الذى تعانى منه واشنطن، ففى الوقت الذى راهنا فيه بأعناقنا لانجاح تلك العملية تقوم إسرائيل فجأة بتبديل أصول الاتفاق وبدون مشاورتنا..». ومن جهة اخرى اعلن مجددا رئيس الوزراء الاسرائيلى شمعون بيريز انه قد صدق شخصيا لسكرتير مجلس الوزراء الاسرائيلى بإجراء المؤتمر الصحفى الذى أعلن فيه عن عملية موسى لنقل الفلاشا، وأنه يعتقد ان الدعاية التى احاطت بالمـوضوع كانت هى السبب فى وقف عمليات ترحيل يهود الفلاشا.

وذكر ان دوافعه لعقد المؤتمر الصحفى كانت جادة وقص...
تحويل الاهتمام العام عن النواحى التفصيلية للعملية ...
الامر فى إطاره الصحيح بعد ان تناقلته الصحافة العالمية ...
شمعون بيريز فى مجال آخر بان يتم نقل باقى يهود الفلا... إلى
إسرائيل. ولقد كشفت صحيفة التايمز البريطانية Times ...
ذلك الوقت عن تحركات دبلوماسية سرية تجرى من اجل ال...
الى أفضل الطرق لمعاودة نقل باقى يهود الفلاشا، كما ...
الصحيفة فى تصريح لمتحدث صحفى بإسم الوكالة اليهود...
بعد توقف الشركة البلجيكية قد تقدمت خطوط طيران ...
بإستعدادها للقيام بإستئناف عمليات النقل الجوى.

وفى السودان لقد أدى الافتضاح المشين لحكومة الر...
السابق جعفر نميرى بتورطها فى عملية نقل يهود الفلاشا إلى
إسرائيل إلى إشتعال روح السخط بين قطاعات جماهير الش...
السودانى بمختلف مشاربها. وظهرت صحف الحائط بج...
الخرطوم تحمل شعارات ساخرة معادية تنادى بسقوط نظام نم...
الذى داس على كرامة الشعب السودانى، وإنتشرت الملص...
التى تحمل شعارات معادية لحكومة نميرى على جدران المد...
والمحال وبالطرق الرئيسية بالخرطوم منددة، كما جرى تو...
المنشورات المعادية لحكومة نميرى فى المدارس والجامعات والاحـ...
السكنية وفى داخل دواوين المصالح الحكومية. ووقف ائ...
المساجد فى المدن وفى بعض القرى السودانية الريفية يشجبو...
جريمة نقل يهود الفلاشا علنا ويستنكرون التعامل مع اليهو...

الصهاينة اعداء الاسلام والوطن. كما سعى فى هذا الاثناء بعض من قادة الجبهة الاسلامية القومية بالخرطوم للاتصال بالعقيد أمن الفاتح عروة الذى تمت دعوته لاجتماع سرى بحى الصافية ل مدينة الخرطوم بحرى لمناقشة ابعاد تورط الحكومة السودانية ل قضية نقل يهود الفلاشا من السودان الى إسرائيل والوقوف على حقيقة تفاصيلها. ولقد تمكن جهاز أمن الدولة السودانى من رصد ذلك الاجتماع السرى بحى الصافية فى تسجيل صوتى كامل لكل ما دار فيه بواسطة اجهزة التنصت الامر الذى جعل اللواء عمر محمد الطيب فى وقت لاحق ان يواجه العقيد أمن الفاتح عروة مؤنبا له لتسريبه اسرار جهاز أمن الدولة فى اجتماع سياسى غير مشروع ولصالح جهات وتنظيمات مشبوهة معادية. واخيرا إستطاع اللواء عمر محمد الطيب من التخلص من العقيد عروة بابتعاثه خارج السودان ليتلقى دراسة فى الطيران بالولايات المتحدة الامريكية ثم دراسة الكمبيوتر بألمانيا الاتحادية على نفقة جهاز أمن الدولة ورعايته المباشرة!!.. وبسبب نفس إجتماع مدينة الصافية السرى بادر اللواء عمر محمد الطيب لاحقا إلى إعتقال قيادات الجبهة الاسلامية القومية عندما ظهرت بوادر تضعضع النظام ومثوله للسقوط فى مارس ١٩٨٥م وقام بتوزيع المعتقلين على سجون السودان المختلفة ليبقوا بداخلها إلى ما بعد احداث إنتفاضة ابريل ١٩٨٥م.

وهكذا وبإنتشار الاخبار عن تورط حكومة نميرى ومعاونيه فى عملية نقل الفلاشا تفشت روح السخط فى السودان وبرزت

الملمة السياسية فى القطاعات العسكرية والمدنية السودانية
واصبح المناخ السياسى فى طول البلاد وعرضها مفعما بالغيوم
والغموض التى باتت تتهدد نظام حكومة نميرى ومعاونيه بوشيك
حلول عاصفة لا تبقى ولا تذر.



اللواء عمر محمد الطيب يستقبل جورج بوش عند
زيارته للسودان فى مارس ١٩٨٥م



نميرى وسفير الولايات المتحدة الامريكية بالخرطوم

الاكساندر هوران



زيارة عمدة واشنطن للرئيس نميري بالخرطوم



تيدي كندي يزور السودان.



اللواء عمر محمد الطيب وجورج بوش يوقعان اتفاقية

تعاون، الخرطوم مارس، ١٩٨٥م

البـــاب الســابع

طيــور الفجــر ... عمليــة سبــأ

هنــاك زعم قديم فى أدب نظريــة الجــريمــة الكلاسيكية The Classic Theory of Crime يقول: ان مرتكب جريمة ما إذا تمكن من الافلات فلابّد من رجوعه إلى مسرح الجريمة مرة ثانية. إمــا بغرض تكرار نفس الجريمة أو بغرض طمس بعض معالم جريمته الاولى .. ويمكن للباحث فى علم الأجرام إستيعاب المعنى الدفين لتلك الفكرة التى تبدو غريبة بإستبطان شعور الجانى أو المجرم الذى يتكون فيه فى تلك الحالة دافع تشجيعى لاشعورى بأنه فى حالة عودته مباغتاً لمسرح الجريمة سوف لن يلتفت إليه أحــد نسبــة لتعــاظم عنصر الأستبعاد وعدم معقولية أن يكرر الجــانى نفس الفعــل وبنفس المكان ـ وهذا ما حدث تماماً فى السودان عند العودة لمواصلة نقل بقية يهود الفلاشا الموجودين بمعسكــرات اللجــوء الســودانيــة بشرق الســودان، فبالرغم من

افتضاح عملية موسى وتأزم الاحوال الداخلية بالسودان وإشتعال موجة السخط العامة التى واجهتها حكومة الرئيس جعفر نميرى من الشعب السودانى والدول العربية والأسلامية وغيرها من الدولة الشامته، الاّ أن حكومة نميرى لم تتوان فى الرجوع إلى مسرح الجريمة مرة ثانية متضامنة مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لتكرر مرة ثانية نفس الجريمة الدولية التى إستنكرها العالم أجمع لتسلك بذلك ومع سبق الأصرار سلوكاً إجرامياً كلاسيكياً.

فبعد الأفتضاح وتوقف عملية موسى والجسر الجوى بين الخرطوم وتل أبيب لنقل يهود الفلاشا فى يناير ١٩٨٥م، لم يهدأ بال للكيان الصهيونى ونشطت إتصالاته الدبلوماسية المكثفة بشتى الطرق والأساليب لايجاد أية وسيلة لأستئناف عملية ترحيل بقية الفلاشا من السودان. ففى لندن ذكرت مصادر دبلوماسية مقربة من وزارة الخارجية البريطانية أن السفير الأسرائيلى لدى لندن طلب مساعدة الحكومة البريطانية لتذليل السبل الكفيلة بأنقاذ ما تبقى من يهود الفلاشا، ذلك فى أثناء المحادثات التى جرت فى منتصف يناير ١٩٨٥م بين السفير الأسرائيلى ووزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية والمسئول ضمناً عن دائرة شئون القارة الافريقية بوزارة الخارجية البريطانية. ومن ضمن الجهود والمساعى الحثيثة أيضاً ما ورد فى صحيفة الواشنطن بوست ـ The Washington Post بأن عمدة مدينة القدس تيدى كوهليك Teddy Kholeck قد طلب من القس السياسى الأمريكى

الشهير جسى جاكسون أن يتوسط لدى حكومة السودان للسماح بنقل بقية يهود الفلاشا الموجودين هناك بحجة الدوافع الأنسانية تماماً كما فعل القس جاكسون عند توسطه لدى الحكومة السورية للأفراج عن بعض الرهائن الأمريكيين الذين كانوا محتجزين فى لبنان. أما فى اسرائيل فقد سيّر عدد من يهود الفلاشا مظاهرة هادرة فى تل أبيب من مقر الوكالة اليهودية وحتى مبانى الكنيست مطالبة بمعاقبة الذين تسببوا فى كشف عملية الجسر الجوى وإيقاف عمليات الترحيل، وطالبوا الحكومة الأسرائيلية بتحمّل أخطائها والمسئولية كاملة عن ذلك وبذل كافة الجهود من أجل نقل بقية أهلهم الذين تخلفوا فى معسكرات اللجوء بشرق السودان.

وسرعان ما نشطت الأتصالات الأسرائيلية الأمريكية واحتل موضوع الفلاشا الصدارة فى الموضوعات المشتركة بين البلدين، وبرز نشاط سياسى - إجتماعى كبير داخل المجتمع الأمريكى يهدف الى حمل الأدارة الأمريكية للتحرك على طريق إيجاد حل لمحنة الفلاشا الذين تخلفوا فى إفريقيا سواء فى السودان أو أثيوبيا. ولقد لعبت الوكالة اليهودية العالمية دوراً كبيراً فى تلك الاثناء من داخل قطاعات المجتمع الامريكى بتوجيه حملة دعائية مكثفة استخدمت فيها المحاضرات التنويرية فى المنتديات وأماكن التجمعات الخاصة والعامة وجرى توزيع المطبوعات المصورة بين أوساط الطلاب فى الجامعات والملاعب الرياضية وبثت الأفلام التسجيلية فى قنوات التلفزيون المتعددة بهدف تعبئة رأى المجتمع الأمريكى للضغط فى إتجاه إنتزاع حماسة الأدارة الامريكية

لأستخدام نفوذها فى إنتشال بقية يهود الفلاشا من السودان وأثيوبيا. وفى أعقاب تلك الحملة الدعائية تطوع كل من السيناتور دى كونسينى Senator De Concini والسنتور بول تريبل Senator Poul S. Tribie للسفر إلى أثيوبيا فى الأسبوع الأخير من يناير للقيام بوساطة لدى السلطات الأثيوبية للسماح للفلاشا بالهجرة إلى إسرائيل. هذا وقد وردت منهما تقارير إبان إقامتهما بأثيوبيا تفيد بأن السلطات الاثيوبية قد ابدت تفهما وتجاوبا لقبول وساطتهما. ولقد قام كل من السيناتورين الامريكيين بطواف وزيارات لبعض قرى الفلاشا فى إثيوبيا الا أنه وفى أعقاب زيارتهما لأحدى قرى الفلاشا إعتدى بعض رجال الأمن الاثيوبى على مرافقيهم ومضيفيهم من الاثيوبيين بالضرب المبرح لدرجة تسبيب الأذى الجسيم لهم فقطع السيناتوران الأمريكيان زيارتهما لأثيوبيا وقفلا عائدين للولايات المتحدة. وفى مطلع فبراير ١٩٨٥م تلقى الرئيس الامريكى رونالد ريجان مائة رسالة شخصية مفتوحة تقدم بها سيناتورات الكونجرس الأمريكى يناشدونه فيها ويهيبون به لأستخدام نفوذه لتسهيل عملية إستئناف نقل يهود الفلاشا من السودان إلى إسرائيل، ويبدو أن الرئيس الأمريكى ريجان قد وجد فى تلك المبادرات المحفوفة بجو من الدعاية العريضة الواسعة سانحة طيبة لمداعبة عواطف اللوبى اليهودى وإغتنام كسب ثقته خاصة وأنه قد وجد مشقة كبيرة فى الأنتخابات الأخيرة من جانب الناخبين اليهود الذين صوتوا ضده.

وفي الاسبوع الاول من مارس ١٩٨٥م توجه نائب الرئيس الامريكي جورج بوش في زيارة إلى الخرطوم لمقابلة المسئولين هناك ولإجراء بعض المفاوضات التي تتعلق بمسار العلاقات السودانية - الامريكية حيث أن هناك عدة مواضيع ظلت معلقة بين البلدين وطال إنتظارها دون حسم. فلقد قررت الأدارة الامريكية منذ وقت ليس بالقصير تجميد الدعم المالي البالغ مائة مليون دولار أمريكي كانت الولايات المتحدة قد وعدت به الحكومة السودانية في إطار دعم ومساعدات خاصة لتنشيط الأقتصاد السوداني. وبتجميد ذلك الدعم تعرضت العلاقات الثنائية بين البلدين لنوع من الفتور والضمور الذي جعل جهات اقتصادية وسياسية ومراقبين دوليين يعلقون واصفين مسار العلاقات الامريكية - السودانية بأنها قد وصلت إلى طريق مسدود. وفي واقع الأمر كانت الحكومة السودانية في ذلك الوقت تعاني من مشاكل عديدة متداخلة متشعبة، فالجفاف والتصحر قد ضرب السودان تماماً وباتت المجاعة تهدد مئات الالاف من المواطنين وأصبح ذلك البلد يعاني من قلة الحبوب وقلة انتاجية المواد الغذائية، والسودان كما هو معلوم يتوسط خمس دولة إفريقية كانت أيضاً تعاني من المجاعة وظروف عدم الأستقرار والحروب ولكنه آثر جيرانه عليه سامحاً بلا تبصر ولا هيمنة بأزدياد تدفق النازحين واللاجئين الاثيوبيين والارتريين نحو حدوده الشرقية، وعبر الحدود الجنوبية تسرب اللاجئون اليوغنديون على القرى الحدودية وتوغلوا إلى مدن وعواصم الأقليم الجنوبي، أما على الحدود الغربية فقد أصبح السودان يستقبل

الآلاف من لاجىء تشاد وإفريقيا الوسطى هذا إلى جانب مشاكل إنتهاكات القوات المتقاتلة المتناحرة بين ليبيا وتشاد والتى كانت تلوذ فى كرها وفرها بحدود السودان وتدخل عميقاً فى أراضيه. وفى الجنوب والجنوب الشرقى للسودان تصاعدت العمليات العسكرية التى تقوم بها عصابات التمرد والشرذمة فى ذلك الاقليم مما أدى الى استنزاف وارهاق مالية الدولة وتعطيل كثير من المشاريع التنموية فى تلك الاماكن. وتفاقمت الاوضاع الامنية والمعيشية فى السودان مترديه حتى بدأ وجه البلاد قاتماً وطارداً لكل العمالة والاستثمارات الأجنبية الطموحة. وعلى مستوى السياسة الداخلية وسيادة الدولة وهيمنتها على مقاليد الأمور بالبلاد ظهر جلياً أن نظام حكومة نميرى قد فقد ثقة المواطنين وثقة الحكومات الخارجية، وفى تلك الظروف الحرجة والتى كانت تحتاج فيها حكومته إلى الدعم المالى لم يكن هناك صندوق مالى أو جهة عالمية مموّلة يمكنها أن تجازف بتمويل السودان المتردى فى هوة مديونية سحيقة والذى بدا إقتصاده عاجزاً يحتضر بشهادة صندوق النقد الدولى I. M. F. وفى الرابع من مارس ١٩٨٥م كانت زيارة جورج بوش للسودان الذى تقدم لحكومة الرئيس نميرى بدعم مالى قدره خمسة عشر مليون دولار نقداً إلى جانب بعض الأمدادات العسكرية والغذائية والطبية. وفى أثناء زيارته للسودان تطرق جورج بوش لمسألة الفلاشا مع الرئيس جعفر نميرى الذى وافق على إستئناف نقل يهود الفلاشا من السودان ولكن وفق تحفظات وبموجب شروط جديدة، فلقد إشترط جعفر نميرى لضمان موافقته

لمواصلة نقل يهود الفلاشا من السودان إلى إسرائيل ثلاثة شروط تلخصت في:-

أولا: ان تبتعد دولة إسرائيل عن مسرح الأحداث نهائياً بحيث لا يكون لها دور مباشر أو غير مباشر في العملية الجديدة، وعليها أن تسكت إعلامها على أن تضمن الولايات المتحدة الامريكية سرية العملية بعدم تدخل إسرائيل بأى حال من الأحوال.

ثانيا: أن تتولى الولايات المتحدة الامريكية بنفسها عملية نقل الفلاشا مباشرة وبدون أى وسيط أو مشاركة بلد آخر وعلى أن يكون الترحيل بواسطة طائرات أمريكية وليس بواسطة أى ناقلات جوية اخرى.

ثالثا: أن لايتم نقل الفلاشا مباشرة من السودان الى إسرائيل بل أن ينقلوا إلى أى بلد أوربى آخر بحيث يمكن بعد ذلك نقلهم الى إسرائيل.

ولقد كان جورج بوش حريصاً كل الحرص في زيارته للسودان أن يتأكد قبل مغادرته الخرطوم في السابع من مارس ١٩٨٥م بأنه قد قام بكل تسوية لازمة لأرضاء السلطات السودانية والاذعان بتوفير طلباتها، فقد وجه بتحويل مبلغ اثنين مليون دولار التى طلبها جهاز أمن الدولة السودانى سابقاً في حساب ببنك لويدز بلندن لصالح مبانى جهاز أمن الدولة المزعومة «مشروع النيل الازرق - شركة ومبى» كما تم إمداد جهاز امن الدولة بكافة الأجهزة والمعدات التى سبق أن طلبتها إدارته. وتجدر الاشارة هنا الى الدور الكبير والهام الذى لعبه السفير

الامريكى بالخرطوم الأكساندر هوران فى تهيئة مناخ المحادثات والتوفيق بين وجهات النظر السودانية والأمريكية التى كانت من قبل قد شارفت الوصول الى مفترق الطرق. وقبيل مغادرته الخرطوم إقترح جورج بوش أن يقوم اللواء عمر محمد الطيب بزيارة سريعة قصيرة للولايات المتحدة الامريكية تحت غطاء الحصول على مساعدات غذائية للاجئين ولتهيئة برنامج زيارة الرئيس نميرى المرتقبة للولايات المتحدة ذلك حتى يتمكن من التشاور والتنسيق مع السلطات الامريكية على طبيعة خطط عملية مواصلة نقل يهود الفلاشا.

ولقد تكفلت السلطات الامريكية متمثلة فى جهاز رئاسة الدولة The American State Department وجهاز المخابرات المركزى C. I. A وسلاح الجو الامريكى U. S. Air Force بوضع الخطة اللازمة لعملية نقل بقية الفلاشا من السودان إلى إسرائيل. وأطلق على تلك العملية الاسم الحركى « عملية سبأ - Sheba Opreation ». وبعد مغادرة نائب الرئيس الامريكى جورج بوش للسودان فى ٧ مارس ١٩٨٥م قام جهاز آمن الدولة بحملة إعتقالات واسعة شملت السياسيين والنقابيين والمناوئين للحكومة، وشملت تلك الأعتقالات والتحفظات على وجه الخصوص قيادات جبهة الميثاق الاسلامى « جماعة الجبهة الاسلامية القومية » بالسودان والذين سبق لهم أن تحدثوا عن مسألة الفلاشا فى مؤتمرهم الذى عقدوه سراً بحى الصافية بمدينة الخرطوم بحرى والذى تمكنوا فيه من دعوة وإستقطاب العقيد أمن

الفاتح عروة ليستقوا منه حقائق وأسرار عملية موسى لنقل يهود الفلاشا.

وفى يوم ١٨ مارس ١٩٨٥م غادر اللواء عمر محمد الطيب الخرطوم الى واشنطن على متن طائرة عسكرية أمريكية خاصة، رافقه فى تلك الرحلة كل من العقيد أمن موسى اسماعيل والعقيد أمن صلاح دفع الله، مدير مكتب اللواء عمر، ومستر ملتون مندوب المخابرات بالسفارة الأمريكية بالخرطوم. ومكث اللواء عمر محمد الطيب فى الولايات المتحدة نحو ست وثلاثين ساعة فقط فى واشنطن إلتقى خلالها بالمستر وليام كاسى Mr. William Casey المدير العام للمخابرات المركزية الأمريكية كما اجتمع ضمن (كونسورتيوم) ضم نخبة من رجالات المخابرات المركزية الامريكية وبعض رجال وطيارى سلاح الجو الأمريكى بمبانى رئاسة جهاز المخابرات الامريكية C. I. A. حيث نوقشت خطة عملية سبأ بالتفصيل وجرى الأتفاق على جدول مهامها التنفيذية والجدول الزمنى الموازى لها.

ولقد كانت خطة عملية سبأ لنقل يهود الفلاشا من السودان إلى إسرائيل خطة ذكية ومبسطة ومتكاملة وبعيدة كل البعد عن التعقيد والتجزئة. تعتمد على عنصر المباغتة وعدم التوقع وعلى التنفيذ المباشر بأقل عدد من العمالة البشرية ودون اللجوء الى إسناد أدوار تنفيذية لعمالة مساعدة. تقوم خطة عملية سبأ على أساس أن تقلع ست طائرات نقل حربية أمريكية من طراز Turbo ProP C. 130 مجهزة بخزانات وقود إضافية وملونة بألوان كوموفلاج الصحراء من قاعدة جوية بالقرب من فرانكفورت لتهبط فى ٢٩

مارس ١٩٨٥م بمطار العزازة بالسودان والذى يقع على بعد ثمانية أميال شمال مدينة القضارف (عند نقطة خط طول ٣٣٫٥ شرق قرينتش وخط عرض ١٤ شمال خط الاستواء) ، على أن يكون وقت هبوط أول طائرة عند ساعة إنبلاج أول خيط للفجر، وعلى أن يكون فى إنتظار تلك الطائرات الست بأرض المطار المعنى يهود الفلاشا المراد ترحيلهم حيث تهبط الطائرات الست واحدة تلو الأخرى وفق ترتيب زمنى بفارق عشرين دقيقة بين هبوط وإقلاع كل طائرة على التوالى، وأن تجرى العملية تحت ستار ترحيل مواد إغاثة امريكية للاجئين بمعسكرات منطقة القضارف بالسودان. وعليه قام جهاز أمن الدولة السودانى بتوجيه مسبق للقوات المسلحة السودانية ورئاسة سلاح الطيران السودانى بعدم التعرض لطائرات النقل الامريكية عند دخولها للأجواء السودانية وهبوطها وإقلاعها من مطار العزازة وذكر لهم أنها تقوم بنقل معونات ومواد إغاثة للاجئين بمنطقة القضارف.

وفى ظهيرة نهار ٢٨ مارس ١٩٨٥م وصلت الى مطار العزازة الذى هو عبارة عن فناء أرض منبسطة طائرة جهاز أمن الدولة السودانى وعلى متنها العقيد أمن موسى إسماعيل ومستر ملتون، وأقلعت مباشرة بعد نزولهما حيث إستقبل الرائد أمن فؤاد بندر العقيد موسى. وكان بالمطار فى ذلك الوقت إثنا عشر رجلاً من الجنود والضباط الأمريكيين بعضهم يقوم باعداد أجهزة إتصال أرضية وآخرون يقومون برفع (أنتينات - إيريال) هوائى كما إنتشر بعضهم فى ممر المطار الترابى يسوون الاخاديد والحفر ويقومون

بقطع شجيرات السافنا الشوكية القصيرة، ويقوم بعضهم بتثبيت علامات أرضية تحدد مضمار الممر الجوى الترابى ويعالج بعض آخر فى أجهزة مساعدة الملاحة الجوية كجهاز تحديد إتجاه الرياح وقياس سرعتها. وفى نفس اليوم عند الساعة الخامسة مساء وباطراف معسكر تواوا تم تجميع عدد سبعمائة وواحد وثمانين من يهود الفلاشا وجرى توزيعهم فى مجموعات، كل مجموعة تضم ٩٠ شخصاً فى نفس المكان الذى جمعوا فيه عند تنفيذ عملية موسى السابقة، ولعل الشيء الوحيد الذى كان مخالفاً فى هذه المرة هو أن الحراسة كان يقوم عليها الامريكيون بدلاً عن رجال جهاز أمن الدولة السودانى. ثم قامت البصات الأربعة التى أُستخدمت فى عملية موسى بترحيل تلك المجموعات من يهود الفلاشا على دفعتين الى مطار العزازة قبل منتصف الليل اى بواقع رحلتين لكل بص. وكان الطريق من معسكر تواوا الى مطار العزازة ممهداً ووضعت عليه علامات مضيئة على جانبيه حتى لاتتوه البصات فى ظلمة الليل بتلك المنطقة القفرة.

فى ذلك المساء أبلغ الرائد أمن فؤاد بندر العقيد أمن موسى إسماعيل بأنه ظلّ يشاهد منذ الصباح فى ذلك اليوم رجلاً أبيض مدنياً ولا يعتقد بأن له علاقة بالأمريكيين ويبدو أنه صحفى، وظل ذلك الرجل يتردد ما بين معسكر تواوا بين أوساط الفلاشا وبين مطار العزازة، فجنّ جنون العقيد موسى وأرسل الرائد فؤاد بندر ليأتى بذلك الرجلّ أينما كان وليحتفظ به بمكاتب جهاز أمن الدولة بالقضارف. ولقد إتضح فيما بعد بأن ذلك الرجل الاوربى

المجهول هو مستر شارلس بورس MR. Charles Powers مراسـل صحيفة لوس أنجلس تايمز The Los Angelos Times بنيروبى فى كينيا والذى أتى للسودان بتاريخ ١٩ مارس ١٩٨٥م وتسلل وتجول بمنطقة تواوا وبمطار العزازة واختلط مع الجنود الأمريكيين الذين كانـوا بمـطار العزازة وتحادث معهم وشرب انخاب البيرة الامريكية معهم، فتم التحفظ عليه الى منتصف نهار اليوم الثانى وتم نقله الى الخرطوم وسلم للسفارة الامريكية وتمكن بعد ذلك من مغادرة السودان بلا متاعب فى اليوم الثانى. وتردد انه قد تمت رشوته بطريقة مجزية من قبل السفارة الامريكية كى لايسرب أى أخبار عن عملية سبأ.

فى صباح ٢٩ مارس ١٩٨٥م ومع إنبلاج خيط الفجر الأول وقت أن تهرع الطيور من أوكارها ووكناتها ظهرت فى الجومع طيور الفجر أول طائرة من الطائرات الأمريكية المتوقع وصولها، فأطلق أحد الضباط الامريكيين طلقة ضوئية مشعة خضراء إيذاناً للطائرة بالهبوط. وهبطت الطائرة الاولى مثيرة غباراً كثيفاً ونزلت منها فى خفة وسرعة كتيبة من رجال المارينز الامريكيين بزيهم الرسمى وقاموا بإفراغ حمولة الطائرة التى كانت عبارة عن كمية قليلة من أكياس السكر والدقيق وصناديق مياه معدنيه وحفاظات مأكولات ومثلجات وأجهزة إطفاء حريق وبعض إطارات الطائرات واثنين موترسايكل من الطراز المعروف بالصحراوى. ثم قاموا فوراً بعد إنـزال تلك الاغـراض من الطائـرة بمساعدة الفوج الأول من الفلاشا بالصعود على متن الطائرة التى أقلعت مباشرة فى أقل من

عشرين دقيقة من وقت هبوطها. وتوالى نزول الطائرات الخمس الباقية وهى فارغة من أى حمولة بفارق عشرين دقيقة بين هبوط واقلاع كل طائرة حتى أقلعت الطائرة الاخيرة السادسة وعلى متنها كل الجنود والضباط الامريكيين الذين كانوا بالمطار ومعهم معداتهم وأغراضهم. وفى تمام الساعة التاسعة صباحاً كان مطار العزازة خالياً تماماً من البشر تعبث فيه الرياح بعلب سجائر المارلبورو الفارغة ولفافات لبان العلك الأمريكى، وقد إنتشرت هنا وهناك صفائح علب البيرة وزجاجات المياه المعدنية الفارغة.

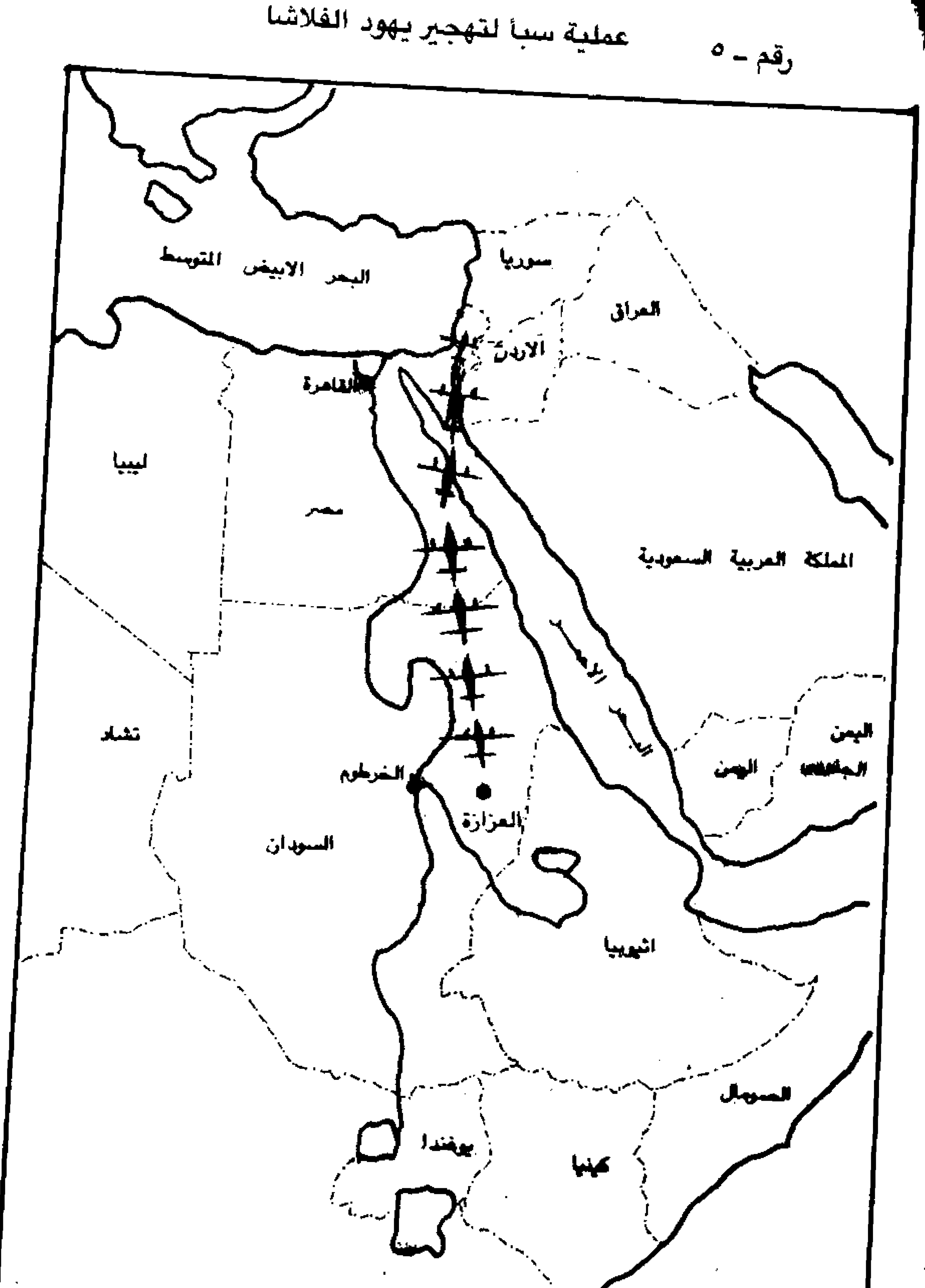
تمت عملية سبأ المحكمة التخطيط والتنفيذ لنقل يهود الفلاشا بدون أىّ تجاوز فى برنامجها المرسوم وبدون حدوث أىّ مفارقة تذكر، وإن كان هناك شىء يذكر فهو أن الطائرة السادسة الاخيرة عند هبوطها تعثرت ولمس طرف جناحها الأيمن الأرض مثيراً للغبار مقتلعاً بعض الشجيرات الشوكية إلا أنها استقرت معتدلة على الارض بسلام ولم تصب بأىّ خللٍ أو عطب، ولقد جرى عليها فحص سريع قبل اقلاعها. وتبقى المفاجأة فى أن الطائرات الامريكية الحاملة ليهود الفلاشا توجهت رأساً من مطار العزازة إلى إسرائيل مباشرة لتهبط فى قاعدة ريمون - Rimon Base الجوية بصحراء النقب بالاراضى المحتلة خلافاً للاتفاق المسبق الذى إشترطه الرئيس جعفر نميرى على الامريكيين بأن لايتم ترحيل يهود الفلاشا فى عملية سبأ مباشرة من السودان الى إسرائيل!

وبعد ثلاثة أيام من تاريخ تنفيذ عملية سبأ لنقل يهود

الفلاشا، ورد فى صحيفة لوس انجلو[٣] تايمز ـ The Los Angelos Times الأمريكية مايلى: « ... لقد حاولت الولايات المتحدة إضفاء جو من السرية والغموض فى يوم السبت الماضى على عملية نقل جوى أمريكية منظمة إستهدفت نقل المجموعة الأخيرة من اليهود الأثيوبيين إلى إسرائيل وذلك خشية من إحراج السودان ...» ومضت نفس الصحيفة تقول: « ... إن سؤالاً قد وجهناه الى الرئيس الامريكى ريجان حول عملية النقل الجوى التى إتسمت بالسرية المبالغ فيها ذلك فى أثناء إحتفال جرى فى البيت الابيض مؤخراً ولكن الرئيس ريجان تردد بعض الوقت فى الأجابة ثم قال: لا تعليق ـ No Comment وأشار إلى أن وزارة الخارجية الامريكية هى جهة الاختصاص التى تتابع مثل هذه القضايا !! ...» ثم كتبت بعد ذلك صحيفة النيويورك تايمز The NewYork Times « .... إن الرئيس السودانى جعفر نميرى لم يشأ بأية حال نشر أخبار عن عملية نقل يهود الفلاشا الأخيرة لأسباب تتعلق بالتهذيب واللياقة وهو إذ سمح للولايات المتحدة أن ترحل ثمانمائة من الفلاشا إلى إسرائيل فالرجل يستحق التقدير ...». ولم تكد تمضى ساعات قليلة من نشر أخبار عملية سبأ لنقل الفلاشا المباغتة فى صحيفة لوس انجلو تايمز وصحيفة نيويورك تايمز حتى تناقلت أخبارها منتشرة وكالات الانباء والاذاعات وشبكات البث التلفزيونى العالمية ليتم تداول أدق تفاصيل العملية فى كافة أرجاء المعمورة بمختلف الفنون والأساليب الأعلامية..

عملية سبأ لتهجير يهود الفلاشا

رقم ـ ٥



الباب الثامن

الفلاشا في إسرائيل

.... الشعور بالنصر رغبة انسانية مشروعة وضرورية لحياة الفرد والجماعة في اطار الدولة، وتهتم الحكومات الواعية في العالم قاطبة بالعمل على تنمية وتحقيق ذلك الشعور المرتبط بحسّ الانتماء والأمجاد والعزة الوطنية بتجسيده من خلال المكتسبات كتحقيق مستوى عال من التنمية والاستقرار والرفاهية وبتوفير افضل وأرقى الخدمات العامة التى تكون مكان شعور بالفخر والنصر والعظمة، وكذلك نجده في صور تحقيق وترسيخ معاني السيادة بالدفاع عن حياض الوطن وفي صور كافة المآثر التي تعتز بها الشعوب حتى في حالات الفوز في المنافسات الرياضية أو الثقافية . والشعوب المحرومة من مذاق طعم الشعور بالنصر شعوب مغلوبة على أمرها والحسّ الوطني لديها ضعيف بمكانة، كما تعاني

مجتمعاتها من أعراض الأحباط العام وهبوط الروح المعنوى الجماعى. وفى المجتمع اليهودى بدولة إسرائيل الواقفة على شفا الحرب نجد أن الشعور بالرفاهية والأستقرار والنصر أمر قل ما يعرفه الناس هناك بدليل تفشى مظاهر القلق والتوتر والاحباط العام الذى يعانى منه سواد اليهود، والذى تولدت منه متفاقمة حالات الهرب الى خارج إسرائيل وبروز ظاهرة الهجرة العكسية المتصاعدة التى باتت تقلق مضاجع الكيان الصهيونى وتبشره بنذر الفشل الذريع فى تحقيق حلم دولة جامعة لشتات يهود العالم

وحينما تنامت أول أخبار إفتضاح عملية الترحيل الجماعى ليهود الفلاشا ووصولهم إلى الاراضى المحتلة، لم تتوان دولة إسرائيل فى ان تستغل ذلك الحدث بطريقة دعائية منظمة لتخلق منه بطولة قومية وكسباً وطنياً كبيراً تجاوب معه المواطنون الاسرائيليون المحرومون من مذاق الشعور بالنصر بطريقة لا مثيل لها. فلقد فُتح مطار بن جوريون للآلاف من الأسرائيليين ليسهروا الليالى وينتظروا الساعات الطوال تحت رذاذ المطر ليشاهدوا مشهد وصول الطائرات المحملة بيهود الفلاشا. وانقلب مطار بن جوريون الى شىء اشبه بالاستاد الاستعراضى أو المجمع الرياضى الكبير حيث سلطت الاضاءة الباهرة الكاشفة على (تيرمنال) وصول طائرات الفلاشا، واصطفت مئات من سيارات (الامبولانس) والأسعاف تستقبل أشلاء الفلاشا القادمين. وكان مشهد وصول يهود الفلاشا الاثيوبيين مثيراً حقاً حين كانوا ينزلون من الطائرا

حفاة شبه عراة فى اسمالهم ويسجد بعضهم يقبلون تراب أرض الميعاد وبعضهم محمول على المحفات الطبية المعلقة عليها حبال وزجاجات الجلوكوز المحقونة بالفيتامينات والعقاقير السائلة. وبجانب تيرمنال الوصول إصطفت الفرق الموسيقية العسكرية بكل الأبهة فى ملابسها الزاهية المتعددة الالوان تتبارى صادحة (بالسلقونات) الوطنية. وفى غمرة تلك الاستقبالات الفريدة من نوعها سرى روح من الشعور بالزهو والنصر على المستقبلين الذين كانوا حقاً مأخوذين ومندهشين. وكتبت صيحفة الهمشمار اليسارية: « ... إنه اكبر نصر واستثمار إسرائيلى فى مؤسسة الهجرة اليهودية ...». وورد فى صحيفة معاريف Ma – Arive اليمينية عند وصول الفلاشا: « ... انهم الاكثر حقاً فى وجودهم بإسرائيل لما كابدوه فى سبيل يهوديتهم الشىء الذى لم يفعله الكثيرون منا ...».

ولكن ذلك الشعور بالزهو والنصر المدّلس لم يدم طويلاً، فوصول الفلاشا الى إسرائيل كان بمثابة الصعقة التى أصابت نسيج عصب المجتمع الأسرائيلى فى صميم كيانه ومؤسساته مستثيرة فيها كوامن المتناقضات والمعتقدات العنصرية والمسلمات الدينية والعرفية المسبقة بدرجة حادة..! فالمجتمع الأسرائيلى الصهيونى كما هو معروف أساساً مجتمع معقد حديث (الصنع) غير تلقائى التكوين ويفتقر الى أصالة جذور العراقة وآثار اعتمالات المدّ الحضارى المضطرد، قوامه شتات اليهود الذين أُستجلبوا وهجّروا الى إسرائيل من باطن دول وشعوب مختلفة،

ويحمل في اعطافه ثقافات وحضارات متباينة مع جملة المتناقضات
الاجتماعية التي يزخر بها العالم العريض. وعلى ضوء تلك الرؤية
الاجتماعية الفريدة يمكن القول وباختصار شديد بأن المجتمع
الاسرائيلي مجتمع مضطرب غير متجانس Heterogenious Society
ولاتحمل قطاعاته البشرية سمات ثقافية وحضارية غالبة عامة
مميزة على مستوى السلوك الجماعي. ذلك المجتمع يعاني من
جفاف العاطفة الأجتماعية وحدة اختلافات الامزجة وبروز
بالعنف وارتفاع معدلات الجريمة والتناقض والتباين الذي يصعب
معه الاجماع على قناعات في الرأى العام أو حتى في الذوق العام
انه مجتمع مصاب بالعصاب الاجتماعي ومضطرب اكلينيكيا
ولعل نظرة المجتمع الدولي لاسرائيل كدولة عنصرية تأصلت
وترسخت في الاذهان مع مر الايام حتى اصبحت هاجساً ولعنة
تؤثر بشكل سلبي على صورة إسرائيل كمجتمع ديمقراطي خاصة
وأن الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة قد اتخذت قراراً دولياً
في عام ١٩٧٥م يقضي بأعتبار الصهيونية شكلاً ولوناً من الوان
العنصرية القائمة على قناعة وزعم الصهيونية بأن العرق اليهودي
من العروق الرئيسية في الجنس البشرى وقد حافظ ذلك العرق على
وحدته على الرغم من التأثيرات النامية عليه لتبقى السمة اليهودية
محافظة على تفاوتها عبر العصور. وفي يوم اعلان ذلك القرار
بواسطة الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة بعد الاقتراع عليه،
انفعل السيد هيرزوج MR. Herzog سفير دولة إسرائيل لدى الامم
المتحدة وقام بتمزيق وثيقة القرار بكل وقاحة أمام المؤتمرين وفي

حضرة السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة وانسحب خارجاً من الجلسة. ومنذ صدور ذلك القرار الدولى وعبر فترة طويلة ظلّ قادة الصهيونية يتحينون الفرص ويستميتون فى محاولات لاثبات نبل الصهيونية وتقديسها لحقوق الانسان الاساسية. ولاثبات ان دولة إسرائيل دولة مؤسسات ويتمتع شعبها بروح ديمقراطى فكراً وممارسة الشيء الذى جعل من واقعة وصول الفلاشا الاثيوبيين واستيعابهم فى إسرائيل فرصة ذهبية نادرة لدرء وصمة ان الصهيونية ضرب من ضروب العنصرية ولتبرئة الصهيونية بطريقة عملية من كل صفات العنصرية امام العالم اجمع.

ولقد وصل الفلاشا الى إسرائيل فعلاً وبعددية مرموقة ولكن وصولهم ودخولهم فى دولة إسرائيل منذ البداية الاولى كان من خلال (بوابة العنصرية الصهيونية العريضة) .. فيهود الفلاشا الاثيوبيين ليسوا هم أول يهود سود عملت فيهم ادارة تهجير الشتات فى تاريخ إسرائيل. فهناك نحو ما يزيد عن الستة آلاف (٦٠٠٠) من المواطنين اليهود السود الذين يعيشون فى إسرائيل بالمناطق النائية بجنوب الاراضى المحتلة بالقرب من منطقة بئر سبع ويعيش جزء منهم باحياء فقيرة فى اكواخ عشوائية مبنية من الصفيح والتنك باطراف شمالى مدينة ديمونا ومعظمهم من الذين يعتنقون اليهودية من سود الولايات المتحدة الامريكية وجنوب افريقيا. ويحتلون المرتبة الدنيا فى طبقات المجتمع الاسرائيلى حيث ظلوا يعانون من الاضطهاد العنصرى وسوء المعاملة منذ قدومهم الى إسرائيل. وما فتئت سلطات الهجرة الاسرائيلية ترفض

الاعتراف بهم و تماطل في منحهم الجنسية الاسرائيلية بالرغم من أهليتهم الدستورية وفق قوانين الهجرة والاستيعاب وبالرغم من مناشداتهم وتوسلاتهم وتعهداتهم التي كان يحركها في أوساطهم زعيمهم المعروف إبن عامي Bin Ami. وفي عام ١٩٨٠م حاول هؤلاء اليهود السود البؤساء في يأسهم جذب انظار العالم الى قضيتهم والضغط باحراج الحكومة الاسرائيلية دولياً وعلى رؤوس الاشهاد لتذعن للاعتراف بهم ومساواتهم ذلك بتدبير مأساة إنتحار جماعي حيث خرجوا ضاربين في طريقهم الى قلب صحراء النقب للموت جماعياً هناك. الا ان السلطات الاسرائيلية قدتنبهت لخططهم اليائس ووفق تدابير أمنية قاسية اصبحوا يعيشون من يومها تحت المراقبة الدقيقة ويعاملون بحذر كمتمردين وكعناصر مشاغبة متشردة مسببة للقلق والمشاكل. ومن جراء استمرار ممارسات الاضطهاد والتحقير تمكن عدد كبير منهم ممن ساعدهم الحظ التسلل إلى خارج إسرائيل هرباً وخلاصاً برقابهم . تلك كانت تجربة سابقة ومعاشة لوجود يهود سود في المجتمع الاسرائيلى قبل وصول الفلاشا الى إسرائيل الشيء الذي ترتبت وتأسست عليه افكار مسبقة عن كيفية وضع الانسان الاسود في المجتمع الاسرائيلي العنصري. وما أن أصبح وصول يهود الفلاشا الى إسرائيل حقيقة ماثلة حتى تقافزت روح رفضهم للانضمام لاسرة المجتمع الأسرائيلي وكشرت روح العداء عن أنيابها ووضحت جلياً نوايا فكرة مقاطعة إستيعابهم من اساسها. وأعلن رافي هوخمان Rafi Hokhman رئيس بلدية مدينة إيلات بلا تحفظ وعبر وسائل

الاعلام المحلية هناك بأنه إذا أرسل الفلاشا الى مدينته ضمن برامج الاستيعاب والتوطين فأنه سوف يجد نفسه مضطراً لقطع الماء والكهرباء عنهم وعلى آحسن الفروض فأنه سوف يستوعب عدداً قليلاً جداً منهم للرقص والغناء بغرض جذب السياح لمدينته..! وكذلك لم يُخف بروكة المكياس Braukh AL – Makiyas رئيس بلدية مدينة يروهام شراسته العنصرية وحنقه ورفضه للفلاشا بتأليب كافة عمد المدن والأرياف ورؤساء البلديات حاثاً لهم بعدم قبول توطين الفلاشا فى مدنهم وقراهم والمستوطنات الحديثة. وذكر لهم بأن الفلاشا أوباش متخلفون تخلف إنسان العصر الحجرى الأول ويجلبون القذارة ويحملون امراضاً معدية ضارة بالانسان والبيئة علاوة على أنهم لايعرفون التعامل مع أدوات وأساليب الحياة العصرية ويستعملون الحمامات كمراحيض والمراحيض كحمامات ولايعرفون إستعمال الادوات الكهربائية ويستغلون البرادات والثلاجات فى حفظ أحذيتهم وملابسهم..!

وعند بداية وصول يهود الفلاشا الى إسرائيل كانوا متلهفين ومحفوزين بكل مشاعر الحسّ الدينى للصلاة بمدينة القدس فى الجانب الغربى من حائط المبكى، ولكن السلطات الأسرائيلية طردتهم من هناك ومنعتهم من الصلاة وآداء شعائرهم بحجة أنهم لم يخضعوا بعد لأجراءات التهويد التى اشترطتها السلطات للاعتراف بهم، كما أنهم يعتبرون أنجاساً فى رجسهم ولايحق لهم أن يصلوا فى المكان المقدس ما لم يتطهروا ويخضعوا لأجراءات

طقـوس التهـويـد..! وظهرت فى الصحافة المحلية مقالات يهود الاشكناز المتطرفين العنصريين تحمل عناوين و (مانشتات) تقرا: «... السود إلى إفريقيا ...» وكتبت الصحافة الدينية تطالب بطرد واعادة الفلاشا الى بلادهم بأثيوبيا متشككة فى يهوديتهم: «.. ان من فكر فى تهجير السود الأثيوبيين إلى إسرائيل قد إرتكب فعلة شنيعة بهم وبنا لاننا لانعرف من الذى حدّد ان هؤلاء يهوداً ....».
وبدات المشاكل الحقيقة التى واجهها الفلاشا بعد وصولهم الى إسرائيل حين صدموا بواقع عدم الاعتراف بيهوديتهم ورفضهم والطعن فى شريعتهم وعقيدتهم الدينية الشيىء الذى خدش شرف ذاتيتهم وأثار فيهم كل كوامن الانتماء ومشاعر الحس الدينى.
وكانت إجراءات التهويد التى اشترطتها الحاخامية الاسرائيلية للاعتراف بيهود الفلاشا أمراً مزعجاً ومذلاً بالنسبة لهم، هذا الى جانب رفض عدد كبير منهم لفكرة تغيير اسلوب شريعة دينهم رفضاً أساسياً لدرجة الانفعال والمقاومة البدنية لاجراءات طقوس التهـويـد الجسـدية التى فرضت عليهم. فلقد اقتضت طقوس التهويد أن تُجرى عملية العماد «الحمام» بغمر الجسد فى الماء لغسل الرجس والنجاسة من مواطن الفلاشا المراد تهويده كما تجرى عليه عملية إنزاف الدم بأجراء ختان فورى له مهما كان عمره طفلاً أو شاباً أو كهلاً. فنجمت عدة اشتباكات وأعمال عنف فى مقـاومـة طقـوس التهـويد الجسدية إقتضت استنفار قوى الطوارىء والقمـع لحفظ الامن. وتمخضت عن تلك المصادمات بعض الحوادث المؤسفة كحادثة ديفيذ بن هايلى David Bin Haili

وهو شاب وسيم الطلعة فى الخامسة والعشرين من عمره، مشهور فى أوساط الفلاشا كموسيقار ومغن بارع ويحفظ الجميع أغانيه والحانه الشجيه. ولقد أُخذ ديفيد للتهويد الجسدى قسراً وبالرغم من مقاومته بمدينة القدس حيث جثم على أطرافه ستة أشخاص من المساعدين الطبيين لكبحه وإجراء ختانه فظلّ ينتفض ويتلوى مقاوماً حتى إنقصمت فقرات فى سلسلته الفقرية عند منتصف الظهر وتأثر من جراء تلك الاصابة ليعيش بقية حياته بعد ذلك مقعداً معوقاً يعانى من الشلل. وكان لهذه الحادثة بالذات وشبيهاتها من أعمال العنف الأثر الكبير على يهود الفلاشا الذين روعوا وأصيبوا بالخوف والهلع مما حدا بثمانية وثلاثين من شباب الفلاشا ان ينتحروا إحتجاجاً على إضطهادهم وسوء معاملتهم. وسير الفلاشا مظاهرات إحتجاج فى شوارع تل أبيب وذهبوا فى مسيرة الى مبانى الكنسيت يرددون شعارات (نحن يهود مثلكم). واستمرت الحاخامية والاحزاب الدينية فى صلفها متمسكة بضرورة تنفيذ اجراءات التهويد، وكتبت فى ذلك صحيفة محامية الدينية تقول: «... هناك شعور بأنه من الممكن احضار يهود بالملايين من نيجيريا والهند وحتى من أفغانستان يقيمون طقوس وشعائر قريبة من اليهودية، ولسنا نحن الذين نحسم المسألة ولكن الامر الواضح هو انه اذا كانت هناك إمكانية لجعل هؤلاء يهوداً فأنها ستكون طريقة التهويد، ولهذا فان من يريد أن يفرض على اليهود دينهم ومن يريد ان يضيف مصيبة الى مصائبنا فليرجع الى ارض السود وسوف نبعث له بكميات الغذاء التى

يريدها بشرط أن لايأتى الى هنا، وأن لايهدد حياته وينغّص حياته وينغّص علينا حياتنا، ففى ارض السود هناك سيكون اكثر أماناً حيث عاش آلاف السنين ومن الممكن هنا أن ينقلب الى عدو لليهودية فيجب أن نعيد الى أثيوبيا من لايريد ان يعيش كاليهود فى بلادهم وبالطريقة التى يريدونها ...» وفى اعقاب ذلك صرح ناطق بأسم الحاخامية بأن السلطات الدينية لاتعترف بالطريقة التى يمارس بها الفلاشا الطلاق منذ الازل حيث تكشف آنه هناك خطأ إجرائى جسيم يخالف الطقوس والشريعة الدينية اليهودية فيما يختص بتطليق الزوجة وعليه فأن معظم أعضاء طائفة الفلاشا يحتمل ان يكونوا أبناء غير شرعيين لسيدات متزوجات نسبة لاختلاط الانساب فعليه يجدر الحذر والتشدد بتحريم زواج الفلاشا من اليهود الآخرين وفقاً لقوانين الاحوال الشرعية اليهودية الخاصة. ولعله لاتخفى هنا على فطنة القارىء الكريم خطورة وجسامة روح تأثير التكيف الأجتماعى السياسى على السلوك الأسرائيلى العام حيث يستشعر الصهاينة من خلال سياساتهم التربوية التعليمية الموجّهة بأن قوتهم تكمن أبداً فى ان يعززوا ويرسخوا لدى الفرد الصهيونى المتحمس الرائد شعوره الدينى التلمودى بالاضافة الى تعضيد دور اللغة العبرية فى جمع شتات شملهم العقائدى كمرتكز قومى، فلقد ظلت الدولة العبرية وعلى مدى أربعين عاماً تكيف وتدفع أبناءها محفزة لهم ليعتنقوا الفكر الصهيونى السياسى ممزوجاً بالمثاليات الاشتراكية التحريضية والتطرف الدينى الشوفينى، وهذا ماجعل يهود

الفلاشا يصطدمون بظروف واقع من الرفض والشراسة والعدوانية الحادة المتغطرسة.

والى جانب متاعب العنصرية وآلام التفرقة والتمييز الدينى التى كانت من أسباب تعاسة الفلاشا فى إسرائيل، فقد إحتوت مواعين التأهيل والأستيعاب الاسرائيلية التقليدية والتى ظل يصب فيها سيل مهاجرى الشتات من كل انحاء العالم وعلى مدى نصف قرن من الزمان طائفة الفلاشا بنفس قوالبها العتيقة دونما إجراء أى تعديل فيها ليتناسب وحالة استعداد انسان الفلاشا الحضارية النفسية والأجتماعية! .. كان ذلك لترتكب الوكالة اليهودية العالمية خطأ تنظيمياً جسيماً وهى التى تشرف مباشرة على برمجة عمليات التأهيل والأستيعاب والتوطين. فترتب على ذلك الخطأ التنظيمى تعريض يهود الفلاشا لتجارب لا إنسانية بكل ما تحمل العبارة من معنى، فلقد تعرض الفلاشا لبرنامج استيعاب تطبيقى أملى عليهم تقسيمهم الى ثلاث فئات رئيسية لتتسنى عملية علاجهم واستيعابهم وتوطينهم توطئة لان ينصهروا فى المجتمع الاسرائيلى، وجرى التقسم على أساس العمر.

الفئة الاولى (من سن حديث الولادة الى سن الرابعة عشر) فئة الناشئة

الفئة الثانية (من سن الرابعة عشر الى سن الاربعين) فئة الشباب

الفئة الثالثة (من سن الاربعين وما فوق) فئة الكبار.

وعلى أساس ذلك التقسيم جرى توزيع الفلاشا على حوالى سبعين مرفقاً متخصصاً من مستشفيات تخصصية ومصحات

ودور حضانة ورياض اطفال ومدارس لغة ومراكز شباب وبيوت عجزة ومعسكرات تدريب عسكرية وإلى آخر مسميات المؤسسات التاهيلية المنتشرة هنا وهناك فى المدن والقرى الاسرائيلية المختلفة فجاءت نتائج وردود فعل تطبيق برنامج الاستيعاب القائم على ذلك النحو من التقسيم والتوزيع سريعة مفاجئة وبصورة لم تتوقعها السلطات الاسرائيلية إذ إستثارت حفيظة يهود الفلاشا وسلبتهم الأمان وجعلتهم يعيشون مأساة الضياع والاضطراب والياس بسبب تشتيت شمل اسرهم وتمزيق كنف أهلهم وعشيرتهم وعزلهم فى عوالم لاطاقة لهم بالتكيف فيها. فانتشرت حالات اليأس والاحباط والأضطرابات النفسية والعصبية فى أوساطهم والتى ادت متطرفة الى وقوع حوادث إنتحار متعددة كان من ضمنها نساء وامهات. ففى خلال شهر واحد استقبل مستشفى مدينة بئر سبع للامراض العصبية والنفسية عدد تسعين حالة مرضية إستوجبت الاحتجاز للعلاج بالمستشفى In – Patients ومائة وثلاثاً واربعين حالة تطبيب ومراجعة بالعيادة الخارجية Out – Patients ، وربما استقبلت المستشفيات الشبيهة بمدن اخرى والتى لم نعلم بخبرها حالات مرضية بنفس الكيفية والكمية! ... وفى تقديرى المتواضع أن تلك الاحداث المؤلمة المؤسفة كانت من اكبر المآسى التى تعرض فيها بشر بكمية وكيفية مذهلة للتعذيب والتمزيق العصبى والنفسى فى هذا العصر .. تلك أحداث مريعة لا انسانية ولكن السلطات الأسرائيلية قد نجحت الى حدٍ ما فى التكتم عليها بطريقة لا أخلاقية. وقد يتساءل القارىء لماذا لم تحرك تلك

[illegible]

[illegible] مصانع التجنيد الإجباري ... [illegible] بوقراش [illegible] Movement [illegible] بتلك [illegible] النظام [illegible] هل [illegible] مدارس [illegible] الحركة هم أيضاً مكبلون بمصانع [illegible] الصهيونية العالمية؟ [illegible]

وانعكاساً للأوضاع المستعصية القاسية التي واجهها الفلاشا في إسرائيل ورد في صحيفة هارتس Ha – Artez في يناير [illegible] م [illegible] بالرغم من انه كان واضحاً وبدون ادنى شك لجميع الجهات المعنية بإسرائيل احتمال وصول موجة كبيرة من مهاجري الاثيوبيين في أعقاب القرار الذي اتخذته حكومة بيغن لانقاذهم، الا انه لم تتم الاستعدادات الملائمة في البلاد من الناحية التنظيمية والمالية والاعلامية لاستيعابهم ....» ويمضي المقال ليقول: «... والمواطنون الذين أنيط بهم مهمة ارشادهم لم ينجحوا في إقامة أي اتصال معهم لانهم لايعرفون كلمة واحدة من اللغة الامهرية ... وطلب من الاثيوبيين تغيير اسماءهم الامهرية صعبة اللفظ الى

اسماء عبرية وكذا تغيير شريعة ديانتهم على الرغم من الاد
بانهم حافظوا على يهوديتهم بتعصب طيلة الفى عام، كذلك
منهم تحت ضغط الحاخامية التى شككت بانتمائهم اليهو
اجتياز مراسم التهويد المذلة وبشكل خاص نزف الدماء الذى
الاستياء والغليان خصوصا فى أوساط شباب الطائفة .... وينت
المقال قائلا: «... ان احد التقصيرات الخطيرة فى برنا
الاستيعاب الاسرائيلى هو العجز فى المجال الاعلامى من الجه
الحكومية كوزارة المعارف، الثقافة، مركز الاعلام ووزارة الداخ
وغيرها التى اهملت ولم تتمكن من بلورة خطة اعلامية وتنويري
أوساط المجالس البلدية والمحلية للتمهيد للاستيعاب المع
الامثالى ليهود اثيوبيا الذين بقدومهم إلينا يقفزون فوق ال
سنة من التاريخ، ولولا ذلك العجز فى الاعلام والاعداد ربما
نسمع تصريحات تعسة كتلك التى صدرت عن رئيس بلدية إيلا
راف هوخمان أو التى صدرت عن رئيس المجلس المحلى الذى اعلن
(بمسبية الله لن نستوعب مخاليق كهؤلاء) ....» وكتبت صحيف
الصنداى تلغراف The Sunday Telegraph بتاريخ ٢١ يناير
١٩٨٥م «... تتداول الالسن حالياً قصصاً مذهلة عن يهود
الفلاشا الذين تم تهجيرهم الى إسرائيل وعن الصدمة الكبرى التى
اصيبوا بها. ولعل المعضلات الحقيقة التى تواجه الفلاشا الان
ليست ناتجة عن المشاكل الاقتصادية التى تواجههم بل عدم
اعتراف الاحزاب الدينية بيهوديتهم وتعريضهم لطقوس مهينة فى
رايهم. وعند سؤالنا عن الصدمة الحضارية التى تواجه الفلاشا

لدى وصولهم إسرائيل، أجاب أحد ممثلى الجالية: ليس يصدمنا الواقع الحديث فى إسرائيل انما ما يصدمنا هو الجانب الدينى فنحن اليهود الاثيوبيين مقتنعون بأننا ملتزمون بكل تشاريع وأوامر الدين اليهودى وعند وصولنا نكتشف ان الاسرائيليين انفسهم لايلتزمون بالشريعة وينتهكون قداسة (السبات) يوم السبت، ولكنهم بالمقابل يقولون لنا انتم لستم يهوداً ويدعوننا الى العماد (الحمام) نحن الذين حافظنا على معتقداتنا لفترة ألفى عام ومن خلال نضال عنيد، يقولون لنا يجب ان تهودوا من جديد - هل يمكنكم ان تتصوروا الصدمة التى تصيبنا بأنزاف الدم أو العماد؟! فالاثنين اهانة كبرى وأى أثيوبى لايعاد تهويده لايمكنه ان يتزوج ويرفض الحاخامات دفنه فى مقابر اليهود. ولقد جهّزوا قوائم بالذين وافقوا على التهويد ليهتموا بهم وينالوا عناية خاصة اما الذين رفضوا فيواجهون اهمالاً متعمداً وتشديداً وضغوطاً لاقوة لهم حيالها ....». وكان بعض شباب الفلاشا الاثيوبيين قد هددوا علناً متضامنين بالانتحار الجماعى فى حالة اجبارهم على نزف الدماء وبسبب ضغوط بعض المسئولين الاسرائيليين القاهرة عليهم هذا بخلاف حوادث الانتحار سالفة الذكر. وكتبت صحيفة دافار بتاريخ ٢١/١/١٩٨٥م: « .. ان حوادث الانتحار اصبحت تقلق المسئولين وتزيد من مخاوفهم فى ادماج هؤلاء المهاجرين (الفلاشا) فى المجتمع الى درجة كبيرة .. » وذكر مسئول بوزارة الشئون الاجتماعية الاسرائيلية: « ..ان الجهل بلغة وعادات وتقاليد الفلاشا يجعل علماء النفس الاسرائيليين يواجهون

صعوبات شديدة في فهم وتحسس أسباب تلك التصرفات البائسة وأضاف: « انه بحسب تقديرات بعض المهاجرين الجدد يعتريهم من اليأس والاكتئاب خلال الاشهر الأولى لوصولهم الى البلاد عندما يواجهون صعوبات في التأقلم. ولكن حالات الانتحار كانت نادرة جدا حيث وصلت إلى أقل من ستة أشخاص خلال الخمس والثلاثين سنة الماضية في حين ان اثيوبيين كثيرين قد إنتحروا خلال مدة الشهور ... ».

ولقد تبين من المسح الاجتماعي الذى أجرى على يهود الفلاشا خلال وصولهم الى اسرائيل ان هناك الفاً وخمسمائة شاب وطفل قد وصلوا بدون ان تعرف لهم أسر أو أهل، وقد ارسلت هذه الفئة مباشرة الى مدارس داخلية ومعسكرات تابعة لقسم الهجرة الخاضعة لسيطرة التيار الدينى وقد رفضت الوكالة اليهودية العالمية اقتراح ادارة حركة الكيبوتزم الموحدة باستيعاب هؤلاء الشبيبة في خلاياهم المنظمة ومدارسهم بحجة ضرورة تعريض شباب يهود الفلاشا الى جو دينى مكثف يسمح لهم بتكيف اكبر في المجتمع الاسرائيلي. والشاهد ان تلك المجموعة من اطفال وشباب الفلاشا بالذات كانت سهلة القياد وفي التعامل وتمكنت الوكالة اليهودية من تطبيق برامج استيعابها عليها بدون مشقة أو عناء حيث وضعوا معزولين تماماً في مرافقهم بعيداً عن الاختلاط ببقية افراد ملتهم في مدن عسقلان ونهاريا وصفد بعد اعمال طقوس التهويد فيهم. وظلت فئة كبيرة منهم يقارب تعدادها الثمانمائة (٨٠٠) شاب يتلقون تدريبات بيادة عسكرية مركزة الى جانب تلقيهم

[illegible] الثمودية

[illegible] تعرض [illegible]

[illegible] بمصر المهاجرون عن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المميزة للسمرة والقول السمرة [illegible] الفلاشا

الاثيوبي [illegible] ومقاتلون

ومحاربين Worriors بحكم طبيعة مجتمعهم القبلي. خلقت منهم

بينهم نفسية قوية [illegible] وحرص عن درء الخطر

وكسبتهم ظروف شظف التعامل مع الطبيعة وجها لوجه ومباشرة

دونما استعمال أي وسائل عصرية أو تقنية ذكاء ودهاء وحنكة

ومقدرة هائلة على تحمل المشقة والصبر والمكابدة في أسوأ الظروف

والأحوال. يقتفون الأثر ويستقرئون المؤشرات الطبيعية الحيوية

والأركولوجية والطبوغرافية بسجية وبصيرة نافذة. يجيدون

الصيد والقنص ونصب الفخاخ ويتميزون بخفة الحركة والعدو

السريع مع تمتعهم بخاصية رهافة حاسة السمع بطريقة غير

عادية. فانسان الفلاشا يمكنه أن يتبين سمعا صوت طائرة قادمة

في اتجاه الريح قبل ربع ساعة من تمييز الانسان العادي لها تلك

الخاصية التي يمتاز بها معظم قاطني الاطراف الشمالية للهضبة

الاثيوبية ومنطقة «تلال الانقسنا» بداخل الحدود السودانية.

وعمـومـاً يعتبـر انسان الفلاشا بكل المقاييس لما يتميز به
خصائص فى الملكات والمقدرات الحركية والذهنية خامة عسكر
طيبـة قابلة للوصول الى اقصى الدرجات اذا ما عملت فيها
الصقـل والتدريب والتسليح بالاساليب الحديثة. وهنا ار
ألفت نظر القارىء الذى يتابع أشرطة الاخبار المصورة والافلا
التسجيلية حول احداث الانتفاضة الفلسطينية بالاراضى المحت
فانه حتماً سيشاهد ويميز بلا عناء عسكراً سمراً ضمن المدجج
الاسرائيليـيـن الذين يعملون قمعـاً فى مواجهـة النبل والحجار
بالبنادق الاتوماتيكيه وقاذفات الغازات السامة واللهب ... انهـ
نواة يهود الفلاشا فى القوى النظامية الاسرائيلية! وغداً فى القريـ
العـاجـل عنـدما تكتمل عمليات التأهيل الاستيعابى والتدريـ
العسكرى المركز ستواجه المقاومة الفلسطينية والجيوش العربيـ
المسلحـة عنصراً مقـاتـلاً جديداً فى صفوف الجيش الاسرائيل
التمددى وبعددية مرموقة قوامها رجال ونساء الفلاشا الاثيوبيين
الذين أستجلبوا من السودان.

ان برامـج استيعـاب يهـود الفلاشا بإسرائيل قد بدأت متعسرة وصـاحبتهـا العـديد من الاشكالات التنظيمية المعقدة والسياسية والدينية المتطرفة والتمويلية غير المحسوبة والتى كانت لجملتها آثار خطيرة مباشرة على دولة إسرائيل والكيان الصهيونى عامـة .. كان لابـد من اعـادة النظر فى كامل برامج استيعاب الفلاشا، ولابد أيضاً من ابداء مزيد من التنازلات والتعرى من ثياب الغـطرسة الصهيونية. فأُجريت مراجعة ومعالجة متأنية

لبرامج الاستيعاب وتقرر على ضوئها اجراء كثير من التعديلات واعادة تقسيم وتوزيع فئة الفلاشا وتسيير برامج استيعابهم على أسس استعدادهم الفطرى وتركيبة روابطهم الاسرية مع مراعاة كافة الخصائص النفسية والاجتماعية والحضارية التى تميزهم.
ولم يكن ذلك القرار سهلاً بأى حال فلقد تم اتخاذه بعد صراع طويل مرير فى جنبات الكنيست الاسرائيلى وعرصات الوكالة اليهودية العالمية وفى كافة دهاليز مؤسساتها المتخصصة. ولقد لعب وسط اليمين الاسرائيلى دوراً بارزاً فى الضغط على الحكومة وتمكن من تحييد القوى المتطرفة لتعبيد الطريق فى سبيل استيعاب الفلاشا بطريقة اجدى حتى يتسنى تأهيلهم وتوطينهم وانصهارهم فى المجتمع الاسرائيلى. ولقد تفردت كتلة (الليكود) بدور طليعى فى ذلك الاتجاه، وكتلة الليكود (التكتل) هى جبهة سياسية عريضة تضم تيارات متعددة التقت مصالحها المصيرية لتأتلف طوعاً فى الفكر والنهج. ويرتبط محور اليمين فى المؤسسة الحزبية الاسرائيلية كما هو معلوم بحزب (الحيروت) الذى اسسه مناحيم بيغن فى عام ١٩٤٨م، وفى عام ١٩٦٥م اندمج ذلك الحزب مع حزب (الاحرار) لتشكيل كتلة (غاحال) التى ائتلفت بدورها فى ١٩٧٣م مع حركة (العام) لتتشكل جبهة الليكود الحالية. ولقد ازداد تأييد حزب الحيروت بشكل بارز بعد عام ١٩٦٧م واتسعت قواعده الجماهيرية بين صفوف اليهود الشرقيين «السفاردزم» الذين وجدوا فيه متسعاً ومتنفساً للتعبير عن حقدهم على حزب العمل «الاشكنازى» الامر الذى احسن بيغن استغلاله لابعد

[illegible]

الصهيوني.

وتمكن أخيرا مناحيم بيغن وأنصاره [illegible] والتكتلات من إرساء قواعد سياسة وبرنامجا جديدا [illegible] الخلافات الجارية من داخل الكنيست بالأغلبية [illegible] الديمقراطيات المعاصرة في الشعوب المتخلفة والأقل [illegible] ما جاء يمكننا أن نستقرئ بوضوح مستقبل موقع يهود [illegible] من خارطة المؤسسة الحزبية الإسرائيلية. فلقد تلقفتهم [illegible] حزب حيروت وكتلة الليكود التي سهلت أمر استيعابهم واستيطانهم ليكونوا ذخرا وسندا لها في مسيرة السياسة الصهيونية التمددية.

الجباية اليهودية المعفاة من الضرائب فى الولايات المتحدة بواسـ
الوكالة لغرض الاستيطان وراء الخط الاخضر ...» كما جاء
صحيفة هارتس Ha - Artz بتاريخ ١٩ / ١ / ١٩٨٥م بقلم جدعو
آلون: « .. انه بسبب السرعة المتبعة فى عملية استيعاب الفلا
أخيراً، نجحت لجنة التنسيق بين الحكومة والوكالة اليهودية
الحصول على خمسمائة شقة (٥٠٠) مفروشة ولكن معظمها بـ
فى مدن التطويرمثل يروحام، متسبيه رامون، شلومى، ديمو
وغيرها. ولكن سارعان ما أتضح بأن رؤساء السلطات المحلية
بعض تلك المدن يعارضون إستيعاب اليهود القادمين من القار
السوداء مما حدا بالوزير يوسف شبيرا إستيعاب المهاجرين
مستوطنات يهودا والسامرة بالضفة الغربية، وقد جرى فيما بعد
تحويل عدد منهم الى كريات اربع ومعاليه ادوميم وقريباً سيحول
عدد آخر الى آريئيل. ومن الاماكن التى تقرر استيعاب يهود
الفلاشا فيها أيضاً القدس بيت يام، حى عفعات بنشر فى حيفا،
حى نفيه عوفر فى تل ابيب، كفر سابا، ناتانيا، عراد، بيت شيمش،
معاليه ادوميم فى الضفة الغربية وغيرها ....». ولقد صدرت بعض
التوجيهات فى مخاطبة ادارة رؤساء المستوطنات الذين يشكلون
مجالس التجمعات السكنية فى يهوذا والسامرة وغزة وهم
الحريصون على إستقبال اكبرعدد ممكن من الفلاشا بهدف
تطبيق مفاهيم الصهيونية ودعم سياسات الحكومة وأيضاً بهدف
استغلال الفلاشا كأيادى عاملة رخيصة للقيام بأدنى الاعمال
التى يتركونها عادة للعمال الفلسطينيين.

وبالرغم من الاعتراف بيهود الفلاشا واستيعابهم في الكيان الصهيوني عملياً بتسيير برامج الاستيعاب والاستيطان الجديدة، الّا ان يهود الفلاشا لم يركنوا الى تلك الحلول التي تبدو أكثر من مقنعة ..! فلقد عملت القوى الاشتراكية التقدمية في إسرائيل على استغلال الموقف للحدّ من هيمنة التيارات الدينية المتزمتة ولزحزحة الحاخامية التي ظلت تحتكر القرار وتؤثر بطريقة فاعلة على مجريات الامور بالبلاد. «التيارات الدينية المتطرفة هي: حركة (كاخ) التي يتزعمها الحاخام مائير كاهانا ـ حركة (شاس) - جماعة حركة (هتيحا) اى النهضة ـ جماعة حركة (موراشا) اى حراس التوراة». فقام الزملاء والرفاق وقادة القوى التقدمية بالعمل على تحريض يهود الفلاشا بان لايقبلوا باجراءات التهويد الرمزية لانها تعني ضمناً عدم الاعتراف بهم كيهود بلاتمييز ليستمتعوا بكافة حقوق المواطنة الاسرائيلية بلاقيد او شرط حيث ان إسرائيل هي التي سعت مستميتة لاستجلابهم. وعملت القوى التقدمية ايضا على تبصير يهود الفلاشا باهمية قضيتهم في الواقع الاسرائيلي وتنويرهم بحقيقة ان الحكومة التي ابدت بعض التنازلات قادرة ومؤهلة لان تسير الى اقصى مشوار التنازلات والتراجع في سبيل ارضائهم مادام وجودهم بإسرائيل وبعددية كبيرة يعني الحل الوحيد لمشكلة قصور برنامج الاستيطان التمددي بسدّ العجز في المكون البشري. وعلى اثر ذلك تقدم الحاخام الاكبر ليهود الفلاشا والذي تم الاعتراف به مؤخراً يوسف هداني Rabbi Yosef Ha. Dani (أول حاخام فلاشي

دونما اللجوء الى أىّ اجراءات اعادة تهويد أو حتى اجراء طقوس رمزية ذلك فى آخر ١٩٨٥م.

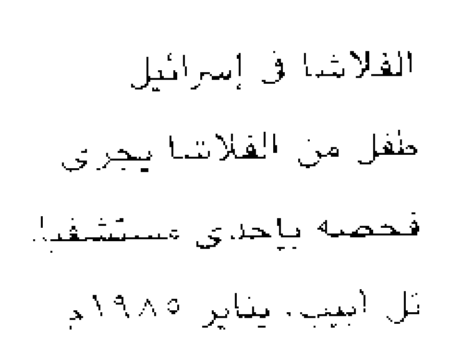
وحيث ان قضية استيعاب الفلاشا قد برزت كمسألة حادة فى تحدى السلطات الاسرائيلية ويهود العالم، فلقد أثارت سؤالاً طال الجدل والتجاذب حوله فيما يختص بيهودية الفلاشا أو انعدامها وفق المفاهيم اليهودية الاسرائيلية. ولقد جاءت الاجابة على ذلك السؤال نابعة من الواقع اليهودى الصهيونى المعقد بطريقة حتمية بالرغم من بينونة ان حقيقة «اليهودية» تقوم على العرقية لا على التبشير ..! ولذلك اضطرت السلطات الدينية أى حاخاميتا إسرائيل الاشكنازية والسفاردية مؤتلفتان بالاعتراف بيهود الفلاشا الاثيوبيين نتيجة لضغوط ظاهرة معلومة تعكس فى جملتها افلاس الكيان الصهيونى وعجزه التام فى مواصلة مخططه الرامى إلى خلق دولة إسرائيل بالاراضى العربية المحتلة لتكون ارض الميعاد المقدسة التى تضم كل شتات يهود العالم. ولكن إذا ما تم الاعتراف الفوقى البعيد عن واقع التفاعل الاجتماعى بيهود الفلاشا هل يعنى ذلك ضماناً لسهولة تعايشهم وتفاعلهم وانصهارهم فى المجتمع الاسرائيلى؟! .. هل سيكونون احد عناصر التوتر العرقى فيه الى جانب الحساسيات المتنامية بين اليهود الاوربيين واليهود الشرقيين؟ .. ام سيكونون عنصراً رخيصاً مسخراً لدفع سياسة استيطان الاراضى المحتلة خطوة أخرى الى الامام بزيادة المكون البشرى الاسرائيلى؟! ولعلنا لسنا بصدد التكهن فى هذا المقام بقدر اهتمامنا بصدق نقل السيرة والخبر

والظاهرة وما تفصّد عنها من احداث ووقائع.

إن المأساة لتكمن في ان الفلاشا الاثيوبيين قد بُدّل مصيرهم وقدرهم ومهما يكون من امر فان كل المؤشرات تشير الى انهم متى ما وصلوا بمرور الزمن الى مستوى من التجربة والادراك والوعي فحتماً سيكونون السابقين على درب الهجرة العكسية والهرب لخارج إسرائيل، فالانسان الافريقي عامة وانسان الفلاشا خاصة بما له من خصائص وتركيبة نفسية مميزة، إنسان تشده الجذور ومرتبط وجدانياً بالماضي اكثر من الحاضر، محب للانطلاق في محيط بيئته الطبيعية والاجتماعية، مجبول على ممارسة الحياة بالسجية، فطري السلوك ومتى ما وجد نفسه مكبلاً بقيود اللافطرية ومحروماً من التعامل مع الطبيعة وحياة الجذل والمرح والانطلاق، تختنق مشاعره وتنقبض تطلعاته - فإما أن يموت مكتئباً لا إرادياً (بمرض الحنين للأوطان - Home Sickness) وهو مرض سلوكي معروف ومثبت وجوده في الغرب من خلال تجارب حياة الطلاب الافارقة والمغتربين، وإما أن تتشدد الجذور فيقلع عائداً الى دياره. ولقد ورد في أخبار الفلاشا الاثيوبيين باسرائيل مؤخراً أنهم اصبحوا يعانون بطريقة ملموسة من اعراض الاكتئاب ويتداولون ويتناقلون ترديد آخر اغنية غناها مغنيهم المشهور ديفيد بن هايلي، وعند ترديدهم لتلك الاغنية ينفعلون ألماً وحسرة على حالهم. ولقد تغنى ديفيد بن هايلي بآخر اغنياته التي وجدت طريقها للانتشار الواسع في أوساط الفلاشا باسرائيل وهو على فراش الموت بمدينة القدس بعد أن أصيب







الفلاشا فى إسرائيل
طفل من الفلاشا يجرى
فحصه بإحدى مستشفيا
تل ابيب. يناير ١٩٨٥م



الفلاشا فى اسرائيل : اسرائيلى يرحب باحد القدامين
من الفلاشا ـ تل أبيب مارس ١٩٨٥م



الفلاشا في اسرائيل - فتاة اسرئيلية تلقن اطفال
الفلاشا دروس في اللغة العبرية



الفلاشا في اسرائيل . بعض اطفال الفلاشا في احد
مراكز التأهيل الاسرائيلية


WE ARE JEW
IKE YOU





تظاهرات احتجاج الفلاشا على سوء معاملتهم في إسرائيل

الباب التاسع

المحصلة

عندما أثيرت محاكمات قضية الفلاشا العلنية بالسودان في ٢٦ اكتوبر ١٩٨٦م والتي وجهت فيها تهمة الخيانةالعظمى وعدة تهم جنائية اخرى لبعض من الافراد السودانيين، قام تلفزيون جمهورية السودان بتغطية وبث جلسات المحاكمات العلنية كاملة. وجلس مئات الالاف من السودانيين والنزلاء على مدى أربعة اشهر متتالية يتابعون في كل ليلة مشاهدة جلسات المحاكمات المثيرة وهم لايكادون يصدقون ماشاهدوه ومانقله اليهم التلفزيون السوداني من معلومات وحقائق مذهلة. غير ان جملة المعلومات التي وردت في حيثيات المحاكمات قد اقتصرت على النواحي القضائية بحكم الحالة، ولم تخرج من اطار «التجريم» الذي ساقته هيئة الاتهام بكل الدلائل التي توفرت لديها، واطار «التبرئة» الذي اقامته هيئة الدفاع مشفوعاً بما قدمته من حجج. وحيث ان عملية نقل يهود الفلاشا قد نفذت بأساليب مخابرات مستحدثة وتمت تحت ستار

[illegible]

[illegible] ... WORKS [illegible]

فى [illegible] والمؤيدة [illegible] مع [illegible]

[illegible] مبادىء [illegible] الاسلام [illegible]

[illegible]

[illegible] وبالتالى [illegible] الدول [illegible]

[illegible] العالم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] السودان [illegible]

[illegible] عناصرها [illegible]

[illegible] والرئيس السابق جعفر نميرى كان من الرؤساء العرب القلة الذين سارعوا لتأييد ومباركة إتفاقية كامب ديفيد فى سبتمبر [illegible] شاذا بذلك عن وحدة صف الاجماع العربى ومنحازا الى مصر والولايات المتحدة الامريكية ومصالح اللوبى الصهيونى فيها منطقة الشرق الاوسط والوسط الافريقى تحت وصاية حكومة السادات. وبقدر ما استفادت جمهورية مصر العربية من اتفاقية كامب ديفيد فائدة مادية كبيرة مقصورة عليها امتدت الى ما بعد مرحلة تطبيـع العـلاقـات مع الكيان الصهيونى وفائدة باعادة أراضيها المغتصبة وفى إزالة آثار العدوان الاسرائيلى عليها واعادة تنشيـط مواردهـا، كان نصيب السودان برئاسة جعفر نميرى

ومعاونيه الفتات بل تضييق الخناق الاقتصادى عليه والمحاصـ
السيـاسية على مستوى العلاقات الخارجية. ففي الوقت الذ
كانت تشير فيه تقارير المراقبين الى ان جمهورية مصر العربية قـ
أصبحت الدولة الثانية في العالم الثالث من بعد إسرائيل كاكبر
دولة متلقية للعون الامريكي، كان جعفر نميري يكثر من الحج إلى
الاقصر والقـاهرة لاهثاً مستجدياً العون ثم يذهب بعد ذلك إلى
واشنطن ليتلقى منها الفتات بعد تزكية القاهرة له.(المساعدات
الامريكية لجمهورية مصر في الفترة ما بين ابريل ٧٧ ـ ١٩٨٧م
بلغت ٢٢ مليـار دولار اعتمدها الكونجرس من صندوق الدعم
الاقتصادى الامريكي، اضافة الى معونات خاصة من صادرات
قمـح ومـواد غذائيـة منحت بمـوجب قانون فائض الحاصلات
الزراعية رقم ٤٨٠، هذا اضافة الى مساعدات قدمت في شكل
تسهيـلات وضمانات بنكية لاغراض الاستيراد والتصدير ـ اما
الديون العسكرية بخلاف المساعدات فقد بلغت ١٢ مليار دولار
امـريكي / ورد تفصيـل ذلك في مذكرات وتقارير الدكتور وليام
كوانت مستشار الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر لشئون
الشرق الاوســط) ونسبـة لافتقاد النديّة المتعمد منذ البداية في
عضوية المحور بين السودان ورصفائه وأسلوب الوصاية الذى
فرض عليه، إنقلبت علاقته بداخل المحور ـ بدلاً من أن تكون
زمالة وعضوية ـ الى نوع من التبعية والذيلية. وأصبح السودان
تابعـاً مكبـلاً بالضغـوط السيـاسيـة والاقتصادية يمنّى بوعود
الانفـراج الاقتصادى وتدفق العون الامريكي الذى يرجى منه

شفاء أنيميا إقتصاده فوقع بذلك فى شباك الفلب والعوز وأصبح يؤمر فيطيع ويوجه فيلين حتى وصل الحال بجعفر نميرى ومعاونيه تحت الضغوط والمحاصرة والعزلة السياسية الى تنفيذ كل سياسات المحور الامريكى كشيء مسلّم به فى مناهضة محور (ليبيا ـ أثيوبيا ـ اليمن). بل تحت الوصاية أُستغلّ جعفر نميرى ودفع لتوجيه إعلامه بشن حرب اعلامية ساخنة ضدّ الجماهيرية الليبية علماً بأن المعارضة السودانية (الجبهة الوطنية) المناهضة لنظام جعفر نميرى قد تم جلاؤها من ليبيا وعادت للسودان فى ١٩٧٩م ودخلت فى مصالحة مع جعفر نميرى الذى منّ عليها بالعفو العام. بل تمادت حكومة الرئيس السابق جعفر نميرى وبأيعاز من الولايات المتحدة بالتدخل السافر فى شئون الصراع التشادى بينما السودان دولة ذات سيادة وموقعة على مواثيق منظمة الوحدة الافريقية .A. O. U التى تمنع التدخل فى الشئون الداخلية للدول الافريقية. ولقد كانت كل الظروف والأجواء السياسية مواتية وبكل المقاييس لنظام جعفر نميرى ومعاونيه للاستفادة القصوى من المحور الامريكى لما قدموه من خدمات ومانفذوه من سياسات خدمت اطراف المحور الاخرى بطريقة خرافية، ولكن بدلاً من ذلك كان القعود عن مصلحة السودان العليا حتى تردت حالة التبعية العمياء والذيلية الى تسفّل التعاون فى نقل يهود الفلاشا الى إسرائيل مشاركة وتنفيذاً فى ذلك المشروع الصهيونى الخطير ليخسر السودان حكومة وشعباً خسارة فادحة من الصعب تقديرها كماً أو كيفاً وليخط السودان فى تاريخ

بعلاقات [illegible] الدولية بمنطقة الوسط الافريقي سابقة تصفية [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السيوعية [illegible] ونقد [illegible]
الافريقي بنفسه هذا [illegible] مستهدف [illegible] [illegible] الصر[illegible]
مرة الاولى في الحرب [illegible] [illegible] [illegible] دولة [illegible]
مع [illegible] صهيوني ودولة اسرائيل ضد [illegible]
[illegible] علاقات [illegible] الارض الفلسطينية [illegible]
[illegible] للاصدقاء العرب [illegible] نفي [illegible] [illegible] او [illegible]
[illegible] الصهيونية في دولة اسرائيل بعد ذلك اقتلاع [illegible]
مواطن فلسطيني من بيته وارضه التي ولد بها وطن [illegible]
[illegible] [illegible] على حد على مدى الفين وخمسمائة سنة [illegible]
فلسطين ظلت بلاد عربية معروفة الهوية منذ زمن لا يقل [illegible]
الفين وخمسمائة عام وظلت عربية لزمن اكثر من ذلك [illegible]
سكان فلسطين اقواما رحلا بطول تاريخهم الضارب في القدم [illegible]
يقال ان ارضهم كانت ارض مراع طلقة حلالا على كل عابر [illegible]
كانوا أهل حضارة وتمدن وطبعوا البلاد بطابعهم العربي الاصيل
واسم فلسطين لا يدل الا على اسم سكانها الاوائل الذين لم يكونوا
من اليهود، وحتى عند غزو اليهود لفلسطين ولوقت قصير بقيادة
يشوع بن نون لم تشمل سيطرتهم اراضي فلسطين باسرها وبالتالي
لم يكن تاريخ العبريين في فلسطين الا فصلا واحداً قصيراً جداً في
تاريخه طويلة متعددة الفصول. إن دعوى اليهود باحقيتهم في
فلسطين دعوى باطلة بفهم التاريخ وخاسرة بحرب حدّ السيف لان
أصل الدعوى الصهيونية قائم على أساس العقيدة الدينية وهذه

لاتعتبر ... معبار ملزمة لامتلاك أرض ولقد قال في هذا الصدد
الكاتب الانجليزي الشهير ويبر ... ان هذه الدعوى صحيحة لا
سنيمر ... الحكم ... لم يكن سوى رئيس عشيرة متنقلة مترحلة ...
مملكة لم تكن سوى مملكة صورية قائمة بين فينيقيا ومصر
(٤) الهجرة الى إسرائيل هي السلاح ... الفتاك الذي ...
يرعرع وينشر القوم الفلسطينيين من ضياعهم ومدنهم وقراهم
وتحتل الهجرة الى اسرائيل اهمية قصوى ويشكل مرموقة في ...
الاحزاب الاسرائيلية والمنظمات الصهيونية المنتشرة في العالم ...
هي اكثر اهمية بالنسبة لهم باعتبار الهجرة هي الدرع الواقي
وصمام امان الاستمرار والبقاء في الاراضي العربية المحتلة وهذه
الحقيقة تظهر لنا جلياً خطورة جريمة نقل الفلاشا وبشاعتها من
خلال تأثيرها المباشر على الموقف العربي حيث ان المهجّرين من
الفلاشا الى إسرائيل سوف يسخرون لتقوية إسرائيل بزيادة تعداد
سكانها وبضمهم الى الجيش الاسرائيلي مما يشجع الاعتداء على
الامة العربيه ويؤثر في ميزان القوى الاسرائيلية في مقابلة القوى
العربية . ويكفي أن الخمسة والعشرين الفا من الفلاشا الذين تم
تهجيرهم سرا من السودان الى إسرائيل يساوى عددهم ثلث عدد
اليهود الذين هاجروا الى إسرائيل منذ عام ١٩٧٠م فكانوا خير
دعم وسند لاسرائيل وتعويضا مباشرا لها من جراء النزوح
والهجرة العاكسة التي تآكل داخلياً وتهرىء في الكيان الاسرائيلي .
(٥) ان عملية نقل يهود الفلاشا الى إسرائيل من ناحية لاتخرج
باى حال في مجملها عن كونها نتاجا وصورة (حديثة) للتغلغل

الصهيونى فى افريقيا، (فقديماً) وبعد ظهور الوجود الاسرائ[illegible]
المشرق العربى بعد حرب ١٩٤٨م كوجود مفروض بالقوة
الاستعمار القديم مازال مخيماً على قارة افريقيا مستغلاً لخ[illegible]
ومستعبداً لشعوبها. ولم يكن هناك مجال فى ذلك الوقت لان تد[illegible]
الصهيونية وإسرائيل فى سباق المستعمرات بأفريقيا حيث [illegible]
فيها استعمار مسبق يعى مصالحه فى تلك البلاد ويتمسك [illegible]
جيداً بحق الفتح. وفى عام ١٩٥٥م كانت بداية إشراقة سنو[illegible]
الاستقلال فى إفريقيا حيث ظهرت فيها فقط ست دول مستقل[illegible]
وفى عام ١٩٦٨م ارتفع عدد الدول المستقلة الى خمس وثلاث[illegible]
وبحلول عام ١٩٧٢م وصل عددها الى اثنين واربعين دولة. و[illegible]
إلتفتت إسرائيل نحو إفريقيا مع اشراقة سنوات الاستقلال [illegible]
مسلطة عليها سياساتها التغلغلية والتى كانت تقوم على ثلا[illegible]
مراعم أساسية هى فى الوقاع مفاتيح دخولها فى افريقيا ويمك[illegible]
تلخيصها فى الآتى.

[أ] ان إسرائيل دولة ديمقراطية صغيرة تنتمى الى العالم الثال[illegible]
بمشاكلها وطموحاتها الشبيهة بالمشاكل والتطلعات الافريقي[illegible]
الجديدة - وهذا زعم يوحى بالزمالة والرفقة على طريق المستقبل
الجديد.

[ب] ان إسرائيل معنية بالمساهمة فى تنمية اقتصاديات إفريقيا
وتقدمها بسبب سابق تجربتها التنموية وتطورها الاقتصادى -
وهذا طرح يوهم بالتضامن والتكامل والاخاء.

[ج] ان إسرائيل تعى وتتفهم بل تشارك الأفارقة فى معاناتهم

العنصرية لأن الاسرائيليين انفسهم قد عانوا فى تاريخهم كثيراً من التفرقة الدينية ـ وهذا شعور يبشر بالمعايشة ومشاركة الوجدان ووحدة المصير. ولما كانت الدول الافريقية المستقلة حديثاً بحاجة الى الدعم والمساعدة وتمدّ أياديها الى كل من يعمل على ذلك، كانت إسرائيل تسارع دائماً الى الاعتراف السياسى بالدول الأفريقية المستقلة وتبارك التمثيل الدبلوماسى معها دون شروط مقيدة. وكانت ليبريا أول دولة إفريقية تعقد معها إسرائيل معاهدة صداقة وتعاون ومن بعدها أثيوبيا. ثم دارت عجلة التغلغل الصهيونى (القديم) فى افريقيا على مدى السنوات من ١٩٥٧م الى ١٩٦٧م. وعملت إسرائيل على تنشيط بعثاتها الاستطلاعية والتمددية التى كانت ترسلها إلى الدول الافريقية حتى بلغت علاقاتها الذروة فى عام ١٩٦٧م إذ اقامت حتى ذلك التاريخ علاقات دبلوماسية وابرمت إتفاقات إقتصادية مع اثنين وثلاثين دولة إفريقية إضافة الى تمثيل قنصلى فخرى مع خمس دول افريقية اخرى. ولقد شكلت البعثات الاسرائيلية الفنية اهمية خاصة فى خلق إطار التسلل والتغلغل الاسرائيلى فى إفريقيا، حيث إرتفع عدد البعثات الاسرائيلية العاملة بالدول الافريقية من خمس وعشرين بعثة فنية فى عام ١٩٥٨م الى اربعمائة وثمانين بعثة فى عام ١٩٦٧م ..! وفى ذلك الصدد قال بن غوريون فى المؤتمر الصهيونى الخامس والعشرين: « ... إن مستقبلنا الاقتصادى وموقفنا الدولى يعتمد على طبيعة الروابط السياسية والاقتصادية التى ننجح فى اقامتها مع الاقطار الأفريقية والأسيوية ...».

[illegible]

... الافريقية ... [illegible] ... الإسرائيلية ... [illegible]

... الأفارقة ... إسرائيل ... [illegible] ... الرأى العام الافريقى ...

... الزعماء الأفارقة ... إسرائيل ... [illegible] ... ولكنهم ما لبثوا أن افاقوا على الواقع المرير ...

... نكروما رئيس الوحدة الافريقية مثلاً على ... [illegible]

وحميمة بإسرائيل ولعدة سنوات ... جومو كنياتا يقول مخاطباً اليهود ... لقد بنيتم دولة يهود قدموا من كافة أنحاء العالم ونحن بدورنا راغبون فى بناء دولة كينية واحدة قوية ...

... أمـا ماديبوكيتا فقد قال: ... ان إسرائيل مكة جديدة بالنسبـة لافـريقيـا ...». وكـان عام ١٩٧٣م عام الانحسـار الصهيـونى حيث بلغ فيـه عدد الدول الافـريقية التى قطعت علاقاتها مع إسرائيل تسعاً وثلاثين دولة وكانت تلك نهاية التغلغل الصهيـونى (القـديم) فى إفريقيا، إذ فشلت إسرائيل فى تنفيذ التزامـاتها مع الدول الأفريقية وتنبه القادة الأفارقة إلى واقع علاقـاتهم الميئـوس منهـا مع إسرائيل وكشف الوعى الافريقى مواقف إسرائيل إزاء كثير من القضايا الافريقية : فقد صوتت

إسرائيل ضدّ إستقلال الجزائر في عام ١٩٥٦م - وعارضت مشروع الامم المتحدة لاجراء الانتخابات العامة في الكمرون عام ١٩٥٩م - وشارك خبراؤها العسكريون في مقتل الزعيم الافريقي باتريس لوممبا - كما وقفت إسرائيل ضدّ منع فرنسا من إجراء تجاربها النووية في الصحراء الكبرى الافريقية - وامتنعت عن التصويت لمنح الأستقلال لكل من تنجانيقا وروانـدا وبرونـدى - وكذلك كانت مواقف إسرائيل المخزية في مأساة جنوب السودان وأزمة الكنغو والحرب الأهلية في نيجيريا ومساعداتها لكل الحركات الأنفصالية في إفريقيا ودعمها للأستعمار البرتغالي ضدّ انغولا وموزمبيق وغينيا بيساو وتعاونها الوثيق مع النظام العنصري في جنوب إفريقيا.

كان جلاء التغلغل الصهيوني المباشر (القديم) من افريقيا في عام ١٩٧٢م، ولكن سرعان ما عاد خلفاً له التغلغل (الحديث) متسللاً الى إفريقيا مع بداية عام ١٩٧٣م متدثراً خلف سياسات جديدة ونافذاً من خلال أساليب مستحدثة ذات اهداف قريبة وبعيدة. ومن الأهداف المعلومة والسياسات الموجهة للتسلل الصهيوني الحديث في إفريقيا:

(١) العمل على كسر حصار المقاطعة العربية - الأسرائيلية التي أضرت كثيراً بأقتصاديات إسرائيل وأدت الى خروجها من الأسواق الافريقية بكل خيراتها - وفي هذا الاتجاه تقوم إسرائيل بتأهيل شركات تجارية وصناعية وبيوت خبرة فنية ومؤسسات تمويل ذات منشأ وأصل إسرائيلي بالاتفاق الباطن مع دول غربية بحيث أن تحمل تلك المؤسسات والشركات السمات والماركات

التجارية وهوية دول غربية من التى تجد قبولاً فى الاسو
الافريقية خارج نطاق حصار المقاطعة العربية. وتقوم
المؤسسات والشركات المغشوشة المنشأ بتقديم خدماتها فى إفري
مقابل الحصول على المواد الأولية بأرخص الأسعار.

(٢) تقوم إسرائيل بدور الوسيط فى المصالح الاقتصاد
لدول ذات إقتصاد متطور مع الدول الافريقية ذات الاقتص
المتخلف وذلك بتسخير امكانياتها الاستشارية والعمل على إقنا
الدول الأفريقية والأنظمة الحاكمة فيها واستدراج قادتها بتبن
الافكار والمشروعات التنموية المرتبطة بمصالح تلك الدول ذا
الاقتصاد المتطور من خلال قنوات التمول والصناديق الغرب
وبتقديم مساعدات فى شكل هبات أو قروض بعيدة الاجل
وإسرائيل تتمتع بمرونة الحركة فى ذلك المجال كوسيط بموجب
اتفاقيتين مع مجموعة السوق الاوربية المشتركة (إتفاقية
٣١/٣/١٩٧٣م - واتفاقية ١١/٥/١٩٧٥م). والأن هناك
مشاريع ضخمة وكثيرة ومتنوعة منتشرة فى بلاد افريقية فى مجالات
تقنية الكهرباء الحرارية والهيدورولوجية وفى بناء السدود
والهندسة المدنية والأنظمة الحديثة فى الأتصالات السلكية
واللاسلكية والسكك الحديدية وفى مجالات الزراعة والتصنيع
الزراعى (صناعة السكر) والتعدين والطيران والتدريب كلها تقوم
على لبنات صهيونية مستترة.

(٣) تسهر إسرائيل على بقاء المصالح الأمريكية فى إفريقيا
بالمشاركة فى تنميتها والتأمين على سلامة إستمراريتها من خلال

المحاور السياسية والاتفاقيات السريّة حيث أن للوبى الصهيونى دوراً فعــالاً فى السيــاســة والأدارة الامريكية ومن خلاله تصل إسرائيل الى كثير من مراميها فى افريقيا ـ وما الدور الكبير الذى قامت به الولايــات المتحــدة الامــريكيــة فى عملية نقل الفلاشا الجماعيًا الى إسرائيل الأ تجسيد لنوعية تلك السياسات.

(٤) خدمة الأمبريالية العالمية فى مواجهة حركات التحرر الوطنى الأفــريقية والتصدى لاحتمالات الأنفجارات السياسية التى تستهدف تصفية المواقع الأقتصادية والأستراتيجية التى تهم الأمبريالية العالمية. ولعل ما يجرى فى جنوب افريقيا وكذلك محاولات تكميم فاه الجماهيرية الليبية والأعتداءات المتكررة عليها ماهى الاّ صورة معاشة لتلك السياسات الغاشمة.

(٥) مساندة حركات التمرد والشرذمة والقوى الأنفصالية فى افريقيا ودعمها مادياً وعسكرياً على أمل الهيمنة عليها فى حالات نجاحها فى قلب أنظمة الحكم أو إقتطاعها لأقليم من دولة لتقيم عليه دولة جديدة.

(٦) الاندساس والنفوذ الى المجتمعات الديمقراطية وكذلك الشمولية عن طريق التعاون مع الاحزاب السياسية الحاكمة فيها بدعمهــا ودعم الشخصيــات القيــاديــة فيها عن طريق وسطاء ومناديب الموساد الذين يعملون تحت ستار سفارات وقنصليات بعض الدول الاجنبية فى افريقيا. وينطبق الحال أيضاً بالنفوذ إلى بعض دور النشر الأفريقية والصحف ورءوس الاعلاميين الافارقة. كمــا تقوم إسرائيل أيضاً بممارسات الهيمنة على بعض العلماء

والنابغين الأفارقة الذين يؤثرون فى الحياة العامة بمجتمعاتهم وفى صنع القرارات والتوجهات القومية ببلادهم.

ان أدوات التسلل الصهيونى (الحديث) فى إفريقيا أسلحة فتاكة غير مرئية وتعمل وفق أحدث الاساليب المتطورة، فبجانب الأجهزة المتخصصة فى إسرائيل التى تقوم بمتابعة النشاط الصهيونى فى إفريقيا والأشراف على تنفيذه كوزارة الخارجية الاسرائيلية واداراتها المتخصصة وجهاز (أجاف مودعين) المخابرات العسكرية، و (الشين بيت - الامن الاسرائيلى) والمخابرات الاسرائيلية (الموساد) بمناديبه وعملائه الذين يعملون من داخل افريقيا - هناك مؤسسات اخرى تعنى بأمر التسسل فى افريقيا حيث تقوم تلك المؤسسات بتجميع المعلومات Data والاحصائيات الدقيقة عن الدول الأفريقية ونشاطاتها فى كافة المجالات ويجرى تحليل وتخزين تلك المعلومات فى العقول الالكترونية للاستعانة بها فى رسم سياسات التغلغل وصنع القرارات. ومن المؤسسات المعروفة التى تضطلع بمثل ذلك الدور فى إسرائيل: معهد وايزمان للعلوم - معهد التخنيون - منظمة هداسا - مركز جبل الكرمل الدولى للتدريب - الجامعة العبرية - ادارة البحوث الأستراتيجية الأسرائيلية - ادارة أبحاث الموساد وادارة ابحاث الشين بيت. وتقوم تلك المؤسسات وغيرها بجمع المعلومات والبحوث والاحصائيات من كافة المراصد والجامعات والمرافق الاكاديمية والعلمية المنتشرة فى العالم التى تتعامل فى الدراسات والبحوث الأفريقية والأفرو - أسيوية لتوظف تلك

المعلومات والتى قد تحوى ادق أسرار الدول الافريقية فى رسم السياسات الصهيونية الموجهة وتسخر فى تخطيط وتنفيذ كل أعمال التغلغل الحديث فى افريقيا.

(٦) إن عمليتى موسى وسبا وجملة العمليات السرية التى سبقتهما والتى تم من خلالها نقل عدة ألوف من الفلاشا الاثيوبيين الى فلسطين المحتلة، تؤكد استمرارية إسرائيل فى تطبيق مشروعاتها التمددية وبحثها عن أساليب جديدة لتحقيق أهدافها التى من أهمها زيادة الهجرة الى إسرائيل. فمن خلال ذلك العمل سعت إسرائيل الى تهجير الفلاشا بأساليب متطورة تطلبت مشاركة دولية وشبكة علاقات معقدة بين الصهيونية وحلفائها فى منطقة الوسط الافريقى حتى تمكنت من تهجير واستيعاب وتوطين ماينيف عن الخمسة والعشرين الف مواطن أثيوبى من الفلاشا بفلسطين المحتلة. ويقدر المراقبون وبعض بيوتات المال بأن إسرائيل قد أنفقت مبلغ مائتى مليون دولار امريكى على ميزانية (تدبير وترحيل) الفلاشا ومبلغ ستمائة وخمسة وعشرين مليون دولار أمريكى على ميزانية (استيعابهم وتوطينهم) ..! ولعل نتائج العملية فى جملتها تبدو هزيلة مقارنة بالمبالغ التى صرفت عليها لدرجة أن يصبح التمييز صعباً بين المكسب والخسارة خاصة وإسرائيل دولة ظلت تعانى منذ أمد بعيد من ضائقة مالية وظروف اقتصادية متعثرة. فالاقتصاد الأسرائيلى كما هو معلوم يعانى من مشاكل أساسية مرتبطة بحالة عدم الأستقرار الداخلى بالبلاد

زيادة على غياب البنيات الأساسية الضرورية للتنمية فى ظل الاوضاع الراهنة برغم من وجود لبنات الأرتكاز المحلى المبشرة، وما إمكانيات إسرائيل التجارية والصناعية خاصة فى مجال التقنية التى تبدو ذات حجم ملحوظ الاّ ظاهرة إقتصادية غير معافاة خلقتها ضرورة دفاعية عسكرية وتغلفت فى اسلوب (إنتقال المعرفة التقنية» Transfer of Technical Knowhow) المعروف فى الأقتصاد الحديث. إن الاسواق العالمية تشهد بأرتفاع أسعار المصنوعات الأسرائيلية التى لاتجد سبيلاً للمنافسة على طريق العرض والطلب والبيع الحر أو المقايضة حتى فى نطاق السوق الأوربية المشتركة التى تدعمها. ان دولة إسرائيل دولة مستهلكة من الدرجة الاولى وليست منتجة، ففى أبحاث الأقتصاد الأسرائيلى نجد أن قطاع (الدفاع) يمتص بصفة مستديمة متصاعدة حوالى (٦٤٪ الى ٧٠٪) من مجمل الدخل القومى القائم على الهبات وما تجمعه الصناديق اليهودية وعوائد استثماراتها المنتشرة فى العالم، وتبقى فقط نسبة (٣٦٪ الى ٣٠٪) مقسمة بين مدفوعات التنمية والخدمات التى تسدّ فجوتها دائماً بالاستدانة. ويشكل الدين الخارجى المتفاقم عبئاً ثقيلاً على الأقتصاد الأسرائيلى لتكتمل المعادلة الحتمية فى مثل تلك الحالات بالارتفاع الكبير فى مستوى الاستهلاك وما يتبع ذلك من زيادة فى الطلب على السلع الاستهلاكية وكذا الارتفاع فى مستوى نفقات الانتاج، وعدم تقيد العمالة بشروط الاجور لتبقى علاقات الانتاج فى حالة تأزم مستديمة والتى تزيدها تفاقماً بأسرائيل العمالة الفلسطينية

بمـا تثـيره من إضطرابات متصلة وعصيان واضرابات متكررة وبـرغم الحـال العسـير نجد ان الحكومة الاسرائيلية واضرورة استـراتيجية تركز بصفة خاصة على قطاع الصناعات الحربية وتـوليـه المسـاعـدات والتشجيع، اذ تهتم بالصناعات الحربية (تعـديـل المصنـوعات الحربية الغربية) التى تزود بها قطاعها العسكرى بما يحتاجه من معدات وسلع بدون أن تعمل فى حقل تنميـة الصناعات التى تنتج السلع المتعلقة بالأعاشة وخدمات المواطن حيث يسجل معدل الانماء والأنتاج الزراعى باسرائيل فقط نسبة (٢٪ الى ٣٪) سنوياً ـ اذن ماهى الحكمة؟ وما هو المبرر الذى جعل إسرائيل تتكالب وتستميت بكل ما ملكت من طاقات فى إستجلاب عدة ألوف من الفلاشا الاثيوبيين الى الأراضى العربية المحتلة وتصرف على ذلك المشروع بتلك الطريقة الخرافية؟! .. إن لكـل جريمة دافعاً وحافزاً يقف خلف نسيج مأساتها. ودوافع إسرائيـل والكيان الصـهيونى مسنوداً بالامبريالية العالمية كانت واضحة ومعلومة منذ البداية، بل ان الدافع فى حد ذاته كان يمثل حلًا ضرورياً لازمة وظروف محلية ضاغطه بإسرائيل؛ فعندما بدات الهجـرات اليهودية المنظمة الى فلسطين بعد عام ١٩٤٨م كان الدافع والهدف هو العودة إلى الارض الموعودة لجمع كافة شتات يهـود العـالم بدولة إسرائيـل المشادة على الاراضى الفلسطينية المغتصبة. وعندما قامت إسرائيل لم يواجه حكامها ولا الصهيونية العـالمية كثيراً من المتاعب من أجل ترغيب اليهود وحملهم على الهجرة إلى الدولة الجديدة، غير أن الحالة لم تستمر كما ارادها

زعماء الصهيونية فقد عاد الكثير من المهاجرين الى إسرائيل يتركونها ويعودون فارين الى اوطانهم الاصلية ـ وبرزت ظاهرة (الهجرة العكسية) بصورة سرية اولاً ثم تفاقمت سريعاً حتى أصبحت بصورة علنية مجسمة. ان تطورات الصراع العسكري العربي ـ الاسرائيلي ونشاط العمل الفدائي الفلسطيني وانعكاساته على مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية كان له بعيد الاثر في تصاعد الهجرة العكسية بطريقة حادة. ولقد كانت إعترافات وتحذيرات وزراء الاستيعاب الاسرائيليين ناقوس خطر يدق صداه يوماً بعد يوم بإعلاناتهم ومذكراتهم المتواصلة المتكررة حول تضاؤل عدد المهاجرين الى إسرائيل وارتفاع عدد النازحين منها. ولقد قال ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في ذلك الصدد بتاريخ مارس ١٩٧٣م: (.. لم تواجه إسرائيل أبداً منذ قيامها وعلى الرغم من الازمات الكثيرة وضعاً بمثل الصعوبة والتعقيد والخطورة التي تواجهها في وضعها الحالي، لقد بدأت عمليات تآكل حقيقية في قوتنا الداخلية لم يتوقعها اكثر الناس تشاؤماً، ففي الوقت الذي تحتاج فيه إسرائيل الى مزيد من المهاجرين الجدد لتمكين عمليات الأستيطان والتعمير والدفاع تبرز ظاهرة النزوح الى خارج إسرائيل ..). ويقول بنحاس سابير من رئاسة الوكالة اليهودية العالمية: « .. ان عدد النازحين من إسرائيل خلال الاعوام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨م كان ٨٥٠٠ نازح ـ وفي عام ١٩٧٢م ١٢٢٠٠ نازح ـ وفي ١٩٧٤م قفز العدد الى ١٩٠٠٠ نازح، واقد عرفنا من

[illegible] اليهود [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] إسرائيل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أيها الحال، فقد [illegible] على

[illegible] مع قدرتها [illegible] ولكن [illegible]

[illegible] العمل الفدائي الفلسطيني [illegible] الشعبية و [illegible]

[illegible] الأراضي المحتلة [illegible] سوءاً [illegible]

[illegible] اليهود [illegible] في الحرب [illegible]

[illegible] الحياة في إسرائيل إلى خارجها وحتى المهاجرين من اليهود

[illegible] الذين لم تنقطع هجرتهم إلى إسرائيل [illegible]

اليهود [illegible] الدول [illegible] إسرائيل

[illegible] عمليات النزوح [illegible]

[illegible] إسرائيل [illegible] العربية [illegible]

[illegible] إسرائيل بعد [illegible]

(٧) إن (الهجرة العكسية) تعنى فشل وكساح المشروع الصهيونى القاضى بأنشاء دولة جامعة لشتات يهود العالم بالاراضى العربية المحتلة الشيء الذى لمسته القيادة الاسرائيلية والصهيونية العالمية، فكانت المعالجات اليائسة البائسة لزيادة الهجرة الى إسرائيل لرفع معدل تعداد سكانها المتناقص وجلب الرجال الذين يعمرون مستعمراتها ويدافعون عنها وذلك بالبحث عن مصادر جديدة لجلب مهاجرين جدد حتى ولو كانوا من أثيوبيا بأفريقيا. وبجلب الفلاشا الاثيوبيين الى إسرائيل يقوم الدليل الدامغ الذى يشهد على فشل إسرائيل فى إستقطابها لشتات يهود العالم، ويقوم الدليل أيضاً على افلاسها وتخليها مرغمة عن غطرستها ورضوخها بتبنى مواطنين أفارقة سمر بمنحهم الجنسية الاسرائيلية بالرغم من معارضة الرأى العام اليهودى للفكرة ومحاربته لها ليتخلى اليهود بذلك مرغمين عن أوهامهم ومعتقداتهم بأنهم شعب الله المختار وأصحاب النقاوة العرقية التى تميزهم عن كافة البشر. وبثبوت حقيقة جلب الفلاشا والاعتراف بهم وتبنيهم كمواطنين إسرائيليين ينشأ معلم جديد ومؤشر خطير فى تاريخ الصهيونية ودولة إسرائيل وهو أنها بعد فشلها الذريع فى إستقطاب شتات يهود العالم نجدها فى يأسها قد فتحت لاول مرة أبواب هجرتها على مصراعيها لكل من يريد الهجرة اليها بغض النظر عن هوية العرق أو الديانة علماً بأن اليهودية والصهيونية لم تكن فى يوم من الايام حركة تبشيرية لانها تعتمد وتقوم على المرتكزات العنصرية والدينية المحدودة «اليهود شعب الله

المختار»..

ان الخطر الحقيقى الذى تواجهه الصهيونية وادولة إسرائيل الان هو الضعف الديمغرافى والنقص الحاد الذى تعانى منه فى العنصر البشرى. ولعل إسرائيل فى يأسها وحالة الظروف الضاغطة التى تعانى منها والتى تتهددها بالفناء سوف لن تتوانى فى تنفيذ أى مشروع اجرامى مستقبلاً للاستحواذ أو لاستجلاب أىّ مواطنين ومن أىّ بلد كان لتزيد بهم تعداد سكانها ورصيدها البشرى المتآكل. وهل يعنى ذلك الواقع السقيم غير ان دولة إسرائيل مؤهلة مستقبلاً بأن تصبح ملجأ دولياً وملاذاً للمنبوذين فى العالم والمجرمين الهاربين من سلطة البوليس الدولى ويد العدالة ببلادهم؟ أم ستلجأ إسرائيل فى يأسها للتسول بمنح جنسيتها وحقوق مواطنتها للسابلة؟

(٨) أما حول موضوع المخصصات المالية والميزانيات الخرافية التى صرفتها دولة إسرائيل على عملية ترحيل الفلاشا والتى لاتبدو عقلانية أبداً مقارنة بنتائج العملية، فلقد خدعت إسرائيل قطاعات اليهود فى كل العالم بالتلاعب فى أموال جباية الترحيل وجباية التوطين الخاصة بالفلاشا. ولقد بدأت الشكوك والأتهامات حول هذه المسألة من داخل دولة إسرائيل نفسها وعلى لسان بعض قادتها وامتدت الى الولايات المتحدة الامريكية بأتهام الوكالة اليهودية العالمية بالتصرف فى ميزانيات جباية الفلاشا فى غير الغرض الذى خصصت له. وبالرغم من ان عمليةترحيل وتوطين الفلاشا قد كلفت كثيراً من المال بجانب الأتوات والرشاوى العديدة

الكبيرة التى دفعت لبعض الشخصيات لتسهيل عملية الترحيل.
الا ان الوكالة اليهودية العالمية قد تصرفت فعلا فى بعض الاموال التى جمعت كتبرعات فى حملات جباية الفلاشا بتوظيفها فى اغراض اخرى الامر الذى اثار جدلا كبيرا فى الصحافة العبرية والامريكية وتفجرت عنه ازمة حقيقة اسقطت الهيبة وثقة قطاعات يهود العالم فى ريادة ومصداقية الوكالة اليهودية العالمية. وسرعان ما اثر ذلك الشعور الجديد بعدم الثقة بصورة ملحوظة على مستوى قبول واستجابة الجمهور اليهودى لنداءات الجبايات اليهودية لاحقا وبفقدان الكيان الصهيونى لاهم ركيزة له والمصدر الاساسى الذى ظل يدعم ويمول كل سياسات التأسيس والتسيير والدفاع فى دولة اسرائيل منذ قيامها فى عام ١٩٤٨م يبرز معلم جديد على افق مستقبل اسرائيل ينذر بانهيار (الوكالة اليهودية العالمية) التى تمثل فى الواقع شريان وروح الصهيونية العالمية ودولة إسرائيل.
(٩) ان إسرائيل دولة متمادية فى لامبالاتها الدولية ولقد ظلت تفقد بذلك السلوك تعاطف الرأى العام العالمى يوما بعد يوم. فبعد تمكنها من ترحيل الفلاشا الاثيوبيين وافتضاح امرها عالميا كان ان ندت جهات مسئولة ومنظمات عالمية كثيرة مستهجنة لذلك السلوك واشتعلت موجة عارمة من السخط والاستياء فى مواجهة السلوك الاسرائيلى المشين، ولا غرابة فى ذلك اذ لا يعقل ان تتغول دولة على سيادة دولة اخرى بتهريب الالاف من مواطنيها بنقلهم سرا وتسلخ منهم جنسيتهم وتمنحهم وتعمل على منعهد من

العـودة لبلادهـم" ان ذلك السلوك يعني تجاهل [illegible]
اقواعد اللياقة الدولية بل تتخطاه الى مرحلة عدم الالتزام [illegible]
والمـواثيق الدوليـة وتعـود بعملها ذاك باذهان العالم [illegible]
اقاصيص القراصنة وتجارة الرقيق. ولقد حاولت إسرائيل [illegible]
بالاعلام الغربي ان تصبغ عملية نقل الفلاشا بالصبغة [illegible]
على أساس ان العملية قد هدفت الى اغاثة وانقاذ [illegible]
في ظروف المجـاعـة الطاحنة بافريقيا، فكان ذلك [illegible]
سخيفة مكذوبة كبيرة لم تنطل على الرأي العام العالمي [illegible]
تتقدم إسرائيل بالعون ان كان هنالك عون الى (كل) [illegible]
جراء المجـاعـة بالوسط الافريقي من سودانيين وحبشيين [illegible]
وتشاديين ونيجيريين وخلافهم بطريقة انسانية؟ [illegible]
الكـرم الانتقائي الذي حظيت به الفلاشا من دون [illegible]
القـارة الاخرى بذات المكان وفي ذات الزمان؟ [illegible]
دوافع نقل الفلاشا الى إسرائيل انسانية بأي معيار [illegible]
المفاهيم عن الانسانية [illegible] الثقة المسبقة [illegible]
المبيت الدنيء الذي إستغلت فيه إسرائيل [illegible]
الانسانية [illegible] الاحوال التي عاشها [illegible]
الذين عانوا من جراء الجفاف والتصحر والمجاعة الطاحنة [illegible]
الاستقرار لتنفيذ مخططها الاجرامي. ولعل الذي يعمل [illegible]
الانسانية وبدوافع الشفقة في مثل تلك الظروف [illegible]
النبيلة البيضاء بما انفقه [illegible] لان يعمل في السر [illegible]
ماهـو محتاج العلانية حتى يتمكن من [illegible]

المجهودات الانسانية الاخرى معه لتحقيق الغرض المنشود ودرء الخطر عن البشر الذين إدلهمت بهم عوامل الطبيعة والافرازات السياسية الحادة.

(١٠) ان الفلاشا بعد ترحيلهم الى إسرائيل يطرحون مشكلة جديدة انسانية ذات بعد ثقافى وحضارى، فهم (شعب) بقى بدائياً فى اعالى هضاب اثيوبيا بعد ان قضى حقباً طويلة من العزلة الجغرافية والأجتماعية هناك، وله أسلوبه المميز فى تكيفه مع بيئته وظل يعيش ويتعايش هناك فى امن وامان أبسط صور العيش البشرى. فالذين هجّروا الى إسرائيل من الفلاشا قوم بدائيون وكثير منهم لم يغادر فى حياته حدود قريته الصغيرة، ولقد جاء فى تعليق احد المسئولين الاسرائيليين عن تأهيل المهاجرين فى القدس: « .. نحن بصدد دفعهم الى إختراق الف سنة من التقدم فى بضعة أشهر حتى يتواكبوا مع الحياة العادية التى يعيشها المواطن الاسرائيلى ...» .. لعل الحياة البشرية فى كل صورها هى الحياة بمعناها الكبير الواحد القيم والمثل سواء كان الانسان الذى يحياها يعيش فى فيلا بتلال بفارلى أو يعيش فى كوخ بأطرف دغلة استوائية، ولكن العبرة فيها بمدى تكيف الانسان فى البيئة والمكان الذى يقطن فيه بالقدر الذى يوفر له الحد المطلوب من الانسجام والتوازن البدنى والنفسى والعصبى الذى يكفل استمرارية الحياة بصورة طبيعية. ولقد افسدت إسرائيل على الفلاشا حياتهم وقضت على كل قيمها الاخلاقية والثقافية والابداعية وكتبت عليها الفناء والاندثار والعدم. وإذا كان إنسان العصر يهتم بالحيوانات

المهددة والزواحف والطيور ويحافظ على بيئتها الطبيعية ... عليها من النفوق والانقراض، وهناك البيئيون -The Environmen talists الذين يهتمون بذلك الامر وجمعيات الرفق بالحيوان المتنامية النشاط فى العالم المتحضر - فهل من الممكن والمقبول فى نفس الوقت وبنفس المنطق والشعور وعلى مستوى نفس المستوى الحضارى ان يحرم بشر من حياتهم وبيئتهم الطبيعية ويحكم على ثقافتهم المادية والروحية والفنية بالعدم؟! .. وماهو مصير هؤلاء الفلاشا فى المجتمع الأسرائيلى؟ .. هل سيتكيفون وينصهرون فيه بين يوم وليلة؟ .. وما مدى معاناتهم فى ذلك؟ .. هل سيحتفظ الاحياء منهم على الاقل بفنونهم وآدابهم والراقى الانسانى منها ام سيعيشون فصاماً حضارياً ثقافياً لينعكس إضطراباً وخواء نفسياً داخلياً فى سلوكهم؟! .. هل سيكون الفلاشا فى صراعهم مع حياتهم الجديدة ومجريات امورها احد عناصر التوتر العرقى فى المجتمع الاسرائيلى الى جانب التوتر العرقى القائم مسبقا بين اليهود الاوربيين واليهود الشرقيين؟ ام سيكونون قوماً مسخرين ومساقين لدفع سياسات الاستيطان فى الاراضى العربية المحتلة دون أن يكون لهم رأى فيما يفعلون وينفذون وبلا وعى منهم؟ يبدو أن هناك اكثر من اسلوب لعين بخلاف (العبودية) فى هذا العالم لسلب الانسان من انسانيته وتجريده من آدميته ليساوى كبهيمة الانعام بفعل اخيه الانسان، نفس الانسان الذى ينادى ويملأ الدنيا صياحاً وتظاهراً ويشوه البنايات والجدران بملصقات حقوق الانسان! يبدو لى ان الانسان سمى بالفعل إنساناً ...

لنسيه ولأنه مخلوق مجبول على عدم التذكر.

ان الاعمال الوحشية التى ترتكبها السلطات الاسرائيلية الان فى عمليات تأهيل الفلاشا والمعاناة التى يلاقيها هؤلاء القوم هناك جرائم بشعة تتنافى وكرامة الانسان وابسط حقوقه المشروعة. اذ لم يعرف تاريخ البشرية حتى الأن لاقديماً ولاحديثاً عن ظاهرة (الرفض) تتسم بعمليات انتحار جماعى وحتى فى حالة البوذيين بالانتحار بحرق أجسادهم بالنار فى سايقون وفى شرقى آسيا كانت الحوادث دائماً فردية متفرقة، ولكن فى حالة رفض الفلاشا تم الموت والانتحار القهرى جماعياً كحالة حادة وظاهرة لا مثيل لها فى العالم قاطبة.

(١١) الصهيونية ودولة إسرائيل اسلوب قديم ومعروف فى استغلالها (الاعلام) على أوسع نطاق كأداة مباشرة الدعاية، فلقد حددت الصهيونية منذ البداية لدعايتها هدفاً واضحاً وصريحاً للوصول الى خلق اكبر عدد ممكن من الانصار والمؤيدين فى المجتمعات اليهودية المنتشرة فى العالم وخلق تيار قوى دافق من التأييد والتعاطف معها فى المجتمعات غير اليهودية. فقبل ان تصبح إسرائيل دولة فى عام ١٩٤٨م قامت الصهيونية بحملة دعاية قوية واسعة على عقول اليهود فى كل انحاء العالم بان إسرائيل ستصبح وطناً لكل شتات يهود العالم وملاذاً لليهود المضطهدين وبلداً ديمقراطياً تتحقق فيه النبوءات التوراتية. ولم يكن من قبيل المصادفة ان تصدر توجيهات هامة مثل القرارات التى أصدرتها الحركة الصهيونية فى المؤتمر بازل ... ١٩٥٠م التى ... على

التأكيد على ضرورة العمل بكل الوسائل للسيطرة على الصحف [illegible]
والمجلات وسائر وسائط النشر والاعلام حيثما وأينما [illegible]
العالم أجمع باستخدام سلاح المال وسلاح الاغراء [illegible]
الحثيث المتواصل الصريح للمثقفين اليهود الى مراكز [illegible]
مجالات صنع الرأي والاتجاه الاعلامي والتصوير وتحليل [illegible]
وتلوينها وتحريفها واختلاقها وبثها بغرض طرح القضية [illegible]
بأبعادها الانسانية والاخلاقية والسياسية واعلام شعوب العالم
بها من منظار المنظور الصهيوني وبطبيعة الحال فقد أدت تلك
السياسة الاعلامية المركزة الى وصول أصحاب الجهد الذي [illegible]
فيها الدعاية والأساليب الصهيونية بمختلف الوسائل والاشكال [illegible]
يشل العقل ويسمم الأفكار والتوجهات. ولقد تمكنت الحركة
الصهيونية والى حد كبير بمساعدة قوية نشطة من جانب أصحاب
المصارف ورجال المال اليهود المنتشرين في بلدان العالم من
احكام قبضتها على كل ما يستخدم في النشر والاعلام من [illegible]
ومؤسسات وصناعة غير متورعة عن الرشوة المعنوية [illegible]
للكتاب والصحفيين ونجوم المسرح والسينما والمغنيين بفتح [illegible]
الشهرة والارتزاق لهم وبغير شفقة في ذات الوقت [illegible]
المعنويات ووضع [illegible] عن الكتاب والاعلاميين [illegible]
الملتزمين معها بممارسة الابتزاز تجاههم واغتيالهم معنويا [illegible]
كل العراقيل في طريقهم وتحطيم آمالهم وانجازاتهم [illegible]
الاسلوب نجد ان الصهيونية ودولة إسرائيل تحرص [illegible]
السيطرة على الاعلام كسلاح ماض للحصول على [illegible]

بتجهيل وتضليل الرأى العام. وعلى صعيد الاهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية فلقد تمكنت إسرائيل وعلى مدى فترة طويلة من الزمن من خلال سطوتها وسيطرتها على وسائل الاعلام ودور النشر والبث الاذاعى والتلفزيونى وصناعة السينما وغيرها من ترسيخ كل ما شاعت من اكاذيب وافكار سامّة ظلت ترددها وترد، ها الى ان صدقها العالم. ومن منجزات تلك السياسات على سبيل المثال تحويل الأخفاقات الاسرائيلية الى نجاحات كما فى اسطورة الجيش الأسرائيلى الذى لا يقهر أبداً، وتحويل الضحايا الى مجرمين وإرهابيين فالفلسطينيون هم الان الذين يُصوّرون للعالم بوصفهم ارهابيين حتى التصقت كلمة «الارهاب - Terrorism - » فى الأذهان وفى القاموس السياسى والرأى العام العالمى بالفلسطينيين، كما يصورون الأنسان العربى كمخلوق متخلف غرائزى السلوك يجنح للعنف والرذائل ويعمل على إلقاء اليهود فى البحر بلا رحمة.

وتأكيداً للدور الكبير الذى تعتمد فيه الصهيونية ودولة إسرائيل على وسائل الاعلام العالمية، كان دور الأعلام قوياً فى تجسيد عملية نقل الفلاشا كعملية انسانية وتصويرها للعالم كمغامرة بطولية فذة تحدثت عنها سائر وسائط الاعلام الغربية من اذاعات ومحطات تلفزة وكتب ومجلات وصحافة بلسان «برافو إسرائيل». ولعل الدور الذى لعبته الصحافة البريطانية كمصدر اعلامى عالمى مرموق على سبيل المثال لا الحصر، خير مثال لتجهيل وتضايل الصحافة للرأى العام العالمى عند تناولها لأحداث عملية

نقل الفلاشا. ففى الوقت الذى احتدم فيه الصراع بداخل البرلمان الأنجليزى بين نواب مجلس العموم البريطانى حول عملية نقل الفلاشا حتى ... فيها الحكومة البريطانية قرارا ... واضحا بادانة العملية. كانت الصحافة البريطانية ... بتبجيل دولة إسرائيل وتمجيد الدور الانسانى والبطولى الذى قامت فيه بنقل الفلاشا من افريقيا البعيدة وقامت بتصوير واخراج العملية كمعجزة إسرائيلية جديدة فاقت معجزة عملية مطار عنتيبى وأىّ مغامرة دولية اخرى - بينما فى ذات الوقت ومن داخل قاعات مجلس العموم البريطانى كانت قد أُثيرت عملية نقل الفلاشا كمسألة مستعجلة. ودار الحوار الساخن حولها حيث تقدم تونى مارلو M.P. Toney Marlow النائب البرلمانى من اروقة المحافظين بتقرير ندد فيه بالعملية الهمجية وأبدى مخاوفه حول نتائجها حيث ذكر فى تقريره: « ..إن الاثيوبيين الذين تم اختطافهم Kidnapped إلى إسرائيل سوف يستخدمون كقوة مقاتلة بالخطوط الامامية بالضفة الغربية، ولعل الذين يدركون منا مدى المعاملة الوحشيـة التى يتعـرض لها الفلسطينيون بأسرائيل ما اظنهم يتعشمون فى أن إسرائيل قد اختطفت الفلاشا من اراضيهم نسبة لعوامل ولاسباب انسانية بأىّ حال ....» كما تقدم نائب حزب العمال اندرو فيولدس M.P. Andrew Faulds بمذكرة جاء فيها « .. ان الدولة الأسرائيلية قد سلكت سلوكاً شاذاً وبعيداً كل البعد عن الانسانية تجاه مأساة المجاعة فى أثيوبيا ..». وبعد مداولات ومذكرات نواب مجلسّ العموم جاء قرار وبيان الحكومة البريطانية

حول عملية تهجير ونقل الفلاشا إلى إسرائيل على لسان مستر ريتشارد لوس MR. Richard Luce وزير الدولة بوزارة الخارجية الذي جاء فيه ... إن الحكومة البريطانية تعترف بحقوق أي مواطن وفي أي بلد في حرية التنقل وعبر الحدود، ولكن على أن يكون ذلك بموجب الأعراف الدولية ووفق قوانين الهجرة الدولية التي تنظم مثل ذلك العمل ... حدث هذا في الوقت الذي كانت فيه الصحافة البريطانية غارقة تماماً في تمجيدها لدولة إسرائيل بمعاملة وتغافلت تماماً عن نقل وإخراج رأي الحكومة البريطانية الذي جاء بكل الإدانة لعملية الفلاشا.

٣ - ٢ إن عملية الفلاشا وتهجيرهم من اثيوبيا عبر السودان إلى إسرائيل والتي تمت خلال الأعوام ١٩٨٤م - ١٩٨٥م ذات جذور قديمة ترجع إلى تاريخ عام ١٩٠٠م حين تقدم لأول مرة اليهودي رابورت باقتراح يقضي بنقل اليهود الاثيوبيين إلى السودان وذلك عقب زيارة تفقدية له إلى قرى الفلاشا بمنطقة قندر كمبعوث من قبل احدى الجمعيات اليهودية. وكان رابورت وهو من أصل أوكراني قد تحصل على الجنسية البريطانية في عام ١٨٩٨م وكان [illegible] في القاهرة [illegible] مقابلة للورد كرومر [illegible] وتقدم له [illegible] مقترحه [illegible] في ذلك الوقت لورد كرومر [illegible] لأنه [illegible] اقتراحه [illegible] من المنظمات اليهودية التي لا ترى في غير إسرائيل وطناً لليهود. ولقد ذكر رابورت في [illegible] إلى اللورد كرومر أن الذي يرشح السودان لهجرة الفلاشا هو [illegible] أصحاب السودانيين [illegible] حجم

سكانها، وان انتقال الفلاشا الاثيوبيين إلى السودان لن يمثل إنتقالاً الى بيئة تختلف عن بيئتهم بل ستتوفر السبل لنهضة زراعية هناك .. ولما لم يجد رابورت اهتماماً من اللورد كرومر تقدم باقتراحه إلى إحدى المنظمات اليهودية التى كانت تهتم بالبحث عن وطن لليهود فى إفريقيا ولكن المنظمة المعنية لم تأخذ الاقتراح مأخذ الجد. وإنتهت فكرة رابورت عند ذلك الحد إلى أن برز مجدداً الاقتراح مرة ثانية فى عام ١٩٠٧م فى مذكرة تقدم بها اليهودى إبراهام جالانت الى المنظمة اليهودية الاقليمية التى كان يترأسها فى ذلك الوقت إبراهام زانجويل. وكان جالانت يعيش فى تركيا ويتجول متنقلاً فى انحاء الامبراطورية العثمانية حتى انتهى به المطاف أخيراً ليستقر فى مصر. ولقد إقترح جالانت نقل الفلاشا من أثيوبيا وإقامة وطن لهم فى السودان لنفس الاسباب التى أوردها رابورت سابقاً، الا ان الاقتراح قد اسقط نتيجة اقرار المنظمات اليهودية الموحد القاضى بعدم الاستمرار فى البحث عن وطن لليهود بديلاً لفلسطين.

ولقد ظلت فكرة تهجير الفلاشا ساكنة بلا إثارة حتى كان ١٩٥٨م حين حاولت إسرائيل فى عهد الامبراطور هيلاسلاسى وفى أثناء حكم الجنرال عبود للسودان (١٩٥٨ - ١٩٦٤م) أن تنقل بعضاً من يهود الفلاشا الى منطقة (الفشقة) بالسودان على الحدود الاثيوبية وتوطينهم هناك مستفيدة من الصلات الحسنة بين البلدين، ولكن حكومة الجنرال عبود لم تجد فى ذلك الوقت حماساً للفكرة التى تقدمت بها الحكومة الاثيوبية كإلتماس شخصى

المسألة حتى ماتت فى طىّ النسيان.

وبعد سقوط نظام الامبراطور هيلاسلاسى فى أثيوبيا وطرد البعثة الاسرائيلية من اثيوبيا ظل الدور الأسرائيلى مستمراً بها نسبة للاهمية التى تنظر بها إسرائيل الى مصالحها هناك. وظلت المنظمات اليهودية تأتى بالمساعدات للفلاشا تحت ستار الاغاثة والعون وتنشىء لهم المدارس والعيادات الطبية وتقدم لهم الاغذية والمعدات الزراعية. وعندما طلبت حكومة أثيوبيا الأشتراكية الشعبية من إسرائيل والمنظمات اليهودية وقف إرسال المساعدات التى كانت تأتى بها إلى اثيوبيا، أُسقط فى يد إسرائيل والمنظمات اليهودية التى كانت تبيت النيّة لنقل الفلاشا الى إسرائيل لتحل بهم ضائقة الانحسار الديمغرافى التى تعانى منها إسرائيل كمشكلة خطيرة متفاقمة تقلق مضاجع الصهيونية، فتبين لها أنه لاخيار ولاسبيل سوى ان تعمل عبر السودان وبمعرفة ورضى السلطات السودانية لضمان تنفيذ مخططها. وحين تعرضت منطقة الوسط الافريقى لموجة الجفاف والتصحر العارمة وحلت بالمنطقة حالة من الزعزعة وعدم الأستقرار تهيأت الظروف المناسبة لاسرائيل فقامت بتحريك مخطط ترحيل الفلاشا من داخل أثيوبيا الى الاراضى السودانية تحت ستار النزوح واللجوء للسودان حتى تمكن الكيان الصهيونى من الاعداد والترتيب لنقل الفلاشا جماعياً من السودان إلى إسرائيل فى سرية كاملة وبتخطيط من المخابرات المركزية الامريكية والموساد الأسرائيلى وبمعرفة وتعاون السلطات السودانية وتعاون بعض الدول الاخرى.

إن جريمــة نقل الفلاشا قد خلفت آثاراً كثيرة وبصمات واضحــة المعالم قابلة للاستقراء والتأويل، وستظلّ تلك الحادثة مرتبطة أبداً في الاذهان ببشاعة السلوك الاسرائيلي الذى يشهد على شراســة إسرائيــل والصهيــونيــة العــالميــة في حالة يأسها ومحــاولاتهــا البائسة للأبقاء والهيمنة على الاراضى الفلسطينية غصباً وتغولاً.

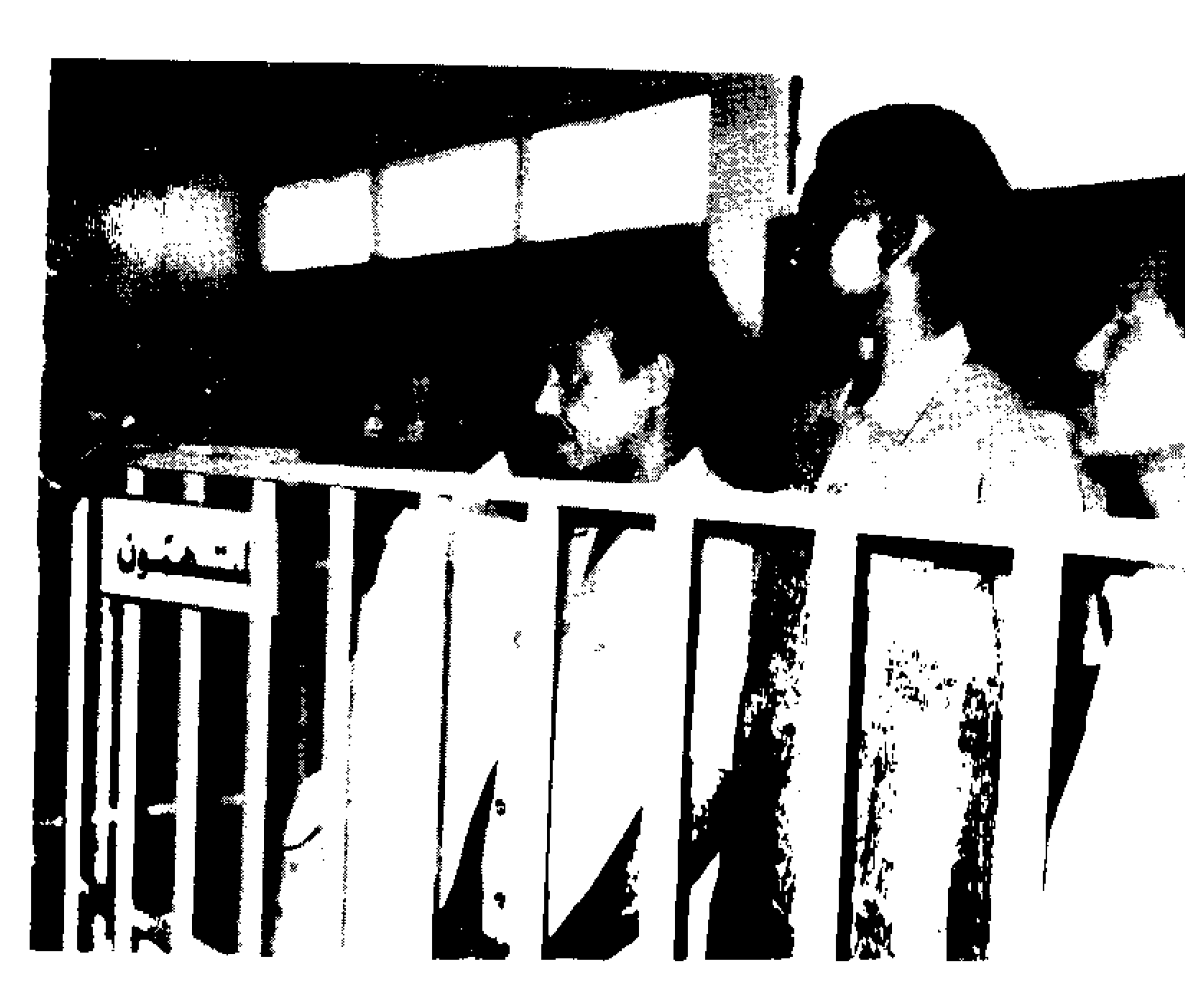
وختــامــاً أقول: ان العالم ليزخر بمستجدات مستمرة ما إستمرت الحياة في مختلف مجالات العطاء الانسانى من تفاعل ومعرفة وابتكار، والأنسان على الارض مجبول فرداً وجماعة على التكيف في صياغ الحياة التى تتأرجح بين قطبى الشر والخير وما بينهما من كم نسبى هائل من المعانى والقيم والحقوق. فمجتمع بنى الانسان ظل منذ قديم قدم التاريخ يمتد ويتطور عبر سلسلة طويلة غير منقطعة من التجارب في حركة دينميكية دؤبة تميزه عن مجتمــع الغــاب حيث تعيش الكــائنــات الدنيا والعليا في حركة إستــاتيكيــة ثابتــة لاتتعدى إشباع الجوارح البيولوجية. وعبر القرون الطويلة شهدت مسيرة الأنسان نماءً ورقياً حضارياً على سلم التــطورمنــذ بدائية حياة الكهوف ومروراً بنمط حياة شبه القرية فالقرية ثم الحصن فحياة المدينة وإرتقاءً إلى الحياة في إطار الدولة فالقارة والى حياة الاسرة الدولية الجماعية التى تحتضن كآفة بنى الانسان على وجه البسيطة حيث لا يوجد بشر في عالمنا اليــوم مجهــول كنههم أو موقعهم على البسيــطة. وحياة الاسرة الدوليــة بمفهــوم اليــوم ورغم عوامل التباين العرقى والجغرافى

إن الوعي الإنساني المتنامي قد وصل الى منعطف [illegible]
لاتعرف تشويش [illegible] ولا العبث بمقدرات الشعوب والأمم.
فالانسان الفلسطيني لم يعد في مفهوم العالم لاجئاً مجهول الهوية
بل تجسد قضيته العادلة تفهما ملحوظاً يتنامى يوماً بعد يوم في
الوقت الذى أصبحت فيه شراسة دولة إسرائيل والصهيونية
العالمية أسلوبا مكشوفاً ومستهجناً ومرفوضاً حتى من قبل الدول
التي وقفت طويلاً وكثيراً في مؤازرتها. فقضية العصر التي أصبحت
محط نظر وتطلعات الأسرة الدولية هي قضايا التحرر وتقرير
المصير وكسر قيود الطغيان والتغول. ولقد اصبح الوعي العالمي
ينبش ويتكشف ويعي تماماً في كل يوم أساليب الصهيونية العالمية
ودولة إسرائيل وبشاعة جرائمها التي ترتكبها في القوم
الفلسطينيين الذين وقفوا عبر السنوات الطوال في وجه الطغيان
والعدوان الغاشم الكاسر بكل صبر وثبات وتشبث بالأرض
والحقوق حتى انقلبت الأرض الفلسطينية الحارة تربة لاتصلح
لنواة الغرس الصهيوني، طاردة وغير صالحة للاستصلاح
والاستعمار اليهودي، وحتى أطفالها الأبابيل أصبحوا يلقون
بحجارة من سجيل وغداً وحتماً ستصبح جحافل الطغيان كعصف
مأكول وان غداً لناظره لقريب..

والتديني والفسري يغلب عليها طابع سلوك عام وحس مشترك وأعراف وتقاليد جامعة متناشئة، هي في الواقع نتاج تفاعل الحضارات الإنسانية المستمدة من تجربة الإنسان الطويلة وعبر طريق التطور والرقي كان أن وصلت الأسرة الدولية إلى مراقي سمة حضارية تجاوزت مآسي التخلف والعنف والصراعات على مستوى العلاقات الدولية والدول والحكام. ولقد اهتدى الإنسان المعاصر من الوسائل والمؤسسات ما هو كفيل بحفظ التوازن وتحقيق الحقوق واستقلال الأمن والسلام، فالمعرفة والوسائل والقدرات والموارد الأساسية الضرورية لاستمرارية حياة الإنسان متاحة ولم تعد بأي حال حكراً يستقل فيه ويعليه ويحسم تبادل المنفعة خارجاً عن إنشاء المنظمات الدولية في مختلف المجالات وجهود دولية وأهداف مطلوبة هي احترام وحماية حقوق الإنسان في إطار أصول التعامل الفردي والجماعي وتنظيم حركة التفاعل بين الدول والشعوب — ولكن ورغم ذلك المستوى الرفيع من التكافل والتعاون الدولي المتطور والذي يستحق أن يفخر به إنسان هذا العصر هنالك (الشذاذ) الذي يجنح إلى الخروج عن المقبول من سلوكيات وقيم المجتمع الدولي المتعارف عليها والمتفق عليها بموجب نصوص وقوانين المنظمة الدولية ومسيرة الرقي الحضاري الطويلة لها سلالتها كما لها موضوعيتها، وحتى في الحاضرة نجد أن دولاً وشعوباً ما زالت تتخبط في ظلمات تخلفها ولذا يجوز للإنسان المعاصر العقلاني أن يصف تلك الدول والشعوب بالتخلف والتأخر والهمجية



اللواء عمر محمد الطيب يقف متهماً في قضية
محاكمات تهجير الفلاشا - الخرطوم فبراير ١٩٨٦م



[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ١٩٨١م

المـــــراجع

(أ) وقائع وحيثيات « قضية محاكمات الفلاشا » في الخرطوم - جمهورية السودان برئاسة القاضي عبد الرحمن عبده (٢٦ اكتوبر ١٩٨٥م - ٨ مارس ١٩٨٦م)

(ب) إفادات بعض شهود عيان.

(ج) ١/ الفلاشا - المؤلف كسلر ودايفيد.
The Flasha, The Forgotton Jews of Ethiopia. By Kessler & David (George & Union, London 1982).

٢/ اليهود المنسيون - المؤلف رابورت
The Lost Jews, The Last of The Ethiopian Flasha. By Rap-port L. (Stein & Day New York 1980).

٣/ **الفلاشا (تقرير عن حقوق أقلية الفلاشا) - المؤلف برافيد تودور.**
The Flasha (Minority Rights, Group Report, No. 67, London 1985) — By Tudor Parfitt.

٤/ **اثيوبيا والانجيل - المؤلف يولندروف** إدوارد.
Ethiopia And The Bible. By Ullendroff Edward (Oxford University Press, London 1968).

ـ المؤلف يولندروف إدوارد.
The Ethiopians — By Ullendroff Edward.(Ox.
sity Press 1956).

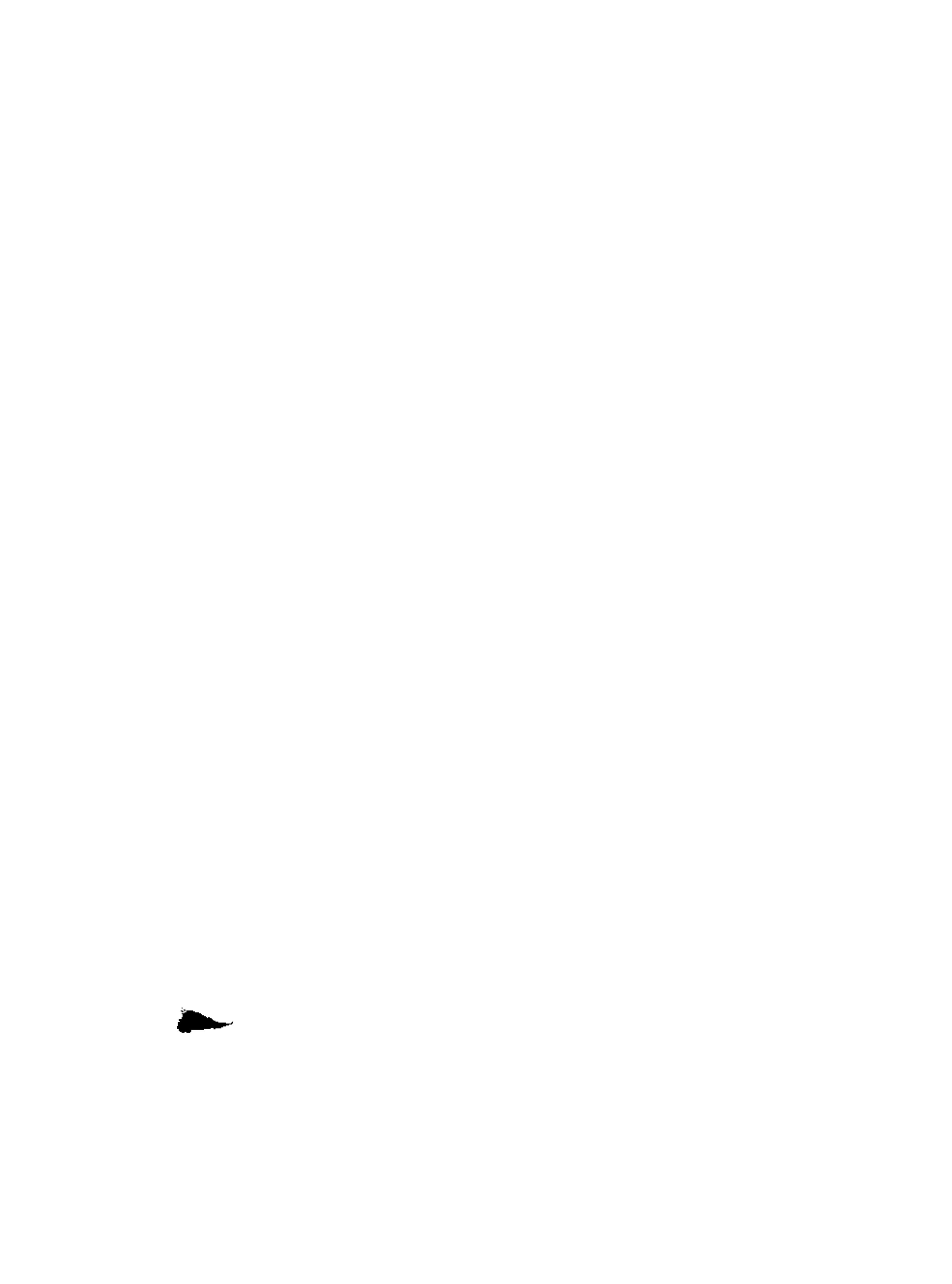
٦/ إسرائيل المعتدية ـ المؤلف فرانتز سايدل.
(ترجمة ـ مطبعة وزارة الثقافة بدمشق).

٧/ مجموعة ارشيف كيسنج ـ (١٩٧٢ ـ ١٩٨٥م).
Keesing's Contemporary Archives (1972 — 1985)

٨/ الهجرة السرية ـ المؤلف كلير سفران.
Secret Exodus — By Clair Safran.

٩/ عملية موسى ـ المؤلف تودر بارفيت.
Operation Moses — By Tudor Parfitt.(Butler & Tanner, London 1985).

١٠/ الموسوعة الفلسطينية ـ المؤلف عميد (م) عبد الرازق محمد أسود.
(الدار العربية للموسوعات).




لا لإحتكار
الكتب السودانية